كشف الغطاء

شرح وترتيب ونظم

حِكَم سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى

لشاعر النبى ﷺ

فضيلة الإمام الشيخ

محمد خليل الخطيب النيدى

رضي الله عنه

دار البشير
للثقافة والعلوم

كشف الغطاء

شرح ترتيب

حِكَمْ سيدى أحمد بن عطاء الله الإسكندرى

لشاعر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فضيلة الإمام الشيخ

محمد خليل الخطيب النيدى

- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

بسم الله الرحمن الرحيم

كشف الغطــاء

شرح ترتيب
حكم سيدى أحمد بن عطاء الله الإسكندرى

لشاعر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

محمد خليل الخطيب النيدى

ـ رضي الله عنه ـ

يَا صَاحبَ الكَلِمِ الغرَّاء جَامعَةً خَيْرَ البَرِيَّة أولاهَا وأخْرَاهَا
أهْدى لَكُمْ حكَماً لولا مَحبَّتُكُمْ مَا قَالهَا ابْنُ عَطَاء أوْ شَرَحْنَاهَا
رُوحيَّةُ اللَّفظ والمعْنَى مُبَارَكَةٌ مَعْرُوفَةُ السِّرِّ فى أرْوَاحِ قُرَّاهَا
حَوَتْ خُلاصَةَ علْمِ الدِّين أجْمَعه أكْرِمْ بمَنْ حَازَ مَبْنَاهَا ومَعْنَاهاَ
فَاقْبَلْ وأقبِلْ وقُلْ يَا ابْنى هَديتُكُمْ منْ أجْلِ حُبكُمُو فينَا قَبلنَاهاَ
وَاشْفَعْ لنَا ولِكُلِّ المسلمينَ ومَنْ أحَبَّنا ولِمنْ عَنْ حُبِّنَا تَاهاَ
وَصَلِّ رَبٌّ عَلَى طَهَ وَشيعَتِهِ مُسَلِّماً وأنلناَ عِنْدَكُمْ جَاهاَ

« ماشاء اللهُ لاقوة إلا بالله »

عِياذاً بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ هَذه ... وَتِلكَ وَخَيْراً يا إلهِى فيهمَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للّه الذى مَنَّ عَلَىَّ بحُبِّ أحْبَابه فيه ، والصلاةُ والسَلامُ على سَيِّد عَارفيه وَعَلى آله وَصَحبه وَمقْتَفيه . وبَعْدُ . . . فَيَقُولُ خَادمُ السُّنَّة الغَرَّاء . وشَاعرُ إمَامَ الأنْبياء محمدُ بْنُ الشيخ خَليل بْن الشيخ محمد الخطيب . لَمّا كَانت حِكَمُ تَاج الأصفيَاء وإمَام البُلَغَاء سَيِّدى أحْمَدَ بْن عَطَاء الله الإسْكَنْدَرِىّ رَائعَةَ المعَانى كَريمَةَ المَبَانى حَوَتْ مَعَ زَائد الاخْتصَار مَا فى كُتُب التَّصَوُّف الصِّغَار والكبَار دَاعيةً إلَى التَعَلّق بالله وَالاسْتغْناء به عَمَّا سواهُ ، بهَا يَذْكُرُ الدَّاعُونَ ، وَيسْتَنيرُ المريدُونَ ، وَيَنْشَطُ السَّائرُونَ ويَطمئنُّ الواصلُونَ - رَأيْتُ تَرْتيبَهَا عَلَى أحْرُف الهجَاء ليَسْهُلَ إلى المراد منها الاهتدَاءُ وتَقريبَ مَعَانيهَا إلى الأفهَام بشَرْحٍ هُوَ ثَمَرَةُ ما كَتَبَهُ عَلَيْهَا الكرَامُ ، وَتَقْفيَةَ شَرْحِ كُلِّ حكْمة بنَظْمها لتَعلّقَ بالنَّفْس ويُسْرِعَ إليْها الحفْظُ وأتْبَعْتُهُ بشَرْحِ أرْبَعة كُتُب له كريمة ، وَبشَرْحِ مُنَاجَاته الحكيمة وسَمَّيْتُهُ (كَشْفَ الغطَاء) بشَرْحِ تَرْتيب حكَمِ الإمَامِ أحمدَ بْنِ عطَاء وقَدَّمْتُهُ بمقدمَة فى التَّصَوُّف وتَرْجمَة للمُؤلّف .

وَهَاكَهَا شَاكراً لله أنْعُمَهُ ... وَدَاعياً لى بغَفْر الجُرْم واللَّمَمِ
واللهَ أسْألُه لابْنِ الخَطيبَ هُدىً ... وَالضِّدَّ وَالحبَّ والبُعْدى وَذى الرَّحِمِ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى طَهَ وَشيعَته ... مُسَلِّماً ، وَأنِلْنا حُسْنَ مُخْتَتَمِ

التَّصَوُّفُ : علْمٌ يُعْرَفُ منهُ أحْوَالُ النَّفْس فى الخَيْر والشَّرِّ وكَيفيَّةُ تَنْقيتهاَ منْ عُيُوبهَا وآفَاتها . وتَطَهُّرهَا منَ الصِّفَات المذْمُومَةَ ، والرَّذَائل والنَّجاسَات المعْنَويَّة التى وردَ الشَّرْعُ باجْتنَابهَا ، وَالاتِّصَافُ بالصِّفَات المحْمُودَة التى طَلَبَ الشَّرْعُ تَحصيلَهَا ،

وكَيْفيَّةُ السُّلُوك والسَّيْر إلى الله تَعَالَى والفرَار إلَيه ، وقَالَ الجُنَيدُ : هُوَ أنْ يُميتَكَ الحقُّ عَنْكَ (أىْ عَنْ نَفْسكَ) (ويُحييكَ به) أىْ بالإقْبَال عَلَيْه . وقال أبو الحَسَن الشَّاذلىُّ : هُوَ تَدْريبُ النّفْس عَلَى العبُوديَّة ، ورَدُّهَا لأَحْكَام الرُّبُوبيَّة .

وقَال الشيخُ زَرُّوقُ : حُدَّ التَّصَوُّفُ ورُسمَ وفُسِّرَ بوُجُوه تَبْلُغُ الألفَين تَرْجعُ كلُّها لصدق التَّوجُّه إلى الله تَعَالىَ .

وقالَ أيضاً : صدْقُ التَّوَجُّه مَشْرُوطٌ بكَوْنه من حَيْثُ يَرْضَاهُ الحقُّ تَعَالىَ وَبمَا يَرْضَاهُ ، ولا يَصحُّ مَشْرُوطٌ بدُوَن شَرْطه ﴿وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ فَلَزمَ تحْقيقُ الإيمَان ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فَلزمَ العَمَلُ بالإسْلاَم . فَلاَ تَصوُّفَ إلاّ بفقْه إذْ لا تُعْرَفُ أحكَامُ الله تَعَالى الظّاهرَةُ إلاّ منْهُ ، ولاَ فقْهَ إلاّ بتَصوُّف إذْ لا عَمَلَ إلاّ بصدْق تَوَجُّه ولاَ هُمَا إلاّ بإيمَان إذ لا يَصحُّ واحدٌ منْهُمَا بدُونَه ـ فَلَزمَ الجَمْعُ لتَلازُمها فى الحُكْم كَتلازُم الأرْوَاح للأجْسَاد إذْ لا وُجُودَ لَهَا إلاّ فيهَا كما لا كَمَالَ لَهَا أىْ للأشْبَاح إلاّ بهَا . ومنْهُ قَوْلُ الإمَام مَالك ـ رَحمَهُ اللهُ ـ : مَنْ تَصوَّفَ ولمَ يَتَفَقّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ وَمَنْ تَفَقَّهَ ولم يَتَصوَّفْ فقد تَفَسَّقَ ومَنْ جمعَ بيْنَهُمَا فَقَدْ تَحقَّقَ (قُلْتُ) تَزَنْدَقَ الأوَّلُ لأنَّهُ قَائلٌ بالجَبر المُوجب لنَفْى الحكْمَة والأحْكَام وتَفَسَّقَ الثَّانى لخُلُوِّ علمه عَنْ صدْق التَوجُّه الحَاجز عَن مَعْصية الله تَعَالَى وَعَن الإخْلاص المشْرُوط فى الأعْمَال وتَحقَّقَ الثَّالثُ لقيَامه بالحَقيقَة فى عَيْن تَمسُّكه بالحَقِّ أهـ ، ومَوْضُوعُهُ الذَّاتُ العَليَّةُ لأنَّهُ يَبْحَثُ عَنهَا باعتبَار مَعْرفتَها إمَّا بالبُرْهَان أوْ بالشُّهُود والعيَان فالأوَّلُ للطَّالبينَ والثَّاني للوَاصلينَ والنُّفُوسُ والقُلوبُ والأرْوَاحُ لأنَّه يَبْحَثُ عَنْ تَصْفيتها وتَهذيبهَا .

وَوَاضعُهُ النّبىُّ ﷺ عَلّمهُ اللّهُ لَهُ بالوَحْى والإلهَام ، وأوَّلُ مَنْ تَكلَّمَ فيه سَيِّدُنا عَلىٌّ ـ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ ـ وأخَذَهُ عَنْهُ الحَسَنُ البصْرىُّ .

وَاسْمُهُ علمُ التَّصوُّف والأرْجحُ اشْتقَاقُهُ منَ الصُّوف يُقَالُ : تَصَوَّفَ إذَا لَبسَ الصُّوفَ كَما يُقَالُ تَقَمَّصَ إذَا لَبسَ القَميصَ وَهُم كَانُوا فى العَهْد الأوَّل مُخْتَصِّينَ غَالباً

بلبسه إذْ كانَ يَلْبسُهُ النَّبىُّ ﷺ . ويَلْبسُهُ الأنْبياءُ منْ قَبْله ، عَنْ أَنَس بْنِ مَالك قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ : يَلبَسُ الصُّوفَ ورُوىَ أَنَّ عيسى عليه السلام كَانَ يَلبَسُ الشَّعْرَ ويأكُلُ من الشَّجَرِ ويَبِيتُ حَيْثُ أمسى ، وقَالَ الحَسَنُ البصْرىُّ : لقد أدركْتُ سبْعين بَدْرياً كَان لَبَاسُهُمُ الصُّوفَ وأيضاً نسبَتُهُمْ إلىَ الصُّوف أبْعَدُ منَ الدَّعْوىَ فَهُوَ أليَقُ بحَالهم وأيضاً أنَّ نسْبَتَهمْ إلىَ الصُّوف حكْمٌ مَبْنىٌّ عَلَىَ الظَّاهر منْ أمرهمْ ونَسبتُهُمْ إلىَ أمْرٍ آخرَ منْ حَالٍ أوْ مَقَامٍ أمْرٌ بَاطنٌ وَالحُكْمُ بِالظَّاهرِ أوْلَى .

وَاستمْدَادُهُ : منَ الكتَاب والسُّنَّة وإلهامَات الصَّالحينَ ، وفُتُوحَات العَارفينَ . وَقَدْ أدخَلُوا فيه أشْيَاءَ منْ علْم الفقْه لمسِّ الحاجَة فى علْم التَّصَوُّف إليهَا ، حَرَّرَهَا الغَزَالىُّ فى الإحيَاء فى أَرْبَعَة كُتُب . العبَادَاتُ ، وَالعَادَاتُ ، والمهْلكَاتُ ، والمنْجيَاتُ وَهُوَ فيه كَمَالٌ لا شَرطٌ إلاَّ ما لابُدَّ منْهُ فى بَاب العبادات .

وأمَّا حُكْمُ الشَّارعِ فيه فقال الغزالىُّ : إنَّهُ فَرْضُ عَيْنٍ إذْ لا يَخْلُو أحَدٌ منْ عَيبٍ أوْ مَرَضٍ إلاَّ الأنبياءُ عليهم السَّلامُ .

وَقالَ الشاذلىُّ : مَنْ لمْ يَتَغلْغَلْ فى علْمنَا هذا مَاتَ مُصراً عَلَى الكبَائر وَهُوَ لا يَشْعُرُ . وحَيْثُ كان فَرْضَ عَيْنٍ يَجبُ السَّفَرُ إلى مَنْ يَأخُذُهُ عَنْهُ إذَا عُرفَ بالتَّربيَة واشْتُهرَ الدَّوَاءُ عَلَى يَده ولَو خَالَفَ وَالدَيه .

وَأمَّا مسائلُه فَهىَ القضايا التى يَبْحَثُ عَنهَا السَّالكُ أثْنَاءَ سَيْره ليَعْمَلَ بمقْتَضاهَا ككَون الإخْلاصِ شَرْطاً فى العَمَل ، وكَون الزُّهد رُكْناً فى الطريق ، وكونَ الصَّمْت والخَلْوَة مَطْلُوبَيْن ، وأمْثَالَ هَذه القَضَايَا فينبَغى تَصَوُّرُهَا قَبْلَ الشُّروعِ فى الخَوضِ فيه علماً وعَملاً ، والله تعَالَى أعلَمُ .

وأمَّا فَضيلَتُهُ فقد تَقَدَّمَ أنَّ مَوضُوعَهُ الذَّاتُ العَليَّةُ ، وَهىَ أفْضَلُ عَلَىَ الإطلاق فَالعلمُ الذَّى يَتَعلَّقُ بها أفْضَلُ عَلَى الإطْلاق هُوَ دالٌّ بأوَّله عَلَى خَشْية الله وَبوَسَطه عَلَى مُعَامَلته ، وبآخره عَلَى مَعْرفَته والانقطاعِ إليْه ، وَهُوَ العلمُ الذَّى دَرَجَ عَلَيه

السَّلَفُ الصَّالحُ منَ الصَّحَابَة والتَّابعينَ وتَابعيهمْ ، وَهُوَ العلمُ الذى لم يَبْعَث الله الأنبياءَ إلاَّ لأجله ، وقَد سَمَّاهُ الله تَعالى فى كتَابه فقهاً وعلماً وَضياءً ونُوراً وهُدىً وَرُشْداً وَهُوَ مُسْتَخْرَجٌ منَ القُرْآن والسُّنَّة ومَدْلُولٌ عليه منهمُا نَصاً وتَصْريحاً وتَلويحاً وكنَايةً وَإشَارَةً وغَيْرَ ذَلكَ منْ أصْنَاف الدِّلالَة .

قَالَ الإمَامُ الغزالىُّ : كان اسْمُ الفقه يُطْلَقُ فى الزَّمَن الأوَّل عَلَى مَعْرفَة طَريق الآخرَة ، ومَعْرفة دقَائق آفات النُّفُوس وَمُفسدَات الأعمال ، وقُوَّة الإحَاطَة بحَقَارَة الدنيا ، وَشدَّة التَّطَلُّع إلَى نَعيم الآخرَة المشار إليه بقَوله تعالَى ﴿ فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّة أَعْيُنٍ ﴾ ، وبقَوْله فى الحَديث القُدْسىِّ (أعْدَدْتُ لعبَادى الصَّالحين مالا عَيْنٌ رأتْ ولا أذُنٌ سمعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) إلى غَيْر ذَلكَ من أعْمَال القَلْب . إلاَّ أنَّ أهْلَ العلمِ الظَّاهر خَصَّصُوا الفقْهَ . بالأحْكَام المعْروفَة فـى هـذَا الفـنِّ (كَأحكـام الطَّهـارَة ، والصَّـلاة والبيـع) الـخ . . ويَدُلُّكَ عَلىَ هـذَا قَوْلُـه تَعالىَ ﴿ لِيَتفقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذرُوا قَومَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ وَمَا به الإنذارُ والتَّخْويفُ هُوَ المُتَعَلِّقُ بإصلاح القَلْب وَاستقامته ، وَالفقْهُ الذى به تَزكيَةُ النَّفس وتَطهيرُها دُونَ تَعريفَات السَّلَم وَالإجارَةَ واللِّعَان ، فَإنَّ ذَلكَ لا يَحْصُلُ به إنْذَارٌ ولاَ تَخويْفٌ . وَمَثَلُ المعْرض عَن العلْمِ الموصِّل إلى الله والمنَجِّى فى الآخـرة ـ مَعَ إقْبـاله عَلَى العُلُوم الظَّاهرة والعَمَل بها ـ مَثَلُ المشْتَغل بطلاء البَدَن عنْد ابتلائه بالجَرَب وَالدَّماميل دُونَ إخرَاج المادَّة بالفَصْد وَالإسْهال ، وَعُلَمَاءُ الآخرة مَعَ اشتغَالهمْ بالأعْمَال الظَّاهرَة يعتَنُونَ بتَطْهير البَاطَن منَ الأمْرَاض القَلْبية بإفسَاد مَنَابتها وقَلع مَغَارسها منْهُ ، وَإذَا صَلُحَ القَلْبُ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَ إذَا فَسَدَ فَسَدَ .

الصَّفوة أهْلُ التَّصوُّف . وذلكَ لأنهُمْ وَرثُوا عُلُومَ الأنبياء واقْتَفَوا آثارَهُمْ فَرَفَضُوا الدنيا ، وتَعَلَّقُوا بالآخـرَة واجتَهدُوا فى جهاد أنفسهمْ حتى سَلسَ قيادُهَا لَهُمْ ﴿وَالَّذِين جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وَمَا أكثَرهُم منَ الصَّحَابة كَأبى بَكْر وعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعلَىٌّ وَحَارثَةَ وحُذيفَةَ وَسَلمَانَ وَمنَ التَّابعينَ كَعلىِّ زَيْنِ العَابدينَ وَابْنه

مُحَمد البَاقر وابنه جَعْفَر الصَّادق وأوَيْس القُرَنى والحَسن البصْرىّ وغَيرهم ممَّنْ لا يُحصَىَ عَدَدُهُم ومَن تَابعيهم كإبْراهيم بْن أدْهَم ودَاودَ الطَّائىَ والجُنَيد ومَنْ أَرَادَ أنْ يَعْرفَ الكَثير منْ كلّ طَبَقَة فَلْيَرجعْ إلى حلية الأوْليَاء لأبى نُعَيم وصَفْوَة الصَّفْوَة وَغَيْرهمَا منْ كُتُب الطَّبقَات .

وَقَالَ الشيْخُ سَلامَةُ العَزَّامىُّ : وأوّلُ هَذه الطريق الشُّرُوعُ فى تكْميل المتَابعَة ، ونَهَايَتُهُ رُسُوخُ القَدَم فى كَمَالها قَلباً وقَالباً ، وَحالاً وخُلُقاً . فإنْ لم تَسْلُكْ طَريقَهُمْ فأحبَّهُمْ ، فَالمرْءُ مَع مَنْ أحبَّ . واعْلَمْ أنَّ أهْلَ الطَّريق الذين وَقَعَ الثّنَاءُ عليهمُ هُمُ الذّينَ تَحلّوا بالاعتقاد الصَّحيح الخَالى عَن البدَع ، وأخَذوا منَ العلمْ بالأحْكَام العَمَليّة ما لابُدَّ منهُ وتَزينّوا بالأخلاق المرْضيَة ورَسَخَتْ أقْدَامُهُمْ فى التَّوبَة والزُّهْد والورَع والتَوكُّل والصبْر وسَائر مقَامَات الدِّين ، وتَجمَّلَ ظَاهرُهُم بالجُمُعَة والجمَاعة وبَاطنُهُمْ بحُبّ المسَاجد وَاحْترَام عُلَماء الأمَّة - ولَيْسُوا بأولئكَ الذّينَ جَهلُوا الأحْكَامَ وأكلُوا الحَرامَ ، وأخلَدُوا إلى التُّرَاب ، وقَنَعُوا بالألقَاب كَشَيخ السَّجَّادَة وشَيْخ مَشَايخ الصُّوفيَّة اعتماداً منهُمْ علَىَ مَا لاَ وَزْنَ لَهَ يَوْمَ العَرْض عَلَيه وقَدْ أفتَى الجَهابذَةُ كَابن حَجَر الهَيْتَمىُّ أنَّ أخْذَهُمُ البيْعَةَ عَلَى النَّاس ، وأخْذَهَا منْهُمْ حَرَامٌ فَإنّهُمْ قُطّاعُ الطريق عَلَى عبَاد الله ، والصَّادُّونَ عَنْ ذكره أهـ . بتَصرُّف كَثير .

ولله مَنْ قَالَ : التَّصَوُّفُ كانَ حالاً ، فصَارَ قالاً . وكَانَ احتسَاباً فَصَارَا اكتسَاباً وكَان اسْتَاراً فصَارَ اشْتهَاراً . وكَانَ اتّباعاً للسَّلَف ، فَصَار اتْباعاً للعَلف ، وكَانَ عمَارةً للصُّدُور فَصَارَ عمَارَةً للقُدُور ، وكَان تَعَفُّفًا فصَارَ تكَلُّفاً ، وكَان تَخلُّقاً فصَار تَملُّقاً ، وكانَ سَقَماً فصَارَ لُقَماً وكَانَ قَنَاعَةً فَصَارَ مجَاعةً ، وكانَ تَجرْيداً فَصَار ثَريداً أهـ .

نبذ فى تاريخ التصوف وأثره : قَال ابْنُ خَلدُون فى مُقَدّمة تَاريخه : علْمُ التَّصَوُّف منَ العُلُوم الشَّرعيَّة الحَادثة فى الملّة ، وأصلُه أنَّ طَريقَةَ هَؤلاء القَوم لم تَزَلَ عندَ سَلَف الأمَّة وكبَارهَا منَ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ ومَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى طَريق الحَقّ

والهدَاية ، وأصلُهُ العكُوفُ عَلَى العبَادَة ، والانقطاعُ إلى الله تَعَالى والإعرَاضُ عَنْ زُخْرُف الدُّنيَا وَزينتها ، والزُّهْدُ فيمَا يُقبلُ عَليه الجُمهُورُ منْ لَذَّة ومَال وَجَاه والانفرَادُ عَن الخَلْق فى الخَلْوَة للعبَادة ، وكَانَ ذَلكَ عَامّاً فى الصَّحابَة والسَّلَف ـ فَلَمَّا فَشَا الإقْبَالُ عَلَى الدنيا فى القَرنَ الثَّانى ومَا بَعْدَهُ وَجَنَحَ النَّاسُ إلى مُخَالطة الدنيا اختُصَّ المقْبلُونَ عَلَى العبَادَة باسم الصُّوفيَّة ـ ولَمَّا أَلَّفَ الفُقَهَاءُ فى الفقه وأصُوله والتَّفسير وَغَير ذَلكَ ـ كَتَبَ رجَالٌ منْ أهْل هذه الطَّريقَة فى طَريقهمْ وجَمَعَ الغزَالىُّ فى الإحيَاء بَيْنَ العلمَين . ثُمَّ إنَّ هذه المُجاهَدَةَ والخلوةَ والذِّكْرَ يَتبَعُهَا غَالباً كَشْفُ حجَاب الحسِّ والاطِّلَاعُ عَلَى عَوَالمَ منْ أمْر الله ليس لصَاحب الحسِّ إدراكُ شىء منهَا والرُّوحُ منْ تلكَ العَوَالم . وسَبَبُ هَذَا الكَشْف : أنَّ الرُّوحَ إذا رَجَعَ عَن الحَسِّ الظَّاهر إلى البَاطن ضَعُفَتْ أحوَالُ الحسِّ وقَويَتْ أحْوالُ الرُّوح وَغَلَبَ سُلطَانُه وأعَانَ علَى ذَلكَ الذكْرُ فإنه كالغذَاء لتنمية الرُّوح ولا يَزَالُ فى نُموّ وتَزَايُد إلى أنْ يَصيَر شُهُوداً بعْدَ أنْ كَانَ علماً ويُكْشَفُ حجَابُ الحسِّ وَيتمُّ وَجُودُ النَّفس الَّذى لَهَا منْ ذَاتهَا ، وَهُوَ عَيْنُ الإدْرَاك فيَتَعَرَّضُ حينَئذ للمَوَاهب الرَّبَّانية والعُلُوم اللَّدُنِّية والفَتْح الإلهىِّ . وَهذَا الكشْفُ كَثيراً ما يَعْرضُ لأهل المجَاهدَة فَيُدركُونَ منْ حقَائق الوُجُود مَا لا يُدْركُ سوَاهُمْ ، وكَذَا يُدْركُونَ كثيراً منَ الوَاقعَات قَبْلَ وُقُوعهَا والعظَماءُ منْهُمْ لا يَعتَبرُونَ هَذَا الكَشْفَ ، ولا يُخبرُونَ عنْ شَىء لَم يُؤمَرُوا بالتَّكَلُّم فيه . بَلْ يَعُدُّونَ مَا وَقَعَ لَهُمْ منْ ذَلكَ محْنَةً ، ويَتَعوَّذُونَ منْهُ إذَا هَاجَمَهُمْ . والصَّحَابَةُ ـ رَضىَ اللهُ عَنْهُمْ ـ كَانوا عَلَى مثْل هذه المجَاهَدَة وكَانَ حَظُّهُمْ منْ هَذه الكَرَامَات أوْفَرَ الحُظُوظ . لَكنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بهَا عنَايةٌ وتَبعَهُمْ عَلَى ذَلكَ الكُمَّلُ منْ أهْل الطَّريقَة . وَهَذا الكَشْفُ لَا يَكُونُ صَحيحاً كَاملاً إلاَّ إذا كانَ نَاشئاً عَن الاستقَامَة ، لأنَّ الكَشْفَ قَدْ يَحْصُلُ لصَاحب الجُوع وَالخَلْوَة وَإنْ لم يكُنْ هُنَاكَ استقَامَةٌ كَالسَّحَرَة والنَّصارَى وَغَيْرهم منَ المُرتَاضينَ

تَرْجَمَةُ المؤلِّف : هَو الدَّاعيَةُ إلىَ الله تَعَالى تَاجُ الدِّين أبُو العَبَّاس أحمَدُ بْنُ محمد بن

عَبد الكريم بْن عَطَاء الله الجُذَامىُّ السَّكَنْدَرىُّ كَانَ جامعاً لأصنَاف العلُوم كَاتباً شاعراً جَمَيلَ المعَانى كَريمَ المبَانى حَسَنَ النَّظَر فى مذْهَب الشَّافعىِّ وَمَالك . صَحبَ الشَّيْخَ أبَا العَبَّاس المرْسىَّ وتخرَّج عَلَيْه فى عُلُوم القَوْم وآدابهمْ وأصْبَحَ المشَارَ إليْه فيها . وكانَ مُلتزماً للشَّريعَة مُدَافعاً عَنْهَا رَاداً عَلَى المتَصوِّفَة الذين أحْدَثُوا بدعاً منَ القَوْل وَالفعْل لاَ يُقرهُمْ عَلَيهَا الشَّرْعُ ولا العَقْلُ . وتَزَعَّمَ الرَّدَّ على ابن تَيْميَةَ فى تحامُله عَلَى الصُّوفيَة . وكانَ يَغْترفُ منْ دُرُوسه فى الأزْهَر كبَارُ العُلَمَاء وَهُوَ ثَالثُ ثَلاثة يَجْدُرُ بكُلِّ واحد منْهم أنْ يَقُولَ لصَاحبه (أنَا أنْتَ وأنْتَ أنَا) الشَّاذُلىُّ والمرْسىُّ وابْنُ عطَاء الله . سكَنَ القَاهرَةَ ومَاتَ بهَا بالمدْرَسَة المنْصُورية سَنَة 709 هجريةً .

اتِّصَالُهُ بِأبِى العبَّاسِ المرْسِىِّ: قَالَ فى لَطَائف المنَن : كُنْتُ لأمْر أبى العبَّاس منْ المنْكرينَ وَعَلَيْه منَ المعتَرضينَ لا لشَيء سَمعْتُهُ منْهُ ، ولا لشَيء صَحَّ نَقْلُهُ عَنْهُ ، حَتَّى جَرَتْ بَيْنى وَبَيْنَ بَعض أصْحَابه مُقَاولَةٌ . وذَلكَ قَبْلَ صُحْبَتى إيَّاهُ . وُقلتُ لرَجُل منهُمْ : ليس العُلَمَاءُ إلاَّ أهلَ العلْم الظَّاهر وَهؤلاَء القَوْمُ يَدَّعُونَ أمُوراً عَظيمةً ظَاهرُ الشَّرع يَأبَاهَا . ثُمَّ قُلْتُ فى نَفسى : دَعْنى أذْهَبْ إلى هَذا الرَّجُل ، وأنْظُرْ فى شأنه فصَاحبُ الحقِّ له أمارَاتٌ لا تخفَى فأتَيْتُ إلى مَجْلسه فوَجَدْتُهُ يَتَكَلَّمُ فى الأنْفَاس التى أمَرَ بهَا الشَّارعُ فقال الأوَّل إسلامٌ والثانى إيمَانٌ وَالثَّالثُ إحْسَانٌ . وَإنْ شئتَ قُلْتَ : الأوَّلُ عبَادةٌ ، والثانى عُبُوديّةٌ ، والثّالثُ عُبُودَةٌ ، وإنْ شئتَ قلتَ : الأوّلُ شَريعَةٌ والثَّانى حَقيقَةٌ والثَّالثُ تَحقُّقٌ أو نحو هذا فما زَالَ يَقُولُ : وإنْ شئتَ قُلْتَ ، وإنْ شئتَ قُلْتَ ، إلى أنْ بَهرَ عقْلى وَعَلمتُ أنَّ الرَّجُلَ إنَّمَا يَغْترفُ منْ بَحْر إلهىٍّ ، ومَدَد رَبَّانى فأذْهَبَ اللهُ ما كانَ عنْدى . ثُمّ أتَيْتُ تلكَ الليلةَ إلى المنْزل فلم أجدْ شَيئاً فىَّ يقبَلُ الاجتماعَ بالأهل عَلَى عَادَتى ، وَوَجدْتُ مَعْنىً غَريباً لا أدْرى ما هُوَ فَانفرَدْتُ فى مكَان أنظُرُ إلىّ السَّمَاء ، وإلى كَوَاكبها ، ومَا خلَقَ اللهُ فيها منْ عَجَائب قُدْرَته فحَمَلَنى ذَلكَ إلى العَوْدَة إليه مرَّة أخرى . فأتَيْتُ إليه فاسْتُؤْذنَ لى عَلَيه ـ فَلَمَّا

دَخَلتُ إليه قَامَ قائمًا وتَلَقَانى ببَشاشَة وإقْبال حتّى دَهشْتُ خجَلاً ، واستصغرت نفسى أن أكون أهلاً لذلك . فكَان أوّل مَا قُلتُ له : يَا سَيِّدى أنَا وَاللّه أحِبُّكَ فَقَالَ: أحبَّكَ اللهُ كَما أحْبَبْتَنى ثُمَّ شكَوْتُ إلَيْه ما أجدُهُ من هُمُوم وأحْزَان فقَالَ : أحْوالُ العبْد أربعةٌ لاَ خَامسَ لَها : النِّعْمَةُ والبَلّيَةُ والطَّاعَةُ والمعْصيَةُ فَإنْ كُنْتَ بالنَعمَة فَمُقْتَضَى الحَقِّ منْكَ الشُكْرُ ، وَإنْ كُنْتَ بالبَليَّة فَمُقتَضى الحقِّ منْكَ الصبْر ، وإنْ كُنْتَ بالطَّاعَة فَمُقتَضَى الحقِّ منكَ شُهُودُ منَّته عَلَيكَ فيهَا ، وإنْ كُنْتَ بالمعْصيَة فمقتَضى الحقِّ منكَ وُجُودُ الاستغْفَار . فَقُمْتُ مَنْ عنده ، وكأنَّمَا كَانَت الهُمُومُ والأحْزَانُ ثَوباً نَزَعتُهُ ، ثُمَّ سألَنى بَعْدَ ذَلكَ بمُدَّة كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقلتُ أفَتِّشُ عَلَى الهَمِّ فَما أجدُهُ فَقَالَ :

لَيْـلى بوَجْهـكَ مُشْـرقٌ   وَظَـلامُهُ فى النَّـاس سَـارى
والنَّاسُ فى سُدَف الظَّلام   وَنَحْـنُ فى ضَـوْء النَّـهَار

الزَمْ فَو الله لئنْ لَزمتَ لَتَكُونَنَّ مُفْتياً فى المذهَبَين (يُريدُ مَذْهَبَ أهْل الشَّريعَة منْ أصْحَاب العُـلُوم ، وَمَذْهـبَ أهْـل الحـقيقَة مـنْ أصْحَاب عُلُوم البـاطن) .

مُـؤلَّفَاتُهُ :(1) لَطَائفُ المنَن فى تَرْجَمَة سَيِّدى أبى العَبَّاس وَسَيِّدى أبى الحسَن (2) مفْتَاحُ الفَلاح ومصْبَاحُ الأرْوَاح (فى الطريق وَصفَة سُلُوكها) (3) التنْويرُ فى إسقَاط التّدبير . (4) تَاجُ العَرُوس لتهذيب النُّفُوس (5) تُحْفَةَ الخلاَّن (6) القَصْدُ المجرَّدُ فى الاسْم المفْرَد (اللّهُ) (7) الحكَمُ العَطَائيَّةُ وَهىَ أشْهَرُ كُتُبه وأدَقُّهَا وأنْفَعُهَا وَحينَمَا عَرَضَهَا عَلَى شَيْخه أبى العَبَّاس وَتَأمَّلَهَا قَالَ : لَقَدْ أتَيْتَ يَا بُنَىَّ فى هَذه الكُرَّاسَة بمَقَاصد الإحيَاء وَزيَادَة . وهىَ سفرٌ منْ أسْفار الأدَب الرَّائع ولا تَزَالُ تَبْعَثُ فى قُلُوب المريدينَ - أنواراً - لَمْ يَهْتَد إليهَا الشَّارحُونَ . وقد ضَمَّنَهُ منْ عُلُوم القَوم أرْبَعَةَ الأوَّلُ علْمُ التَّذْكير والوعَظ وقد حَازَ منْهُ أوْفَرَ نَصيب وَهُوَ لمقَام العوَامِّ . الثانى تصفيةُ الأعْمَال وَتَصحيحُ الأحْوَال بتَحْليَة البَاطن بالأخلاَق المحْمُودَة وتَطهيره منَ الأوصَاف المذْمُومَة . وهَذا حَظُّ المتَوَجِّهينَ منَ الصَّادقينَ والمبْتَدئينَ منَ السَّالكينَ .

الثَّـالثُ تَحْـقـيقُ الأحْـوَال والمقَـامَـات وأحْكَام الأذْواق والمنَازلات وَهُوَ نَصـيبُ المسْتَشْرفينَ منَ المريدينَ والمبْتَدئينَ منَ العَارفينَ . الرَّابعُ المعَارفُ والعُلُومُ الإلهَاميَّةُ ، وَفيه منْهَا مَا لا يَخْفَى لكنَّ كُتُبَهُ مُلئتْ بهَا لَا سيَّمَا التَّنْوير ولَطَائفُ المنَن اللذان هُمَا كَالشَّرْح لجُملة هَذا الكتَاب وَبالجُمْلَة فَهُوَ جَامعٌ لمّا فى كُتُب الصُّوفيَّة المَطوَّلَة والمختَصَرة مَعَ زَيادة البَيَان وَاخْتصَار الألْفَاظ والمَسْلَكُ الذى سَلكَ فيه مَسْلَكٌ تَوْحيدىٌّ لا يَسَعُ أحَداً إنْكَارُه ولا الطَّعْنُ فيه ولا يَدَع للمُعتَنى به صفَةً حَميدَةً إلا كسَاهُ إيَّاهَا وَلا صفَةً ذَميمَةً إلاَّ أزَالَها عَنْهُ بإذن الله أ هـ .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

جَزَى اللهُ عَنَّا سَيِّدَنَا محمداً ﷺ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

يَا مَالكَ يَوْمِ الدِّين . إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدنَا الصِّرَاطَ المستقيمَ وسَلامٌ على المرْسَلِينَ والحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ .

(شَرْحُ تـرتيب)

حِكَم الإِمَامِ ابْنِ عَطَاءِ اللهِ الإِسْكَنْدَرِيّ

لشَاعر النبى ﷺ محمد خليل الخطيب النيدى

(حرف الألف)

(1) ـ إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةَ الله إِيَّاكَ فِى الأَسْبَاب [1] منَ الشَّهْوَة [2] الخَفِيَّة [3] وإِرَادَتُكَ الأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ الله إياك فِى التجريد [4] انحطَاط عَنِ الهمة العَلية [5] .

(1) الأَسْبَابُ : ما يُتَوَصَّلُ بهَا إِلىَ مَقَاصد الدُّنيا . والتَّجْرِيدُ : عَدَمُ تَشَاغُله بتلْكَ الأَسْبَاب لأَجْلِ ذَلكَ وَعَلامَةُ ذَلكَ أَنْ يُهَيِّئَهَا اللهُ لَكَ مَعَ سَلامَة دينكَ عِنْدَ الاشْتغَال بهَا . وَانقطَاعِ طَمَعكَ عَمَّا بأَيدى النَّاس .

(2) وكَانَتْ شَهْوَةً لعَدَمِ وُقُوفكَ عَلَى مُرَاد سَيِّدكَ ومُوَافَقَتكَ مُرَادكَ .

(3) وَخَفيَّةً لأَنَّ ظَاهرَ تَجرُّدكَ : الإنْقطَاعُ إِلىَ الله تَعَالَى والتَّقَرُّبُ إِليْه وبَاطنَهُ الشُّهْرَةُ بالولاية ليَقْصدكَ النَّاسُ بالاعتقَاد والتقرُّب إِلَيْكَ فَتَنْقَطعَ عَمَّا أَنْتَ بصَدَده فَقَدْ قَالَ العَارفونَ : إِقْبَالُ النَّاس عَلَى المرُيد قَبْلَ كَمَاله سُمٌّ قَاتلٌ .

(4) بأَنْ يَسَّرَ لَكَ القُوتَ منْ حَيْثُ لا تَحْتَسبُ مَعَ الطَّاعَة .

(5) لإِرَادَتكَ الرُّجُوعَ إِلى الخَلق بَعْدَ التَّعَلُّق بالحقِّ . والهمَّةُ حَالَة للقَلْب وَهىَ قُوَّةُ إِرادَة وَغَلَبَةُ انبعَاث لنَيْلِ مَقْصُودٍ ما . وَهىَ عَاليَةٌ إِنْ تَعَلَّقَتْ بمَعَالى الأمُور . وَسَافلَةٌ إِنْ تَعَلَّقَتْ بسَافلهَا=

=قَالَ رضي الله عنه شَارحاً هذه المسْألةَ فى كتَابه التَّنوير فى إسقَاط التَّدْبير : افْهَمْ رَحمكَ اللهُ أنَّ منْ شأن العَدوِّ أنْ يأتيَكَ فيما أنْتَ فيه ممَّا أقَامَكَ اللهُ فيه فَيُحقِّرهُ عندَكَ لتطْلب غَيْرَ مَا أقَامَكَ اللهُ فيه فَيُشوِّش عَلَيْكَ قَلْبَكَ ويُكدِّر وَقْتَكَ . وذَلكَ أنَّه يأتى المتَسبِّبينَ فَيقُولُ لهُمْ : لو تَركتُم الأسْبابَ وتَجرَّدتُم لأشْرقَتْ لكمُ الأنْوارُ ، ولَصفَتْ منْكُمُ القُلُوبُ والأسْرارُ قَائلاً : وكَذلكَ صَنَعَ فلانٌ وفُلانٌ ، ويكُونُ هذاَ العَبْدُ ليس مَقصُوداً بالتَّجْريد ولا طَاقَةَ له به إنَّمَا صَلاحُهُ فى الأسْبَاب فيتْرُكُهَا فيَتزلزَلُ إيمَانُهُ ويَذهَبُ إيقَانُهُ . ويَتوجَّهُ إلىَ الطَّلب منَ الخَلق ، وإلىَ الاهتمام بأمر الرِّزْق فيُرمَى فى بَحْر القَطيعة . وكَذلكَ يأتى المتَجردينَ ، ويَقُولُ لهُمْ : إلىَ متَى تَتركُونَ الأسْبَابَ ألم تَعْلَمُوا أنَّ تَرْكَ الأسْبَاب تَتطلَّعُ مَعَهُ القُلوبُ إلىَ مَا فى أيْدى النَّاس ويَفتَحُ بَابَ الطَّمَع ، ولا يمكنُكمُ الإسْعَافُ والإيثَارُ ولا القيامُ بالحُقُوق وعَوضْ مَا تكونُ مُنْتَظراً لمَا يُفْتَحُ به عَلَيْكَ منَ الخلق فلَوْ دَخلتَ فى الأسْبَاب بَقىَ غَيْرُكَ مُنْتَظراً مَا يُفْتَحُ به عَلَيه منْكَ إلىَ غَيْر ذلكَ . ويَكونَ هَذَا العَبْدُ قَدْ طَابَ وَقتُهُ وانبَسَطَ نُورُهُ ، ووَجَدَ الرَّاحَةَ بالانقطَاع عَن الخَلْق فَلا يَزَالُ به حَتَّى يَعُودَ إلى الأسْبَاب فَتُصيبَهُ كُدُورتُهَا وتَغْشَاهُ ظُلمتُها ، ويَعُودُ الدَّائمُ فى سَببه أحْسَنَ حَالاً منْهُ لأنَّه ما سَلَكَ طَريقاً ثُمَّ رَجعَ عَنْهَا فَافْهَمَ وَاعتَصم بالله . وَمَنْ يَعْتَصمْ بالله فَقَدْ هُدىَ إلىَ صرَاط مُستَقيم . وإنَّما قَصَدَ الشَّيْطَانُ بذَلكَ أنْ يمنَعهُمُ الرِّضَا عَن الله تعَالَى فيمَا هُمْ فيه وَأنْ يُخرجَهُمْ عَنْ مُخْتَار الله لَهُمْ إلىَ مُختَارهم لأنفُسهمْ وَ مَا أدْخلَكَ اللهُ فيْه تَولَّى إعَانَتَكَ عَلَيْه ، ومَا دَخلْتَ فيه بنَفْسكَ وَكَلَكَ اللهُ إليْه وَالذى يَقْتَضيه الحقُّ مْنكَ أنْ تَمكُثَ حَيْثُ أقَامَكَ حَتَّى يكُونَ الحقُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الذى يَتولَّى إخرَاجَكَ كَمَا تَولَّى إدْخَالَكَ ، ولَيسَ الشَّأنُ أنْ تَتْرُكَ السَّببَ بَل الشَّأنُ أنْ يَتْركَكَ السَّببُ اهـ ، بتَصرُّف وَهُوَ كَلامٌ حَسَنٌ مُبَاركٌ وَضَّح به هذه المسْألَةَ ، مَسْألَةَ التَّكَسُّب وَالتَّجرُّد ، ولَيْتَهُ وَضَّحَ هذا التَّوضيح كُلَّ مَسَائل كتَابه .

وقلت فى هذا المعنى :

لشَهْوَةٍ خَفيَتْ تَبْغى تَجرُّدَكَا	يَا مَنْ أقَامَكَ فى الأسْبَاب مَوْلاكَا
وَسَاقطُ الهَمِّ مَن مَوْلاهُ جَرَّدَهُ	منْهَا ويَبْغى بهَا للرزْق إدْراكَا

(2) أَرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ (1) فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُكَ عَنْكَ (2) لاَ تَقُومُ بِهِ لِنَفْسِكَ .

(3) اجتِهادُكَ فِيمَا ضُمِنَ لَكَ (1) وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ (2) دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاس (3) البَصِيرَةِ مِنْكَ .

(4) إِذَا فَتَحَ لَكَ وِجْهَةً (1) مِنَ التَّعَرُّفِ فَلا تُبَالِ مَعَهَا أَنْ قَلَّ عَمَلُكَ فَإِنه مَا فَتَحَهَا لَكَ إِلاَّ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ (2) إِلَيْكَ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّعَرُّفَ هُوَ مُورِدُه

---

(2) ـ (1) لأَمْرِ دينكَ وَدُنْيَاكَ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدِّرَ الشَّخْصُ أَحْوَالاً يكُونُ عَلَيْهَا عَلَى مَا تَقْتَضِيه شَهْوَتُهُ وَيُدَبِّرَ لَهَا مَا يَلِيقُ بِهَا مِنْ أَحْوَال وأَعْمَال وَيَهِمَّ لِذلكَ التَّدْبِير .

(2) وَهُوَ اللهُ وإِنَّمَا خَاطَبَ المريدَ لأَنَّهُ إِذَا تَوَجَّهَ لحضرَةِ الرَّبِّ واشْتَغَلَ بالأَوْرَاد تَعطَّلَتْ أَسْبَابُ مَعَاشه غَالباً فيُوَسْوِسُ إِليْه الشَّيْطَانُ ويَصيرُ يُدَبِّرُ لنَفْسه أُمُوراً لا يَقَعُ أَكْثَرهَا ، وَذَلكَ يَشْغَلُهُ عَمَّا هُوَ بِصَدَده فَيَرجعُ عَمَّا هُوَ مُتَوجِّهٌ إليْه . وَدَوَاؤُهُ كَثْرَةُ الذِّكْرِ والرِّيَاضَةُ حَتَّى يَرْجعَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ وَيَنْقَطِعَ عَنِ التَّدْبيرِ . وَقُلْتُ .

اللهُ دَبَّرَ مَا يكُونُ وكَانَا . . . أَوَ مَا كَفَاكَ مُدَبِّراً مَوْلانَا

(3) ـ (1) ـ المَضْمُونُ : الرِّزْقُ والضَّامِنُ اللهُ قَالَ اللهُ تَعَالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ .

(2) المطْلُوبُ : العبَادَةُ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ .

(3) انْطِمَاسُ البَصِيرَة : عَمَى عَيْنِ القَلْب . وَفِي تَعْبِيرِه باجْتِهَاد إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ طَلَبَ الرزْق مِنْ غَيْرِ اجْتِهَادٍ لاَ بَأْسَ بِه لِلْمرِيد وَلاَ يَدُلُّ عَلَى انْطِمَاس بَصِيرَتِه .

مَنْ جَدَّ فِي مَضْمُونِه وَقَصَّرَا . . . فِي أَمْرِه فَقَلْبُهُ مَا أَبْصَرَا

(4) ـ (1) نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ المعْرِفَة كَأَنْ عَرَفَ بِطَرِيقِ الذَّوْق أَنَّ اللهَ حَاضِرٌ مَعَهُ . أَوْ عَرَفَ ذَوْقاً أَنَّه لا فَاعِلَ إِلاَّ اللهُ لأَنَّ القَصْدَ مِنَ العَمَلِ القُرْبُ مِنَ الله وَفَتحُ تلك الوجْهَة دَليلٌ عَلَى ذَلكَ . وَقَدْ تَكُونُ قِلَّةُ العَمَلِ بِسَبَبِ مَرَضٍ فإِذَا عَرَفَ أَنَّ نُزُولَ المرَضِ بِه خَيْرٌ مِنَ الصِّحَة لمَا فيه مِنْ تَرَقِّيه وأَنَّ اللهَ يَفْعَلُ بِه مَا يُرِيدُ ـ فَلا يُبَالي حِينَئذ بقِلَّة العَمَل .

(2) (يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ) يُوَاجِهُكَ بِفَضْلِه . وَيَقْرُبُ مِنْكَ .

عَلَيكَ (1) وَالأعمَالَ أنتَ مُهْدِيهَا إليْه وَأيْنَ مَا تُهْديه إليْه ممَّا هُوَ مُوردُهُ عَلَيكَ ؟

(5) الأعْمَالُ (1) صُوَرٌ قَائمةٌ (2) وأرْوَاحُهَا (3) وُجُودُ سرِّ الإخْلاَص فيهَا (4).

---

(4) ـ (1) (مُوردُهُ عَلَيْكَ) مُحصِّلُهُ لكَ فَضْلاً ، والحاصلُ أنَّ قَليلَ العَمَل مَعَ المعرفَة خَيْرٌ منْ كَثير العَمَل بدُونهَا فَإذَا حَصلَ للسَّالك بَعْضُهَا حُقَّ عَلَيْه أنْ يَزيدَ في تَوْجيه قَلْبه لربِّه ليَزيدَهُ منْهَا . ويَهتمَّ بذَلكَ أكثَرَ منَ اهتمامه بالأعْمَال . ولذَا كانَتْ أعْمَالُ العَارفينَ الظَّاهرَةُ قَليلةً فى أوَاخر أمْرهمْ . ومَا زَالُوا يَحنُّونَ إلى البدَايَة لمَا فيهَا منْ كَثْرَة الأنْوَار بسَبَب كَثْرة الأعْمَال .

وقلت فى هذا المعنى :

وَمَنْ تَعَــرَّفَ مَــوْلاهُ الكَريمُ لَهُ ... فَــلاَ مَــلاَمَ إذَا لَمْ يُكْثــرِ الْعَــمَــلاَ

(5) ـ (1) الأعْمَالُ الظَّاهرَةُ

(2) كَالأشْخَاص بلاَ أرْوَاحٍ فلا نَفْعَ بهَا .

(3) التَّى بهَا حَيَاتُهَا ونَفْعُهَا .

(4) أىْ سرٌّ هُوَ الإخْـلاَصُ . والإخْلاَصُ يَخْتَلفُ باخْتـلاف النَّاس فَإخْلاَصُ العُبَّاد : سَلامَةُ أعْمَالهم منَ الريَاء الجلىِّ وَالخفىِّ وكُلِّ مَا فيه حَظٌّ للنَّفْس فَلاَ يَعْمَلُونَ العَمَلَ إلا لله تَعَالَى طَلباً للثَّوَاب وَهَرَباً منْ العقَاب مَعَ نسبَة العَمَل إليْهمْ والاعتماد عَلَيْه فى تَحْصيل مَا ذُكرَ . وإخْلاصُ المحبِّينَ : هُوَ العَمَلُ للَّه إجْلالاً وتَعْظيماً لأنَّه تَعَالَى أهْلٌ لذَلكَ لا لقَصْد ثَوَاب وَلا لهَرب منْ عقَاب ، وقُلْتُ فى مَجَامع الأنْوار .

لَم يَعبُدُوهُ لأنَّهُـمْ يَخشَونَهُ ... أوْ أنَّهُمْ يرْجُونَ منهُ نَدَاه

لكنَّهُمْ عَبدوا الذى منْ حَقّه ... أنْ يَعْـبُدُوهُ وَمَا رَأوْا إلَّاهُ

وَإخلاَصُ العَارفينَ : شُهُودُهُمُ انْفرَادَ الحَقِّ بتَحريكهمْ وتَسكينهم منْ غَير أنْ يَروْا لأنفُسهمْ فى ذَلكَ حَوَلاً وَلا قُوَّةً . فَلاَ يَعْمَلُونَ العَمَلَ إلاَّ بالله لا بحَولهمْ ولاَ قُوَّتهم وَهَذَا أرْفَعُ ممَّا قَبْلَهُ أىْ شُهُودُهُمْ أنَّ العَمَلَ منْهُ لامنْهُمْ وقُلْتُ :

وَمَا الأعْمَالُ إلاَّ ميِّتَاتُ ... وَبالإخْلاَص تَغمُرُهَا الحيَاةُ

(6) ادفــنْ وُجُــودكَ فِــي أرْضِ الخُمــولِ (1) فَمَــا نَبَتَ مِمَّــا لــم يُدْفــنْ لا يَتِمُّ نَتَاجُهُ (2).

---

(6) ـ (1) الخمُولُ : عَدَمُ الشُّهْرَة ، وقد شَبَّههُ بالأرْض وَدَفْنُ وُجُودكَ فيه أنْ لا تَتَعَاطَى أسْبَابَ الشُّهْرَة منَ المَناصب ممَّا فيه انْتشَارُ الصِّيت ، قَالَ بَعْضُهُمْ . طَرِيقَتُنَا هَذه لاَ تَصْلُحُ إلاَّ لأقْوام كُنسَتْ بأرْوَاحِهمُ المزَابلُ ، وَقَالَ إبْراهيمُ بْنُ أدْهَمَ : مَا صَدَقَ اللّهَ مَنْ أحبَّ الشُّهْرَةَ . أهـ ، فَلاَبُدَّ للمُريد منْ إسْقَاط جَاهه وَخُمُول ذكره وَفراره عَنْ مَوَاضِع اشْتهاره وَتَعَاطيه أمُوراً مُباحةً تُسْقطُهُ منْ أعْين النَّاس ، وَقَدْ بَالَغَ أئمةُ الصُّوفية رَضِي اللهُ عَنْهمْ فِى مُدَاوَاة علَة الجَاه والشُّهْرَة حَتَّى اسْتعملُوا فى ذَلكَ أشْيَاءَ منكَرَةً فِى ظَاهر الشَّرع ، وَرَآوا ذَلكَ جَائزاً لَهُمْ أنْ يَفْعَلُوهُ وَيَأمُرُوا به كَقصَّة دَاخل الحَمَّام الذى لَبسَ منْ فَاخر ثِيَاب النَّاس بحيثُ تَظهَرُ وَمَشَى مُتَحيِّراً بحَيثُ يُرَى فَلَمَّا شُوهدَ نُزعَتْ عَنْهُ الثِّيَابُ وَصُفعَ وَاشْتُهرَ بلصِّ الحَمَّام فَرجَعَ إليْه قَلْبُهُ . وَقَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ لأصْحَابه : أيْن تنْبُتُ الحبَّةُ ؟ . قَالُوا فى الأرْض . فَقَالَ : **كذلك الحكْمةُ لا تنْبُتُ إلاَّ فى قَلْب مثْل الأرْضِ** أهـ . فَإنْ سَلَكْتَ الطَّرِيقَ بَعْدَ شُهْرَتكَ فَالواجبُ عَلَيْكَ التَّوَاضُعُ وَأنْ لا تَرَ لنَفْسكَ مَقَاماً ولا تَرَى مَا أنْتَ فيه منَ المَنَاصب وَغَيْرهَا شَيْئاً عَظيماً . بل ترَى أنَّ الخَيرَ فى تَرْكه لكنْ لاَ تَتْرُكْهُ إلاَّ بإذْن شَيْخكَ أوْ إشَارة إلهية .

(2) بَلْ يَخْرجُ ضَعيفاً مُصْفَراً لا يُنْتَفَعُ به تَمَامَ الانْتفَاع وَإذَا لَم يَنْبُتْ فَالغَالبُ يلْتَقطُهُ الطَّائرُ فَلا يُنْتَفَعُ به أيْضاً . وكَذَلكَ السَّالكُ إذا تَعَاطَى أسْبَابَ الشُّهْرَة فى بدايَته قَلَّ أنْ يُفْلحَ فى نهَايَته ، وَبقَدْر تَحققُّه بوَصْف الخُمول يَتَحَقَّقُ لَهُ مَقَامُ الإخْلاص فَمَبْنَى أمْره فى الابْتداء عَلَى الفرَار منَ الخَلق حَتَّى إذَا فَنيَتْ أوْصَافُهُ وَبَقى بربِّه كَانَ مَعَ مَوْلاَه . إنْ شَاءَ أظْهَرَهُ وَإنْ شَاءَ أخْفَاهُ . قَالَ أبُو العَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَنْ أحبَّ الظُّهُورَ فَهُوَ عَبْدُ الظُّهُور . وَمَنْ أحبَّ الخفَاءَ فَهُوَ عَبْدُ الخفَاء . وَمَنْ كَانَ عَبْدَ الله فَسَواءٌ أظْهرَهُ أوْ أخفَاهُ . وَنَظمْتُهَا . فَقُلْتُ :

ادفنْ وُجُودَكَ فِى أرْضِ الخُمُولِ فَمَا ... يَنْبُتْ بِلا دَفْنِه لا يُنتِجُ الثَّمرَا

(7) الكَوْنُ (1) كُلُّهُ ظُلمَةٌ (2) وَإِنَّمَا أَنَارَهُ (3) ظُهُورُ الحَق (4) فيه فَمَنْ رَأى الكَوْنَ (5) ولَم يَشْهَدْهُ فيه أوْ عنْدَهُ أوْ قَبْلَهُ أوْ بَعْدَهُ فَقَدْ أعْوَزَهُ (6) وُجُودُ الأنْوارِ (7) . وَحُجبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ المعَارِفِ (8) بِسُحُبِ الآثَارِ (9) .

---

(7) ـ (1) الكَوْنُ : المَوْجُودَاتُ بِأسْرِهَا .

(2) عَدَمٌ مَحضٌ لاَ وجُودَ له فى نَظَرِ أرْبَابِ الشُّهودِ .

(3) أوْجَدَهُ .

(4) اللّه .

(5) شَيْئاً منْهُ .

(6) فَاتَهُ .

(7) الإلهيَّةُ التى يُدْرِكُ بهَا مُشَاهَدَةَ اللّه عَلَى أيِّ وَجْه من الوُجُوه المذكورة .

(8) المعَارفُ التى كالشُّمُوس .

(9) الأكوان التى كالسُّحُبِ بجَامع أنه كُلاً يَحْجُبُ مَاوَرَاءَهُ ، قَالَ المصنِّفُ رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى : « ممَّا يَدلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ سُبْحَانَهُ أنْ حَجَبَكَ عَنْهُ بمَا ليس بمَوْجُود مَعَهُ ، كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى أظْهَرَ كُلَّ شَىء . كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ بكُلِّ شَىء : كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ فِي كُلِّ شَىء كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ لكُلِّ شَىء كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الظاهِرُ قَبْلَ وُجُود كُلِّ شَىء ، كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ . وَهُوَ أظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَىء . كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ ، وَهُوَ الوَاحدُ الذى ليسَ مَعَهُ شَىءٌ ، كَيْفَ يُتَصوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ ، وَلَوْلاَهُ مَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَىء . يَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الوُجُودُ فى العَدَمِ ؟ أم كَيْفَ يَثْبُتُ الحَادثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصفُ القدَمِ ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَهَذَا الفَصْلُ مِنْ قَوْله : الكَونُ كُلُّهُ ظُلمَةٌ إلىَ هُنَا ـ أبْدَعَ فيه المؤلِّفُ غَايَةَ الإبْدَاعِ . وأتَى بمَا تَقَرُّ به الأعْيُنُ وتَلَذُّ الأسْمَاعُ . فَإنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَكَرَ مُتَعلِّقَات الظُّهورُ . وأبْطَلَ حجَابية كُلِّ ظَلام ونُور . وأرَاكَ فيه الحقَّ رؤيَةَ عيَان وبُرْهَان وَرَفَعَكَ منْ مَقَامِ الإيمَان إلىَ أعْلَى مَرَاتب الإحْسَان كُلُّ ذَلكَ فى أوْجَز لَفْظ وأفْصَح عبَارَة . وأتَمِّ تَصْريح وألطَف إشَارَة . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فى هَذَا الكتَاب إلاَّ هَذا الفَصلُ لكَانَ كَافياً شَافياً فَجَزَاهُ اللّهُ عَنَّا خَيْراً : =

(8) إحَالَتُكَ الأعْمَالَ (1) عَلَى وُجُود الفَرَاغ (2) مِنْ رُعُونَات النَّفْس (3)

(9) اهتَدَى الرَّاحلُونَ (1) بأنْوار التَّوَجُّه (2) وَالوَاصلُونَ لَهُمْ أنْوَارُ المواجَهَة (3) فَالأولُونَ للأنْوَارِ (4) وَهَؤلاءِ الأنْوَارُ لَهُمْ (5) لأنَّهُمْ للهِ لاَ لِشَيءٍ دُونَهُ (قُلِ اللهُ (6) ثُمَّ

= وقلت فى هذا المعنى :

وَمَا الكَوْنُ إلاَّ ظلمةٌ وأنارَهُ ... ظُهُورٌ لمولاَنَا تَبَارَكَ فِيهِ

فَمَنْ رَآهُ وَقَبْلاً مَا رَآهُ وَلاَ ... بَعْداً بِهِ عِنْدَهُ جَمَّتْ دَيَاجِيهِ

(8) ـ (1) الصَّالحَةَ .

(2) مِنْ أمُور الدنيا .

(3) حَمَاقَاتُهَا ، وَحَمَاقَتُهُ مِنْ جهةِ إيثَاره الدُنيَا عَلَى الآخرة وتَسويفه العَمَلَ إلىَ أوَان فَرَاغه . وقَدْ يَختَطِفُهُ المَوْتُ قَبْلَ ذَلكَ أوْ يَزْدَادُ شُغْلُهُ لأنَّ أشغَالَ الدنيَا يَتَدَاعَى بَعْضُهَا إلىَ بَعْضٍ قَالَ المتنبى :

فَمَا قَضَى أحَدٌ مِنهَا لُبَانَتَهُ ... وَلا انْتَهَى أربٌ إلاَّ إلىَ أرَبِ

بَلِ الوَاجِبُ أنْ يَنتَهزَ الفُرْصَةَ مَا أمْكَنَ وَيُبَادرَ إلىَ العَمَلِ الأحْسَنِ قَالَ :

وَسِرْ زَمناً وَانهَضْ كَسِيراً فَحَظُّكَ البَطَالَةُ مَا أخَّرْتَ عَزْماً لصحَّة

وَقُلْتُ : إنَّ الكَفَافَ كِفَايةٌ لمَن الرَّدَى ؟ ... لابُدَّ مِنْهُ لَهُ بلا ميعَاد

وَأتَمُّ خَلْقِ اللهِ عَقْلاً مُؤثِرٌ ... ذَاتَ البَقَاءِ عَلَى التى لِنَفَاد

وقلت : وَأحْمَقُ الناسِ مُزْجٍ أمْرَ أخْراهُ ... حَتى يُحقِقَ مَا ترجوهُ دُنياهُ

(9) ـ (1) السَّائرُونَ .

(2) الحَاصلَة مِنَ العبَادَات والرِّيَاضَات التَى تَوَجَّهُوا بهَا إلىَ حَضْرَة الرَّبِّ .

(3) أى الأنْوَارُ التى وَاجهَتْهُمْ مِنْ حَضْرَة الرَّبِّ أىْ : أفيضَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَرَفُوه .

(4) عَبيدٌ لَها وَمُحتَاجُونَ إليها للتَّوَصُّلِ إلىَ مَطْلُوبهِم .

(5) ثَابتَةٌ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة مَعَ فَنَائهمْ عَنْهَا بربِّهمْ .

(6) أىْ تَوَجَّهْ إليْهِ وَلا تَملْ إلىَ أنْوَارٍ وَلا غَيْرِهَا .

ذَرهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يلْعَبُونَ[1]) .

(10) الحق ليس بمَحْجُوبٍ وإنَّما المحُجُوبُ أنتَ[1] عَنِ النَّظَرِ إليْه إذ لَوْ حَجَبَهُ شَىءٌ لَسَتَرَهُ مَا حَجَبَهُ[2] .

ولَوْ كَانَ لَهُ سَاترٌ لكَانَ لوُجُوده[3] حَاصِرٌ[4] وكُلُّ حَاصِرٍ لشَىءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ[5] (وَهُو القَاهِرُ فَوْقَ عبَاده) .

(11) اخْرُجْ[1] منْ أوْصَاف بَشَرِيَّتكَ[2] عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُنَاقِضٍ لعُبُوديَّتكَ

---

(9) ـ (1) فَإفْرَادُ التَّوْحيد بَعْدَ فَنَاء الأغْيَار هُوَ حَقُّ اليَقينِ ورُؤيَةُ مَا سِوَى الله خَوْضٌ ولَعبٌ . وذَلكَ منْ صفَاتُ المحْجوبينَ .
وقلت :

السائرونَ سَرَوْا فى نورِ طاعته ... والواصلونَ لهم أنوارُ طلعته
فالأولونَ لأنوار ومَنْ وصلوا ... أنوارُهُمْ ثَبتَتْ منْ فَيْضِ حضرته

(10) ـ (1) بصفَاتكَ النَّفْسيَّة فَإنْ أرَدْتَ الدُّخُولَ فِى حَضْرَته فَابْحَثْ عَنْ عُيُوبِ نَفْسكَ وَعالجهَا تُشَاهدْهُ ببَصيرَتك .

(2) دَليلٌ لنَفى الحجَاب ، وَدَفْعٌ لمَا يُتَوَهَّمُ منَ النقص فى استحَالَة الحجَاب فى حَقِّه تَعَالَى لأنَّ الحجَابَ يَتَّخذُهُ العُظَمَاءُ فَهُوَ يُشْعِر بالعَظَمة فَمنْ أيْنَ جَاءَهُ النَّقْصُ . وَحَاصلُ الدَّفع ـ أنَّه لو حَجَبَهُ شَىءٌ لَسَتَرَهُ .

(3) ذَاته .

(4) لاسْتلزَام السَّاترِ انْحصَارَ المسْتُور فيه .

(5) لأنَّه يَمْنَعُهُ ممَّا وَرَاءَهُ وَيَجْعَلُهُ فِى قَبْضَته وذَلكَ لا يَصحُّ فِى حَقِّه تَعَالىَ لأنَّهُ القَاهرُ فَوْقَ عبَاده فَوْقيَّةَ مكَانَة لا مكَان .

ومَا حَجَبَ الخَلقُ الذى هو قاهرٌ ... عليهم ولكنْ أنتَ عنهُ المُحَجَّبُ

(11) ـ (1) بالرِّيَاضَة والمجاهَدَة وقلت :

(2) المذْمُومَة أكَانَت الأوْصَافُ ظَاهرَةً كَالغيبة والنميمة والقَتْلِ أمْ بَاطنَةً . وَهى القَائمةُ بالقَلب=

لتكُونَ لنداء الحقّ مُجيباً وَمنْ حَضْرَته قَريبا .

(12) أصْلُ كُلِّ مَعْصِيةٍ [1] وَغَفْلة [2] وَشَهْوة [3] الرِّضَا منْكَ عَن النَّفْس [4] وَأصْلُ كَلِّ طَاعَةٍ [5] ويَقَظَة [6] وعِفَّة [7] عَدَمُ الرِّضَا منْكَ عَنْهَا ولأنْ تَصْحَبَ جَاهلاً [8] لا يَرضَى عَنْ نَفْسه خيْرٌ لَكَ منْ أنْ تَصْحَبَ عَالمَاً يَرْضى عَنْ نَفْسه [9] فأىُّ

=كَالكِبْر والعُجْب وَحُبِّ الجَاه . وَإذَا خَرَجْتَ منهَا اتَّصَفْتَ بِمَحَاسنِ الصِّفَات كالتَّوَاضُع لله والإخْلاص لَهُ وَحينئذ تكُونُ عَبْدَ صدْق لله مُجيباً لدَعْوَته . قَريباً مِنْ حَضْرَته . فَتُحْفَظَ مِنَ السَّيِّآت (فَائدةٌ) الفَرقُ بَيْنَ المحفُوظ والمَعْصُوم أنَّ المعْصُومَ لا يُلمُّ بذَنْب أبداً وَقد يُلمُّ به المحْفُوظُ لكنْ لا يُصرُّ عَلَيْه وقلت :

مَنْ يَتَّصفْ بحميد الوصف قَرَّبَهُ ... مَوْلاهُ مِنْهُ وَجلاَّهُ بِحَضْرَته

(12) ـ (1) مخالفَة لَما أمَرَ اللهُ به ويَنهَى عنه .

(2) للقَلْب عَنْ حَضَرة الرَّبِّ .

(3) نَفْسِّية وَهىَ التَّعَلُّقُ بمَا يَشْغَلُ عَن الله تَعَالَى .

(4) بإجمَاع أرْبَاب القُلُوب لأنَّ مَنْ رَضِىَ عَنْ نَفْسه استَحْسَنَ حَالَهَا وَسكَنَ إليْهَا فَاستَولتْ عَلَيْه الغَفْلَة عَن الله وَبالغَفْلَة يَنْصَرفُ قَلْبُه عَنِ التَّفَقُّد والمرَاعَاة لخَوَاطره فَتَثُورُ عَلَيْه دَوَاعى الشَّهَوَات وَتَغلْبُه إذْ لَيس عنْدَهُ منَ المرَاقَبَة مَا يَدْفَعُهَا ومَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ فِى المعَاصِى لا مَحَالَةَ .

(5) مُوَافقَة للأمْرِ والنَّهْى .

(6) تَنَبهُه لمَا يُرْضيه .

(7) عُلُوُّ الهمَّة عَن الشَّهَوَات فَإنَّ مَنْ لم يَرْضَ عَنْ نَفْسه لَم يَسْتَحْسنْ حَالهَا ولَم يَسْكُنْ إليْهَا وَمَنْ كَانَ كَذلكَ كَانَ مُتَنَبِّها مُتَيَقِّظاً للطَّوَارق والعوَارض وَبالتَّيَقُّظ يَتَمكَّنُ منْ تَفَقُّد خوَاطره ومُرَاعَاتها فَتَخمُدُ شَهْوَتُهُ فَلاَ تَقوَى عَلَيه فَيَعفُّ وَيُحَافظَ عَلَى مَا يُرْضِى اللهَ تَعَالَى . وَذَلكَ مَعْنَى طَاعَته سُبْحَانَهُ .

(8) بالعُلُوم الظَّاهرَة يَسْخَطُ عَلَيْهَا وَيَعتَقدُ نَقصهَا .

(9) لأنَّ صُحْبَتَهُ مَنْ يَرضَى عَنْ نَفْسه وَإنْ كانَ عَالماً شَرٌّ مَحْضٌ لأنَ الصُّحْبَةَ تُؤثِّرُ فيكَ فَتكْسَبُ هَذَا الخُلُقَ الدَّنِىءَ .

عِلْمٍ لِعَالِمٍ يَرْضَى عَنْ نَفْسِه(1) وَأيُّ جَهْلٍ لِجَاهِلٍ لا يَرْضَى عَنْ نَفْسِه(2)

(13) إنْ لَمْ تُحَسِّنْ ظَنَّكَ به لأجْلِ حُسْنِ وَصْفِه (1) فَحَسِّنْ ظَنَّكَ به لُوجُود مُعَامَلَتِه مَعَكَ فَهَلْ عَوَّدَكَ إلاَّ حَسَناً وَهَلْ أسْدَى إليكَ إلاَّ مِنَنًا ؟ (2) .

---

(12) ـ (1) فعلمُه لَم يُفدْكَ تَهْذِيبَ نَفْسكَ . وَجَهْلُهُ الذى أرْضَاهُ عَنهَا ضَرَّكَ وَلا شَكَّ أنَّ العلمَ الذى لم يُفدْكَ تَهْذيبَ نَفْسكَ وَقُرْبَهَا منَ الربِّ شَرٌّ منَ الجَهْلِ .

(2) لأنّه لَمَّا حَصَّلَ العِلمَ الذى لا يَرْضَى به عَنْ نَفْسه صَارَ لا جَهْلَ عِنْدَهُ يَضُرُّ مُخَالطَهُ فَكَانَتْ صُحْبَتُهُ خَيْراً وَقُلْتُ :

لا تُعَاشِرِ سِوَى المُهَذَّبِ وَاعْلَمْ . أنَّ طَبْعَ العَشِيرِ يَسْرِى إلَيْكَا

وَقُلْتُ : ـ

إذَا مَاجَنَى الإنْسَانُ ذَنْباً يَجُرُّهُ إلى غَيْرِه حَتَّى يَرَى القَلْبَ أسْوَداً
وَيُنْسِيهِ مَوْلاهُ فَيُنسِيهِ نَفْسَهُ فَلا يُبْصِرُ التَّقْوَى وَيَحْتَقِرُ الهُدَى

وَقُلْتُ : ـ

الشَّرُّ يلزمُ راضيًا عن نفسه والخيرُ يَصْحَبُ من عليها يَسْخَطُ
ولَجَاهِلٌ قَالٍ لها أجْدَى هَوَىً مِنْ عَالِمٍ فى حُبِّهَا يَتَخَبَّطُ

(13) ـ (1) لأجلِ وَصفِه الحَسَنِ منَ الكَرَمِ وَالجُود وَغَيرهمَا منْ صفَاته الحُسْنَى .

(2) نعمَاً . يُريدُ أنَّ النَّاسَ فى حُسْنِ الظَّنِّ به تَعَالَى قسْمَان خَاصَّةٌ حَسَّنُوا الظَّنَّ به لمَا هُوَ مُتَّصفٌ به منَ الصِّفَات العَلية وَعَامَّةٌ أحْسَنُوا الظَّنَّ به لمَا هُم فيه منْ سُبُوغِ الفَضْلِ والنِّعَم . فَكأنَّهُ يَقُولُ : حَسِّنِ الظَّنَّ به مُطلقاً فى إيصَال المَنَافعَ وَدَفْعِ المَضَارِّ وَعَدَمِ الالتفَات إلى غَيْره فَإنْ لم تَقْدرْ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ الذّى هُوَ مَقَامُ الخَاصَّة فَتَلَبَّسْ بمَقَام العَامَّة . فَوَصْفُهُ يُنْتِجُ مَحبَّتَهُ وَصحَّةَ الاعتماد وَالتَّوكُّلِ عَلَيْه . وَحُسْنُ الظَّنِّ به لِوُجُودِ مُعَامَلته مَعَكَ يُنْتِجُ لَكَ شُكْرَ نعْمته والتَّشَوُّفَ لوُرُود فَضْله وَرَحْمته وقلت :

حَسِّنْ الظَّنَّ فَهوَ أهْلٌ لذَاكَا أوْ فَحَسِّنْهُ للذى أوْلاكَا

(14) العَجَبُ كُلُّ العَجَب مَّمنْ يَهْرُبُ ممَّنْ لا انْفكَاكَ لَهَ عَنْهُ[1] وَيَطْلُبُ مَالا بَقَاءَ لَهُ مَعَه[2] فَإنَّهَا لا تَعْمَى الأبْصَارُ[3] الآية .

(15) إنَّمَا أوْرَدَ عَلَيْكَ الوَارِدَ[1] لتَكُونَ عَلَيْه وَارِداً[2] .

(16) أوْرَدَ عَلَيْكَ الوَارِدَ ليَسْتَلمَكَ منْ يَد الأغْيَار ، ويُحَرِّرَكَ منْ رقِّ الآثَار[1] .

(17) أوْرَدَ عَلَيْكَ الوَارِدَ ليُخْرِجَكَ منْ سجْنِ وُجُودكَ إلىَ فَضَاء شُهُودكَ[1]

---

(14) ـ (1) وَهُوَ اللهُ تَعَالَى : قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

(2) وَهُوَ الدنيا وكُلُ شَيء سوَى المولَى بأنْ يُقْبلَ عَلَى شَهْوَته ويَتَّبعَ هَوَاهُ .

(3) أيْ إنَّ ذَلكَ نَاشيءٌ منْ عَمَى قَلْبه وَإلاَّ لاَثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى .

وقلت فى هذا المعنى :

أَتَهْرَبُ ممَّنْ لاَ انفكاكَ لَهُ عَنْكَا .•. وَتَطْلُبُ ما يَفْنَى وَتَلْقى به ضَنْكَا

(15) ـ (1) الحَالُ وَيُطْلَقُ عَلَى مَا يُتْحفُ اللهُ به العَبْدَ منَ العلم وَالنُّور وَعَلَى تَجَلٍّ إلهىٍّ يَردُ عَلَى القَلْب وَإنْ لَم يَشْعُرْ به العَبْدُ لغلظ بَشَريته .

(2) مقْبلاً عَلَى الدُّخُول فى حَضْرَته .

(16) ـ (1) الأغْيَارُ وَالآثَارُ : هىَ الأغْرَاض الدُّنْيَوِيَّةُ وَشَهَوَاتُ النُّفُوس فَهىَ غَاصبَةٌ لَكَ لحُبِّكَ لَهَا فأوْرَدَ عَلَيْكَ الوَارِدَ ليَتَسَلَّمكَ منْ يَد مَنْ غَصَبَكَ فَتَسْلَمَ لَهُ وَتَصْلُحَ للدُّخُول فى حَضْرَته .

(17) ـ (1) سجْنُ وُجوده : شُهُودُهُ نَفْسَهُ ومُرَاعَاتُهُ لحَظِّه ، فَهىَ كالسِّجْن المَانع للمَسْجُون عَن الخُرُوج : وَفَضَاءُ شُهوده : أىْ شُهُودُهُ المولَى الشَّبيهُ بالفَضَاء لعَدَم مَا يَحْجُبُهُ عَنْهُ .

وقلت فى الحكم 15 ، 16 ، 17 :

أفَاض عليكَ وَاردَهُ لتُلْقَى ... بـوَارده عليـه أخَـا وُرُود

وَتَخْرُجَ منْ يَد الأغْيَار كُـلاً ... وَتَسْبَحَ فى ميادين الشهود

(18) الأَنْوَارُ(1) مَطَايَا القُلُوبِ والأَسْرَارِ(2) :

(19) النُّورُ جُنْدُ القَلبِ(1) كَمَا أنَّ الظُّلمَةَ(2) جُنْدُ النَّفْسِ(3) فَإذَا أرَادَ أنْ يَنْصُرَ عَبْدَهُ(4) أمَدَّهُ بِجُنُودِ(5) الأَنْوَارِ ، وَقَطعَ عَنْهُ مَدَدَ الظُّلَمِ وَالأَغْيَارِ(6) .

(20) النُّورُ(1) لَهُ الكَشْفُ(2) وَالبَصِيرَةُ(3) لَهَا الحُكْمُ(4)

---

(18) ـ (1) الإلهية التى تَرِدُ عَلَى القَلبِ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ ، وَتَحْصُلُ غَالباً مِنَ الأذْكَارِ وَالرِيَاضَات .

(2) تُوَصِّلُهَا إلىَ مَطلُوبِهَا وَهُوَ دُخُولُهَا حَضْرَةَ الرَّبِّ كَتَوْصِيلِ المطيَّة رَاكِبَهَا إلىَ مَطلُوبه .

وقلت فى هذا المعنى :

وَمَا الأنوارُ إلاَّ كَالمطَايَا .·. بهَا تَصلُ القلوبُ إلى الشهود

(19) ـ (1) لأنَّهُ يُوَصِّلُهُ إلىَ رَبِّه ، وَهُوَ مُسْتَفَادٌ ممَّا قَبْلَهُ وإنَّمَا ذَكَرَهُ تَمهيداً لقَوله .

(2) كَمَا أنَّ الظلمَةَ طَبيعَةُ العَبْد .

(3) لأنَّهَا تَتَوَصَّلُ بهَا إلىَ شَهَوَاتها .

(4) يُعينُهُ عَلَى نَفْسه .

(5) بجُنُود هىَ الأنْوَارُ أوْ بالأنْوَارِ الشَّبِيهَة بالجُنُود فَإنَّ بهَا إدْرَاكَ قُبْحِ الشَّهَوَات المانعَة منَ الوُصُول

(6) أىْ مَدَداً هُوَ الظُّلَمُ والأغْيَارُ وَهُمَا بمعْنَى واحد وَإذَا أرَادَ خذْلانَهُ فَعَلَ العكس فَإذَا مَالَ إلىَ عَمَلٍ صَالحٍ كَصَوم غَد وَمَالت النَّفسُ إلىَ شَهْوَة كَالفطْرِ وَتَنَازَعا ـ نَصَرَ النورُ القلبَ والظلمةُ النَّفْسَ ولاَ سَبِيلَ للعَبْدِ إلاَّ طَلَبُهُ عَوْنَ رَبِّه وَهكذَا فى كُلِّ عَمَلٍ صَالحٍ حَتَّى يَصلَ إلى رَبه فَيَنْقطعَ حكْمُ نفسه :

وَبالأنوار تَأييدٌ لقَلب ... وَبالظُّلُمَات تأييدٌ لنَفس
فَمَنْ يَنصُرْهُ يُمْدِدْهُ بنُور ... وَمَنْ يَخذُلْهُ يُمْدِدْهُ بحس

(20) ـ (1) نُورُ المريد .

(2) كَشْفُ المعانى وَالمغَيَّبات كَحُسْنِ الطَّاعة وقُبْحِ المعْصيَة .

(3) عَيْنُ القَلب .

(4) إدْرَاكُ ذَلكَ وَمُشَاهَدَتُه فكَمَا لا يُدْرِكُ البَصَرُ إلاَّ بالأنْوَارِ الظَّاهرَة لا تُدْرِكُ البَصيرَةُ إلاَّ بالأنْوارِ البَاطنَة .

وَالقَلْبُ لَهُ الإقْبَالُ والإدْبَارُ[1] .

(21) أنْتَ حُرٌّ ممَّا عَنْهُ آيسٌ ، وَعَبْدٌ لِمَا أنْتَ لَهُ طَامِعٌ[1]

(22) إذَا رَأيتَ عَبْدًا أقَامَه اللهُ تَعَالى بوُجُود الأوْرَاد وَآدامَهُ عَلَيْهَا مَعَ طُول الإمْداد[1] فلاَ تَسْتَحْقِرَنَّ مَا مَنَحَهُ مَوْلاهُ . لأنَّكَ لَمْ تَرَ عَلَيْهِ سِيمَا العَارِفينَ[2] وَلاَ بَهْجَةَ المَحبِّينَ[3] فَلَوْلاَ وَارِدٌ[4] مَا كَان وِرْدٌ[5] .

---

(20) ـ(1) عَلَى مَا كُشِفَ للبَصيرَة فَيُقْبِلُ عَلَى الطَّاعَة ، وَيُدْبِر عَن المعصيَة فَتَتْبَعُهُ الجَوَارِحُ إقْبَالاً وَإدْبَاراً وَيُحتَمَلُ أنَّ المعْنَى أنَّ النُّورَ لَهُ كَشْفُ المغَيَّبات كَأسْرَار القَدَر وَمَا يَحدُثُ فى العَالم ، وَالبَصيرَة لَهَا إدْرَاكُ ذَلكَ ثم هَذَا الكَشْفُ وَالإدْرَاكُ قَدْ يكُونَان غَيْرَ تَامّين فَيَنْبَغى للمُكاشَف أنْ يَتَثَبَّتَ ، وَلا يُخبرَ بكَشْفه حَتَّى يَسْتَفتىَ قَلْبَهُ إمَّا أنْ يُقْبلَ وَإمَّا أنْ يُدبر وَلَذَا تَجدُ بَعْضَ الأولَيَاء يُخْبرُ بحَوَادثَ لا تَقَعُ لعدَم تَثَبُّته فى كَشْفه وقلت :

النورُ يكشفُ والبصيرةُ تحكمُ .٠. والقلبُ يُقْبلُ بعدَ ذَا أوْ يُدْبرْ

(21) عَنْ بمَعنَى منْ ، وَلامُ لَهُ بمعَنى فى ، والمعْنَى أنَّ الطمَعَ فى الشَّىء عُبُوديةٌ لَهُ واليَأس مِنَ الشَّىء حُرِّيَّةٌ منْهُ لأنَّه يَدلُّ عَلَى خُلُوِّ القَلب عَنهُ وقلت :

تَعَبَّدَكَ الذى فيه طَمعْتَا .٠. وَحَرَّرَكَ الذى مِنْهُ أيسْتَا

(22) ـ (1) المعُونَةُ وصَرْفُ مَا يَشْغَلُه عَنْهَا ، وَطُولُ الإمْداد بطُول الزمَان الذَى يَحْصُلُ فيه ، وَهَذه صفَةُ العُبَّاد والزُّهَّاد .

(2) عَلاَمَتُهُمْ مِنْ تَرْك الاختيَار وَالبَرَاءَة منَ الحظُوظ وَالإرَادَات وَدَوَام الحُضُور بَيْنَ يَدَى الله وَقُلْتُ :

وَلَيْسَ لَهُمْ مَعَ الله اختيَارٌ　　　وَلَوْ أنَّ الذَّى اختَارَ المَنَايَا

(3) هِىَ مَا يَعْلُوهُمْ منْ آثَار المحَبَّة لله فَإنَّهَا إذَا تَمكَّنَتْ منَ القَلْب ظَهرتْ آثَارُهَا عَلَى الجَوارح كَدَوَام ذكره ، والعَمَى عَنْ غَيْره .

(4) تَجَلٍّ إلَهِىٌّ .

(5) الوِرْدُ : مَا يَقَعُ بِكَسْب العَبْد منَ الطَّاعَات كَصَلاة وَصيَام وَغَيْرهمَا فَاسْتحْقَارُكَ لَهُ قلَّةُ أدَب =

(23) إنَّمَا جَعَلَ الدَّارَ الآخرَةَ مَحَلاً لجزَاء عبَاده المؤمنينَ لأنَّ هذه الدَّارَ لاَ تَسَعُ مَايُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ (1) ولأَنَّهُ أَجَلَّ أَقْدَارَهُمْ عَنْ أَنْ يُجَازِيَهُمْ فِى دَارٍ لابَقَاءَ لَهَا .

(24) إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ (1) فَانْظُرْ فِى مَاذَا يُقِيمُكَ (2) .

= مَعَهُ، وَقُلْتُ فِى نَظْمِ الحِكَم :

إِذَا الأَقْوَامُ فِى الأَوْرَادِ دَامُوا ... وَإِنْ لَـم تَبْـدُ آثَـارٌ يُعَـدُّوا

وَقَـدْ وَرَدُوا لوَارِده عَلَيْـهِمْ ... وَلَـولاَ وَارِدٌ مَـا كَـانَ وِرْدُ

فَالحَاصِلُ أَنَّ المقَربينَ قسْمَان مُقَرَّبُونَ : وَهُمْ مَنْ أَخذُوا عَنْ حُظُوظهمْ وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ طَلَباً لمَرضَاته

وَمَا خَافُوهُ خَوْفاً منْ لَظَـاهُ ... وَلا عَبَـدُوهُ يَرْجُونَ العَطَايَا

وَلَكِنْ حَقَّهُ عَرَفُوا فَهَامُوا ... بطَاعَـة مَـنْ لَهُ كُـلُّ التَّحَـايَا

وَأَبْرَارٌ : وَهُمُ البَاقُونَ مَعَ حُظُوظهمْ وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ طَمَعاً فِى جَنَّته ، وَخَوفاً مِنْ نَاره وَكُلٌّ مِنْهُمَا مَمْدُودٌ بمدَد إلهِىٌّ اقْتضَى قيَامَهُ بحُقُوق مَقَامه .

(23) ـ (1) مِنَ النِّعَم حسًّا وَمَعْنًى أَمَّا الأَوَّلُ فَلأنَّ لأفقَر رَجُلٍ فى الجَنَّة مثْلَ الدنيا مَرَّةً أو عَشْرَ مَرَّات وَهُوَ آخرُ مَنْ يَخْرُجُ منَ النَّار كَمَا فِى البُخَاريِّ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ فَوْقَهَ ، وأمَّا الثَّانى فَلأنَّ الدنيا مَوْسُومَةٌ بالخسَّة وَالحَقَارَة ، وَنعَمُ الجَنَّة شَرِيفَةٌ رَفيعَةٌ قَالَ تَعَالَى : اعْدَدْتُ لعبَادى الصَّالحينَ مَا لا عَيْنٌ رأَتْ . وَلا أُذُنٌ سَمعتْ ولا خطَرَ عَلَى قَلْب بَشَرٍ وَقُلْتُ :

وَفِى حَشْرٍ أَظلُّكُمُو وَأَرْضَى ... شَفَاعَتَكُمْ لِمَنْ كَسَبَ الخَطَايَا

وَفَوقَ نَعِـيمِ جَـنَّاتِى تَرَونِى ... وَهَلَ منْ بَعْد رُؤيَتـنا عَطَـايَا

وقلت : وَمَا تَسَعُ الدنيا جزاءَ عباده ... وأفقرُهمْ يُعْطَى مُمَاثلَهَا عَشْرَا

(24) ـ (1) هَلْ أَنْتَ مِنَ المقْبُولينَ السُّعَدَاء أَوْ مِنَ المَرْدُودِينَ الأَشْقَياء .

(2) منْ طَاعَة أَوْ مَعْصية فإنَّ مَنْ رَضيَهُ اسْتَعْمَلَه فِى مَرَاضيه وَمَنْ سَخطَهُ خَذَلَه فَجاءَ بمَعَاصيه وَهَذَا بالنِّسبة للعَامَّة أَمَّا الخَاصَّةُ فَميزَانُهُمْ ذَكَرهُ ﷺ فى قَوْلَه : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَنزِلَتَه عند الله فَلينظُرْ كَيفَ مَنْزلَةُ الله منْ قَلْبه فَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ العَبْدَ عنْدَهُ حَيْثُ أَنْزلَهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسه قَالَ الفُضَيلُ بْنُ عيَاضٍ : إنَّمَا يُطيعُ العبدُ رَبَّه عَلَى قَدْر مَنْزلَته منْهُ وَقلت :

اعرفْ مَقَامكَ عندَ ربِّكَ .٠. بالذى فيه أَقَامَك

(25) الحُزْنُ عَلَى الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ النُّهُوضِ إليْهَا مِنْ عَلاَمَاتِ الاغْتِرَارِ [1] .

(26) الرَّجَاءُ مَا قَارَنَهُ العَمَلُ [1] وَإلَّا فَهُوَ أمنيَةٌ [2]

(27) العَارِفُونَ إذَا بُسِطُوا أخْوَفُ [1] مِنْهُمْ إذَا قُبِضُوا ولا يَقِفُ عَلَى حُدُودِ الأدَبِ فِي البَسْطِ إلاَّ قَلِيلٌ .

(28) البَسْطُ تَأخُذُ النَّفْسُ حَظَّهَا مِنْهُ بِوجُودِ الفَرَحِ وَالقَبْضُ لاحَظَّ للنَّفْسِ فِيهِ [1]

---

(25) ـ (1) الاغْتَرارُ : التَّعْويلُ عَلَى مَا لاَ حَقيقَةَ له ، وَهَذَا حُزْنٌ كَاذِبٌ إذْ لو صَدَقَهُ حُزْنُه لبَادَرَ إليْهَا وَانكَبَّ عَلَيْهَا .

وَمَنْ يَحزَنْ عَلَى فُقْدان خَيْر ... ولم يَنْهَضْ إليه فَذُو اغْتِرَارِ

(26) ـ (1) لأنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ . وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيء هَرَبَ مِنْهُ .

(2) اغْترَارٌ وَرَجَاءٌ كَاذِبٌ قَال ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموْتِ ، وَالعَاجِزُ : مَنْ أتبعَ نَفْسَهُ هوَاهَا وتَمنى على الله الأمانى » ، وَقُلتُ :

واسْلُكْ سَبِيلَ المرتَجِينَ وَلاَ تَكُنْ ... غِرّاً فَتَتَّخِذَ المُنَى رَجْوَاكَا

وَقُلتُ فِي نَظْمِ الحكَمِ :

أخُو الرَّجَاء الذى يَسْعى ليُدْرِكَهُ ... وَذُو الأمَانِيِّ مَنْ يَرْجُو بلاَ عَمَلِ

(27) ـ (1) إنَّ العَارفينَ فِى حَال بَسْطِهِمْ أكْثَرُ خَوْفاً مِنْهُمْ فِى حِين قَبْضِهِمْ وَذَلك لمِلاءَمَة البَسْط لهوَى أنفُسِهِمْ فَيَخَافُونَ الوُقُوعَ فِيمَا تَدْعُو إليْه منَ التَّحَدُّث بالأحْوَال وَالكَرَامَات ، وَقَدْ يَصْدُرُ مِنْهُمْ فِى البَسْط كَلامٌ لاَ يَليقُ . بحضرَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعلاَ ، وَحِينئذ يَتَأكَّدُ الأدَبُ وَدَوَامُ الانْقِبَاضِ وَهُوَ صَعْبٌ فِي هَذِه الحَال وقلت :

يَخَافُ العارِفُونَ بكُلِّ حَال ... وَأكثرُ خَوْفِهِمْ فِى حال بَسْط

وَقَلَّ مُلازمُ الآداب فيه ... فَسَلْهَا مِنْهُ فهوَ أجَلُّ مُعْطى

(28) ـ (1) وَمِنْ شأن النَّفْس إذَا وَجَدَتْ حَظَّهَا الغَفْلَةُ وَنسْيَانُ الحُقُوق وَالدَّعْوَى بإظْهَار العُلُوم وَالأحْوَال وَالأسْرَار ، وَالكَرَامَات وَالمقَامَات كُلٌّ عَلَى حَسَب حَاله وَهُوَ مُنَاف للعُبُوديَّة . بخلاف القَبْض فَإنَّهُ لاحَظَّ للنَّفْس فيه فَلا تُظْهرُ شَيئاً مِنْ ذَلكَ فَهُوَ أقرَبُ للسَّلامَة وكذا آثَرَهُ العَارِفُونَ عَلَى البَسْطِ ، وَقُلتُ : وَمَنْ يَعْرِفْ يَزِدْ فِي البَسْطِ خَوْفاً ... عَلَى قَبْضٍ مَخَافَةَ الاغْتِرَارِ

(29) الأكْوانُ (1) ظَاهِرُهَا غِرّة (2) وبَاطِنُهَا عِبْرَةٌ (3) فَالنَّفسُ تَنْظُرُ إلىَ ظَاهِر غِرَّتِهَا(4) والقَلْبُ يَنْظُرُ إلىَ بَاطِن عِبْرَتِهَا (5) .

(30) إنْ أرَدْتَ أنْ يكُونَ لَكَ عِزٌّ لا يفْنَى فلا تَسْتعِزَّنَّ بعَزٍّ يَفْنَى (1) .

(31) الطَّى الحقيقىُّ أنْ تُطوَى مَسَافَةُ الدنيا(1) عَنْكَ حَتَّى تَرَى الآخِرَة أقْربَ إليْكَ منْكَ (2) .

---

(29) ـ (1) المكَوَّنَاتُ التى للنفس فيها حَظٌّ .

(2) سَبَبٌ فى الاغترار بهَا لَحُسْنهَا .

(3) سَبَبٌ فى الاعتبار بهَا وَالانْكفَاف عَنْهَا لخستها وفَنائها فَمَنْ نَظَرَ لظَاهرهَا وَجَدَهَا حُلْوةً نَضرةً فَاغْتَر بهَا وَمَنْ نَظرَ لبَاطنهَا وَجَدَهَا جيفَةً قَذرَةً فَاعْتَبَربهَا وَكَفَّ عَنْهَا .

(4) زينَتُها الظَّاهرةُ فَتَغْتَرّ فَتُهلكُ صَاحبَهَا .

(5) حَالتهَا البَاطنَة فَيعْتَبرُ بهَا وَيَسْلَمُ منْهَا وَقُلتُ :

وَظَاهرُ الكَوْن غَرَّارٌ لأنْفُسنَا ... وبَاطنُ الكَوْن كَمْ فيه منَ العبَر

وَقُلتُ : ـ تُهينَ دُنيَاكَ مَنْ كَانَتْ تُبَجِّلُهُ ... وتَأكلُ الأرْضُ مَنْ كَانَتْ تُؤكِّلُهُ

(30) ـ (1) العزُّ الذى لا يفْنَى هُوَ الغنَى باللّه عَن الأسْبَاب لأنّه بَاق فَالتَّعلُّق به عزٌّ دَائمٌ ، وَالعزُّ الذى يَفْنَى هُوَ الغنىَ بالأسْبَاب مَعَ الغَيْبَة عَن المسَبِّبْ لأنَّهاَ فَانيَةٌ فَالتّعلُّق بها عزٌّ فان ، فَإن اخْتَرْتَ العزَّ باللّه لا سَبيلَ إلىَ إذلالكَ وَقُلتُ :

عَزُّوا فَمَا خَدَمُوا سواهُ وَمَنْ غَدَوْا ... خُدَّامَهُ خَدَمَتْهُمُو دُنيَاهُ

وقُلتُ : لا عزَّ إلاَّ للمطيع وَمَنْ عصَى ... فَلَهُ المَذَلَّةُ ههُنَا وَهُنَا كَا

وَقلتُ : إنْ شئْتَ عزَّكَ فيهمَا لا يَذْهَبُ ... لا تَسْتعزَّ بأىّ عزٍّ يَذْهَبُ

(31) ـ (1) بأنْ لاَ تَشْتَغلَ بلذَاتهَا بَلْ تَغيبَ عَنْهَا .

(2) بأنْ تَكُونَ فى قَلبكَ لَيْسَتْ غَائبَةً عَنْكَ وَهَذَا هُوَ الطَّىُّ الحقيقىُّ الذى يُكْرمُ اللهُ به أوليَاءَهُ وَبه تَتحقَّقُ عُبُوديتُهُمْ لربّهمْ لاَطىُّ مَسَافَة الأرْض بأنْ تَكُونَ منْ أهْل الخُطوة لأنّه رُبَّمَا كَانَ اسْتدْرَاجاً وَمكْراً ، وَلاَطىُّ اللّيَالى والأيَّام بالقيَام والصيَام لأنّه قَد يَقْترنُ به الريَاءُ وَالعُجبُ فَتكُونُ عَاقبتُه الخُسْرَانَ وَلا يُمْكنُ أنْ تُطوَى عَن العَبْد مَسَافَةُ الدنيا إلاّ إذَا أشْرَقَ نُورُ اليَقين فى قَلبه فَتَعْدم الدنيا=

(32) الإعْطَاءُ مِنَ الخَلْق حِرْمَانٌ(1) وَالمَنْعُ مِنَ الله إحْسَانٌ(2)

(33) إنَّما يُؤلمكَ المَنْعُ لعَدَمِ فَهمكَ عَنِ الله فيه (1)

(34) أنْعَمَ عَلَيْكَ أوّلاً بالإيجَاد (1) وَثَانياً بتَوَالي الإمداد(2) .

(35) العَارِفُ لا يَزُولُ اضْطرَارُهُ(1) وَلاَ يَكُونُ مَعَ غَيْرِ الله قَرَارُهُ (2) .

= في نَظَره وتَحْضُرَ الآخرة في قَلْبه . أمَّا إذَا لم يُشْرِق فيه نُورُ اليَقِين فإنَّه يُؤثر دُنْياهُ عَلَى أخْرَاهُ وَيغيبُ عَنْ مَوْلاه لضَعف تَقْوَاهُ .

وقلت : وَمَا الطَّيُّ أنْ تُطوَى مَسَافَةُ بُقْعَة ... ولكنهُ طَيُّ الدَّنِيَّة للأخْرَى

(32) ـ (1) لمَا فيه منْ رُؤيَتكَ غَيرَ الله وَوُقُوفكَ مَع حُظُوظكَ .

(2) لأنَّهُ ألزَمَكَ الوُقُوفَ ببَابه ، وعَافَاكَ منْ وُجُود حجَابه . وقُلْتُ :

عَطَاءُ الخَلق حرْمَانُ ... وَمَنْعُ الله إحْسَانُ

(33) ـ (1) في حَال المَنعِ إذْ لو فَتحَ الفَهْمَ لَفَهمْتَ أنَّه مَنَعَكَ ليُوقفكَ ببَابه ويُعَلِّقكَ به . ويُصيِّركَ منْ أحْبابه فإنَّه إذَا أحَبَّ عَبْداً حَمَاهُ الدنيا . عَنِ الفُضَيل أنّه كَانَ يَقُولُ : أجعْتَني وَأجَعْتَ عيَالي وَأعْرَيْتَني وَأعْرَيْتَ عيَالي وإنَّما تَفعَلُ هَذَا بخَواصِّ عبَادكَ فَبأيِّ سَبَب أسْتَوْجبُ منْكَ هَذَا؟

وَقُلتُ: المنعُ يُؤلمُ ذَا جَهْلٍ بحكْمَته ... وَيَسْتَريحُ إليه عَالمُ الحِكَمِ

(34) ـ (1) وَبه زَالَ العَدَمُ السَّابقُ .

(2) وَبه زَالَ العَدَمُ اللاَّحقُ إذْ لَوْ لَم يُمدَّ الموجُودُ بما يَجْلبُ إليْه المَنَافعَ ، وَيَدْفَعُ المضَارَّ لَتَلاشَى وكأنَّه لَم يكُنْ .

وقلتُ : تَعَالَى اللهُ أوْجَدَ كُلَّ شيء ... وَجَادَ لَهُ بمَا يُبْقِي وُجُودَهْ

(35) ـ (1) احتياجُهُ بَلْ هُوَ دَائمٌ مُسْتَمرٌ لشُهوده قَبضَةَ الله المحيطَةَ ، وَمَا هُوَ عَلَيْه منَ الفَاقَة في كُلِّ نَفَس بخلاف العَامَّة فَإنَّ اضْطرَارَهُمْ بمثيرَات الأسْبَاب لغَلَبَة دَائرة الحسِّ عَلَى مَشْهَدهم فَإذَا زَالت زَالَ اضْطرَارُهُمْ .

(2) أيْ لا يَسْتَندُ بقَلبه لغَير الله تَعَالى .

وَقُلتُ : ـ وَيَلْزَمُ عَارِفَ الله اضْطرَارُ ... وَمَا بسِوَاهُ قَرَّ لَهُ قَرَارُ

(36) أَنَارَ الظَّواهِرَ (1) بأَنْوَارِ آثَاره (2) ، وأَنَارَ السَّرَائِرَ (3) بأنوار أَوْصَافه (4) لأجل ذَلكَ (5) أَفَلَتْ (6) أنْوارُ الظَّوَاهر ولَمْ تأفُلْ أنْوارُ القُلُوبِ والسَّرائِر (7) وَلَذَا قيلَ : إنَّ شَمسَ النَّهارِ تَغْرُبُ بالليْلِ وَشَمْسُ القُلُوب لَيْسَتْ تَغيبُ .

(37) الغَافِلُ (1) إذَا أَصْبَحَ يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ (2) والعَاقِلُ (3) يَنْظُرُ مَاذَا يَفعَلُ اللهُ به (4) .

---

(36) ـ (1) جَعَلَهَا مُنِيرَةً ، وَالمرَادُ بالظَّواهِرِ السَّمَواتُ والأَرْضُونَ .

(2) أيْ آثَارِ أوْصَافه أيْ بأنوار الكَواكِب مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ ونُجُومٍ التى هِيَ آثَارُ أوْصَافه مِنْ قُدْرَة وإِرَادَة وَغَيْرِهمَا فَالظَّوَاهِرُ مكْشُوفةٌ بأنْوَارِ الكَواكِبِ فَنَأخُذُ مَا يَنْفَعُ وَنَدَعُ مَا يَضرُّ .

(3) جَمْعُ سَرِيرَة بَاطِنَ القَلْب .

(4) بالأسرار الربَّانيَّة النَّاشئة عَنْ تَجَلِّي أوْصَافه عَلَى قُلُوبِ العَارِفينَ فَسَرَائِرُهُمْ مكْشُوفَةٌ بأنْوار الأسْرارِ الإلهيَّة فَيَحترزُونَ عَمَّا يَضرُّهُمْ منْهَا وَيَتَّصفُونَ بمَا يَنْفَعُهُمْ .

(5) لكوْنِ الظَّواهر نَارَتْ بأنوار آثَاره ، والسَّرائر نَارَتْ بِأَنْوَارِ أوْصَافه فَالأنْوارُ الأولَى نَاشئةٌ عَنِ الحَادث . وَالثَّانيَةُ عَنِ القَديمِ .

(6) غَابَتْ .

(7) لأنَّهَا نَاشئةٌ عَنِ الصِّفَات القَديمة التَّى لا تَزُولُ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنِ القَديمِ لايزُولُ ، وإنَّمَا يَطرَأ عَلَيه تَغطيتُهُ بالأوْصَاف البَشَريَّة بالنِّسبَة للعَارِفينَ ، ثُمَّ تزُولُ ، وَذَلكَ النُّورُ ثَابتٌ فى قُلُوبهمْ .

وقلت : نورُ الظواهرِ بالآثارِ قد حَصَلا ... وكلُّ نورٍ بها مَهْمَا عَلا انْفَصَلاَ

وللسرائرِ أنوارُ الصفات ومـا ... تُنِيرُهُ دامَ فيـه النـورُ واتَّصلاَ

(37) ـ (1) عَنِ التَّوحيد وَأَنَّ كُلَّ شَيْء بقَضَاء وقَدَر .

(2) فَيَقُولُ : مَا أفْعَلُ فى هَذَا اليَوْمِ مَثَلاً ؟ . (3) المُتَيَقِّظُ للتَّوْحيد والقَضَاء وَالقَدَر

(4) فَيَقُولُ إذَا أصْبَحَ : مَاذَا يَفعَلُ اللهُ بى فَنَظَرُ الغَافلِ لنَفسه فَرُبَّمَا وَكَلَهُ اللهُ إليهَا فلاَ تَنْجَحُ مَطَالبُهُ وَنَظَرُ العَاقلِ لربِّه فيكفيه مَا أهَمَّهُ . وَهَذَا ميزَانٌ يُدْرِكُ به المريدُ اتِّصَالَهُ بالله وَانقطَاعَهُ عَنْهُ إذَا اعترَضَهُ شُغْلٌ فَإنْ رَجَعَ لرَبِّه عندَ أوَّلِ خَاطرٍ فَهُوَ مُتَّصلٌ وَإِلاَّ فَهُوَ مُنْفَصلٌ .

وقلت : يَغْدُو الجهولُ مفكراً فى فعْلِهِ ... وَأخُو النُّهَى فى فـعلِ مَوْلاَهُ بـِـه

(38) إِنَّمَا يَسْتَوحِشُ العُبَّادُ (1) والزُّهَادُ (2) مِنْ كُلِّ شَيء(3) لغَيبتِهِمْ عَنِ الله فِي كُلِّ شَيء (4) فَلَوْ شَهِدُوهُ فِي كُلِّ شَيء (5) لَم يَسْتَوحِشُوا مِنْ شَيء(6) .

(39) أَمَرَكَ فِي هَذِهِ الدَّار بالنَّظَرِ فِي مُكَوَّنَاتِه (1) وَسَيَكْشِفُ لَكَ فِي تلك الدَّار عَنْ كَمَال ذَاته (1) .

(40) الصَّلاَةُ طُهْرَةٌ لِلقُلُوبِ (1) عَنْ أَدنَاسِ الذُّنُوبِ ، وَاسْتِفْتَاحٌ (2) لِبَابِ الغُيُوب (3) .

---

(38) ـ (1) المتَوَجِّهُونَ إِلىَ الله بطَرِيقِ العَمَلِ . (2) المتَوَجِّهُونَ إِلَيْه بِطَرِيقِ التَّوكُّلِ .

(3) لكَونه قَاطِعاً عَن الله .

(4) أىْ أَنَّهُم مَحْجُوبُونَ عَن الله بمُلاحَظَة نُفُوسِهِمْ وَحُظُوظِهِمْ فَيَفِرُّونَ مِنَ الأَشْيَاء لوُجُودِهَا فِي نَظَرِهِمْ خَشْيَةَ أَنْ يُفْتَنُوا بهَا فَتَفُوتَ عَلَيْهِمْ مَقْصِدَهُمْ .

(5) كَمَا شَهِدَهُ العَارِفُونَ والمحبُّونَ .

(6) لِرُؤيَتِهِمْ لَهُ فِي الأَشْيَاء كُلِّهَا . فَاشْتِغَالُهُمْ بِه شَغَلَهُمْ عَنْهَا .

وقلت : مَنْ لم يَرَوْهُ بها عَرَتْهُم وَحْشَةٌ والشَّاهِدونَ لَهُ بها ما استَوْحَشُوا

(39) ـ (1) لِتَرَاهُ ظَاهِراً فِيهَا بِعَيْنِ بَصِيرَتِكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ إِلىَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَات .

(2) فَتَرَاهُ بِعَيْنِ بَصَرِكَ فَرُؤيَةُ العِبَاد لِرَبِّهِمْ عَلَى حَسَبِ تَجَلِّيه لَهُمْ فَفِي هَذه الدَّار يَرَونَهُ ظَاهِراً فِي المُكونَات بِأَنْوار بَصَائرِهِمْ لَمَّا تَجَلَّى لَهُمْ مِنْ وَرَاء حِجَابِهِم وَهُوَ تِلْكَ المُكَوَّنَات ، وكَذَا أَمَرَهُمْ بالنَّظَرِ فِيهَا وَهَذه الرؤيَةُ لِلعَارِفِينَ ، وَفِي الآخِرَةِ يَرَاهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَامةُ المؤمنِينَ . وَهَذَا غَايَةُ الظُّهُورِ وَالكَشْف وقلت : ـ

أمرْتَ بفكْرَة فِي الكائنات هُنَا وَهُنَاكَ تُبْصِرُ حُسْنَ ذَات

(40) ـ (1) مِنْ تَكَدُّرِهَا بالآثَار ، وَتَلَوثِهَا بِأَقْذَارِ الأَغْيَار ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ « مِنْ أَدنَاسِ الذُّنُوبِ » مِنْ إِضَافَة المُشَبَّه به للمُشَبَّه . (2) فَتحٌ أَوْ طَلَبُ فَتحٍ .

(3) أىْ مَا غَابَ عَنْكَ مِنَ المَعَارِف وَالأَسْرَار شَبَّهَهَا بكَنْز لَه بَابٌ مُغْلَقٌ وَالبَابُ تَخْييلٌ ، وَهَذَا مُرَتَّبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ لأَنَّ القُلُوبَ إِذَا طَهُرَتْ رُفِعَتْ عَنْهَا الأَسْتَارُ فَرَأَتْ مَا غَابَ مِنَ الأَسْرَار .

(41) الصَّلاةُ مَحَلُّ المُنَاجَاة [1] ومَعْدنُ المُصَافَاة [2] تَتَّسعُ فيها مَيَادينُ الأسْرَار [3] وتُشْرقُ فيهَا شَوَارقُ الأنْوَار [4] علمَ وُجُودَ الضَّعْف منْكَ [5] فَقَلَّلَ أعْدَادَهَا [6] وَعَلمَ احتيَاجَكَ إلىَ فَضْله [7] فَكَثَّرَ أمْدَادَهَا [8].

(42) إذَا أرَادَ أنْ يُظْهرَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ [1] خلَقَ [2] ونَسَبَ إليْكَ [3].

---

(41) ـ (1) أىْ مُنَاجَاةُ العَبْد لربِّه بإظْهَار صفَاته الجميلة منْ رَحْمته للعبَاد وتَرْبيَته للعَالَمينَ وَملكهَ يَوْمَ الدِّين ، وَغَيْرهَا ، ومُنَاجَاةُ الرَّبِّ لَه بمَا يُلقيه فى سرِّه منَ العُلُوم والأسْرَار

(2) التَّوَدُّدُ أىْ مُصَافَاة العَبْد لربِّه بتَوجُّهه إليْه بعَوَالمه الظَّاهرَة والبَاطنَة حتَّى لاَ يَختَلجَ فى سرِّه غَيْرُهُ وَمُصَافَاةُ الرَّبِّ لعَبْده بأنْ يَمْنَحَهُ شُهُودَهُ وَيُفيضَ عَلَيْه فَضْلَهُ وَجُودَهُ ، وَهَذه أعْلَى المصَافَاة ، وَعلَى قَدْر إقْبَال العَبْد يكُونُ إقْبَالُ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ .

(3) أىْ تَتَّسعُ فيهَا القُلُوبُ الشَّبيهَةُ بالمَيَادين للفُرْسَان أىْ تَنْشرح بتَوَارُد الأسْرَار أى العُلوم وَالمعَارف عَلَيْهَا وتَسَابُقهَا فيهَا كتَسَابُق الفُرْسَان .

(4) أىَ الأنْوَارُ الشَّبيهَةُ بالكَواكب الشَّارقَة وَهُوَ منْ عَطف السَّبَب عَلَى المُسَبَّب فإنَّ الأنْوَارَ إذَا أشْرَقَتْ فى القُلُوب انْشَرَحَتْ لمَا يَردُ عَلَيْهَا مَنَ العُلُوم وَالمعَارف . وذَلكَ منْ ثَمَرات المنَاجَاة والمصَافَاة .

(5) عَنْ دَوَام التَّجَلِّى الإلَهىَ .

(6) بجَعْل الخَمْسينَ خَمْسَةً .

(7) بإقْبَاله عَلَيْكَ وَمُوَاجَهَته لكَ بمَا تحبُّهُ .

(8) وَهىَ الأسْرَارُ والعُلُومُ وَالمعَارفُ التى تَردُ عَلَى قَلْب المصَلِّى هَذَا بالنِّسْبة للمُريد ويُقَالُ بالنسْبَة لغَيْره ـ عَلمَ وُجُودَ الضَّعْف بتَكَاسُلكَ عَنْهَا وَعَلم احتيَاجَكَ إلى فَضْله أىْ كَرَمه فَكَثَّرَ إمْدَادَهَا ثَوابَهَا بأنْ جعَلَ للخَمْسَة ثَوَابَ الخَمْسينَ .

وقلت : فى معنى الحكمتين (40 ، 41) : ـ

إنَّ الصـــلاةَ طهـــارةٌ لقلوب … وبها انكشـــافُ سَرَائر وَغُيـوب
نَاجَى بها اللهَ العبادُ كما بها … ناجَوْا لإجْـلاَل أجَـلَّ مُجيب
قَلَّتْ فَرائضُهَا لضَعْف عبَاده … وَجَــزاؤُهَا جَمٌّ بفَضْـل مُثيب

(42) ـ (1) إحْسَانَهُ لَكَ .

(2) العَمَلَ فيكَ .

(3) بَأنْ قَالَ : للمَلائكَة عَنْكَ إنَّكَ مُطيعٌ وَعَاملٌ أوْ أطلَقَ ألسنَةَ العبَاد بذَلكَ عَنْكَ فإذَا شَهدَ =

(43) أنْتَ إلى حلْمه إذَا أطَعْتَهُ أحْوَجُ منْكَ إلىَ حلْمه إذَا عَصَيْتَهُ (1) .

(44) السَّتْرُ قسْمَان : سَتْرٌ عَنِ المعْصيَة (1) وَسَتْرٌ فيهَا (2) فَالعَامَّةُ يطْلُبُونَ منَ الله

= العَبْدُ هَذَا منَ الرَّبِّ اسْتَوْلَى عَلَيْه الخَجَلُ فَلَم يَنْسُبْ لنَفْسه شَيْئاً منَ العَمَل الصَّالح لا حَقيقَةً وَلا أدَباً إذْ لا أهليَّةَ فيه لذَلكَ . وأمَّا الصِّفَاتُ السَّيِّئةُ والأعمَالُ القَبيحةُ فَمُقْتَضَى الأدَب أنْ يُضيفَ ذَلكَ إلى نَفْسه ـ قَالَ سَهلُ بْنُ عَبْد الله قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ : إذَا عَملَ العَبْدُ حَسَنَةً وقَالَ : يَاربِّ أنْتَ بفضْلكَ اسْتَعْمَلتَ وأنتَ أعَنْتَ وأنتَ سَهَّلتَ شكرَ اللهُ تَعَالى لَهُ ذَلكَ وقَالَ لَهُ : يَا عَبْدى بَلْ أنْتَ أطَعْتَ وأنْتَ تَقَرَّبْتَ ، وإذَا نَظَرَ إلى نَفْسه وقَالَ : أنَا عَملتُ . وأنَا أطَعْتُ وأنَا تقَربْتُ أعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وقَالَ: يَا عَبْدى أنَا وَفَّقتُ وأنَا أعَنْتُ وأنَا سَهَّلتُ وَإذَا عَملَ سَيئَةً وقَالَ يَاربِّ: أنْتَ قَدَّرتَ وأنْتَ حكَمْتَ غَضبَ المولَى جَلَّتْ قُدْرَتُه عَلَيْه وقَال لَهُ : يَا عَبْدى بَلْ أنتَ أسَاتَ وأنتَ جَهلتَ . وأنْتَ عَصَيْتَ وَإذَا قَالَ: يَاربِّ أنَا ظَلَمتُ ، وأنَا أسَاتُ وأنَا جَهلتُ أقْبَلَ المولَى جَلَّتْ قَدْرَتُهُ عَلَيْه وقَالَ: يَا عَبْدى أنَا قَضَيْتُ ، وأنَا قَدَّرتُ وقَدْ غَفَرتُ وحَلُمْتُ وَسَتَرْتُ اهـ ، وقُلْتُ :

وإذَا عنَايَتُهُ إليْكَ تَوَجَّهتْ ... خلَقَ الجميلَ وَقَالَ أنْتَ فَعلْتَهُ
وَمنْ تَمَام فَضْله عَلَيْكَا ... يَخْلُقُ فيكَ نَاسباً إليْكَا

(43) ـ (1) وذلكَ أنَّ المُطيعَ قَدْ يَتكَبَّرُ بطَاعَته ويُعْجبُ بهَا ويَحْتَقرُ غَيْرَهُ لَهَا إلىَ غَيْر ذَلكَ منْ كَبَائر القُلُوب فَيُخَافُ عَلَيْه أنْ تَنْقَلبَ طَاعَتُهُ مَعْصيَةً وَالعَاصى قَدْ تَحْملُهُ مَعْصيتُه عَلَى الحَذَر وَالخَوف منْ رَبِّه وتُوجبُ لَهُ الذلَّةَ وَالاستكَانَةَ وَمنْ هُنَا كانَ العَبْدُ إلىَ حلْم الله إذَا أطَاعَه ـ أحْوَجَ منْهُ إلى حلْمه إذَا عصَاهُ وَهَذَا زيَادَةُ تَحذير منْ رُؤيَة اسْتحقَاق الوُصُول بالأعْمَال . وقُلْتُ :

وأنْتَ لحلْم الله فى حَال طَاعة ... أشَدُّ احتياجاً منْكَ فى حَال عصْيان

(44) ـ (1) بأنْ يَمْنَعَهُ عَنْهَا وَلاَ يُهيِّئَ لَهُ أسْبَابَهَا .

(2) بأنْ لا يُظْهرَهَا للنَّاس حَالَ فعلهَا وَلا بَعْدَهُ .

تَعالىَ السَّترَ فيهَا [1] خَشْيَةَ سُقُوط مَرْتَبَتِهمْ عنْدَ الخَلْق [2] والخَاصَّةُ [3] يَطْلُبُونَ منَ الله تَعَالَى السّتْرَ عَنْهَا [4] خَشْيَةَ سُقُوطهمْ منْ نَظَرَ الملك الحَقِّ [5].

(45) أظْهَرَ كُلَّ شَىء لأنّهُ البَاطنُ [1] وطَوَى وُجُودَ كُلِّ شَىء لأنَّهُ الظَّاهرُ [2].

(46) أبَاحَ لَكَ أنْ تَنْظُرَ مَا فِى المكَوَّنَات [1] وَمَا أذنَ لَكَ أنْ تَقفَ مَعَ ذَوات المُكوَّنَات [2] قُلِ انْظُرُوا مَاذا فِى السَّمَوات والأرْضِ، فَتَحَ لَكَ بَابَ

---

(44) ـ (1) فى المعْصيَة .

(2) إذَا اطَّلَعُوا عَلَيْهِمْ فَيَفُوتُهُمْ مَا تَوَقَّعُوهُ مِنْهُمْ منْ حُصُول المَنَافع وَدَفع المَضَارِّ ، وَذَلكَ لعَدَم تَحقُّقهمْ بحَقَائق الإيمَان ، وَفى مثْلهمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يسْتَخْفُونَ منَ النَّاسِ وَلا يسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وهُوَ معهُمْ ﴾ .

(3) وَالخَاصَّةُ لتَحَقُّقهمْ بحَقَائق الإيمَان حَالُهُمُ القَنَاعَةُ بنَظَرِ الله إليْهمْ فَلا يُبَالونَ بمَدْحٍ أوْ ذَمٍّ .

(4) بأنْ يُغَيِّبهَا عَنْ نَظَرهمْ وَلاَ يُخطرُهَا بقُلُوبهمْ .

(5) بمُخَالَفته وَالتَّعرّضِ لسَخطه هَذَا هُوَ الغَالبُ ، وَقَدْ تَطْلُبُ العَامَّةُ السترَ فيهَا امْتثَالاً لأمْر الله وَرَسُوله بالسّتر لمنَ ابْتُلى بشَىء منْها . وَتطْلُبُ الخَاصَّةُ السّتر فيمَا وَقَعَ منْهُمْ لخَجلهمْ منْ عصيَانه وَلإسَاءَة النَّاس ظَنّهُمْ بالمنسُوبينَ إلَىَ الله إذَا اطّلَعوا عليْهمْ وَقُلْتُ :

يَرُومُ العَارفُونَ السّترَ منْهُ ... عَنِ العصيَان تَعْظيماً لحَقّهْ
وَمَنْ حجبُوا رَجوْهُ السّترَ فيه ... مَخَافَةَ نَقْصهمْ فى عَيْن خَلْقهْ

(45) ـ (1) فَإنَّ مُقْتضَى اسمه البَاطن أنّهُ لا يُشَاركُهُ فى البُطُون شَىٌ فَلذَا أظْهرَ الأشْيَاءَ كُلَّها .

(2) أىْ إنَّ مُقْتَضَى اسمه الظَّاهر أنْ لا يُشَاركَهُ فى الظُّهُور شَىءٌ فَلذَا طَوى وُجُودَ كُلّ شَىء أىْ لم يَجعلْ لغَيره وَجُوداً منْ ذَاتَه بَلِ المُكوَّناتُ جَميعُهَا عَدَمٌ مَحْضٌ وَلا وُجُودَ لَهَا إلاَّ منْ وُجُوده .

وقلت فى معنى هذه الحكمة :

يَا بَاطناً أظْهرَ الأشياءَ أجْمَعَهَا ... يَا ظَاهراً طَاوياً كُلَّ البَريَّات

(46) ـ (1) وَهُوَ جَمَالُ الحَقّ سُبْحَانَهُ أىْ أمَركَ أنْ تَنْظُرَ بنَظَركَ القَلبىَ حَتّى تُشَاهدَ ظُهُورَهُ فيهَا .

(2) بأنْ تَحْتَجبَ بهَا عَنْهُ فَلاَ تُشَاهدَهُ فيها ثُمَّ بَيّنَهُ بقَوْله ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَات ﴾ فَأتَى بـ «فى» الظَّرْفيَّة المشْعرَة بَأنَّ الاعْتبَار بالمظرُوف دُونَ الظَّرْف، قَالَ فى لَطَائف المنَن : فَمَا نَصَبَ لَكَ

الأفهام (1) ولَم يَقُل : انظُر السَّموات لئلاَّ يدُلَّكَ عَلَى وُجُود الأجْرَام (2).

(47) الأكْوانُ ثَابتَةٌ بإثْبَاته (1) ومَمْحُوَّةٌ بأحديَّة ذَاته (2).

(48) النَّاسُ يمْدحُونَكَ لِمَا يظُنُّونَه فيكَ (1) فكُنْ أنْتَ ذَامًّا لنفسكَ لِمَا تَعْلمُهُ منْهَا (2)

الكَائنَات لتَراهَا ، ولكنْ لتَرىَ فيهَا مَولاهَا ، فَمُرادُ الحَقِّ منْكَ أنْ تَراهَا بعَينِ مَنْ لا يرَاهَا . تَرَاهَا منْ حَيثُ ظُهُورُهُ فيهَا ولا تَرَاهَا منْ حَيثُ كَونيَّتهَا .

(46) ـ (1) أىْ أيقَظَكَ للمَطْلوبِ وَهُو مُشَاهَدَةُ مَا فيهَا كَمَا يُفْهَمُ مِنَ الظرفيَّة .

(2) فَتَحتَجبَ بهَا عَنهُ فَتَصيرَ مَقْصداً مَعَ أنَّهَا وَسيلَةٌ إذْ لَيْسَتْ إلاَّ مَجَالى يَتَجَلَّى فيهَا الحَقُّ لأربَابِ الشُّهُود . ويَستَدلُّ بهَا عَلَيْه أربَابُ الحجَاب وَقُلتُ :

انظرْ خَلَيقَتَهُ لتَنظُرَهُ بهَا ... وَحَذَار منْ نَظَر لَهَا منْ أجْلهَا

(47) ـ (1) أىْ إنَّمَا حَصَلَ لَهَا الثُّبُوتُ بإثْبَات الله أىْ ظُهُورُهُ فيهَا فَالثُّبُوتُ لَهَا أمْرٌ عَرَضىٌّ ، وَهىَ بحَسَب ذَاتهَا عَدَمٌ مَحْضٌ ؛ والثَّابتُ حَقيقَةً إنَّمَا هُوَ اللهُ .

(2) أىْ مَنْ نَظَرَ إلىَ أحَديَّة ذَاته لَمْ يَجدْ للأكْوان ثُبُوتاً ، وإنَّمَا لَهَا ثُبُوتٌ فى النَّظَر إلَى الوَاحديَّة لأنَّ الأحَديَّةَ عَنْدَ العَارفينَ ـ هىَ الذَّاتُ البَحْتُ أى الخَالصَةُ عَن الظُّهُور فى المَظَاهر وَهىَ الأكْوانُ . وَالواحديَّةُ هىَ الذَّاتُ الظَّاهرَةُ فى الأكْوان فَيكُونُ للأكْوان حينَئذ ثُبُوتٌ باعتبَار ظُهور الحَقِّ فيهَا وكَذَا يَقُولُونَ بلسَان الإشَارَة : الأحَديَّةُ بَحرٌ بلا مَوْج وَالواحديَّةُ بَحرٌ مَعَ مَوج فَإنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ عنْدَهمْ كالبَحْر وَالأكْوانَ كالأمْواج التى يحرِّكُهَا ذَلكَ البَحْرُ فَهىَ لَيْسَتْ عَينَهُ وَلا غَيْرَهُ هَذَا هُوَ تَوْحيدُ العَارفينَ وَقَدْ كَرَّرَهُ المصنِّفُ مَرَّاتٍ فى مُخْتَلَف العبارَات .

وقلت فى معنى هذه الحكمة :

بإثْبَاته للكَوْن كُلُّ ثَبَات ... وَيُمْحَى إذَا شَاهَدْتَهُ أحَدَ الذَّات

(48) ـ (1) لمَا يَظُنُّونَهُ فيكَ مَنَ الأوْصَاف الحميدَة .

(2) أىْ فَلاَ تَغتَرَّ بثَنَاء النَّاس عَلَيْكَ ، وارْجعْ عَلَى نَفْسكَ باللَّوْم لتَلبُّسهَا بخلاف ذَلكَ وكَذا قَال عَلىٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيراً مِمَّا يظُنُّون ولا تُؤَخذنَا بمَا يَقُولُونَ وَاغْفرْ لَنَا مَا لاَ يَعْلَمُون) ويُؤخَذُ منْ قَوله : فكُنْ أنتَ ـ أنَّهَ ليس مَأمُوراً بتكذيب النَّاس ، ولا بالسَّعْى فى تَبْديل ظَنهمْ فيه بَلْ هُوَ مَأمُورٌ بعَدَم الاغْترار . وبتَقْديم علمه عَلَى ظَنِّهمْ ، نَعَمْ إنْ كَانَ المَادحُ كَاذباً تَأكَّدَ زَجْرُهُ وتَكذيبُه ، وَعَلَيْه الحَديثُ (احْثُوا فى وُجُوه المدَّاحين التراب ـ فَهَذَا المدحُ مَنْهىٌّ عَنْهُ =

(49) المؤمنُ إذَا مُدِحَ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ تَعَالَى أنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِوَصْفٍ لاَ يَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ [1].

(50) أجهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ [1] لِظَنٍّ مَا عِنْدَ النَّاسِ [2].

(51) إذَا أطْلَقَ الثَّنَاءَ عَلَيكَ [1] ولَسْتَ بِأهْلٍ فَأثْنِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أهْلُهُ [2].

= وكَذَا لَوْ أوْرَثَ المدْحُ غِرَّةَ الممْدوحِ وَغَلَطَهُ فى نَفْسِهِ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُه ﷺ لِمَنْ مَدَحَ عِنْدَهُ رَجلاً (قطعْتَ عُنُقَ صاحِبِك)وقَالَ (إيَّاكُمْ والمدْحَ فإنَّهُ الذَّبْحُ)وَقُلْتُ :

مُدِحْتَ لِمَا يُظَنُّ فكُنْ حَصِيفاً ... وَأكْثِرْ ذَمَّ نَفْسِكَ لليقينِ

وقُلْتُ : لاَ يعلَمُ النَّاسُ مَا تُخفى ومَدْحُهُمُو ... إيَّاكَ ظَنّاً فَلا تُخدَعْ بِمَظْنُونِ

وَذُمَّ نَفْسَك واجْهَدْ كَى تُهذِّبَهَا ... حَتَّى تَكُونَ يقيناً صَاحِبَ الدِّينِ

(49) ـ (1) لاَ يُبْصِرُهُ مِنْهَا ، وإنّما يَرَاهُ مِنَّةً منَ اللهِ عَلَيهِ فَإذَا أثْنَى النَّاسُ عَلَيْهِ اسْتَحيَا مِنَ اللهِ العَظِيمِ اسْتِحيَاء تَعْظِيمٍ أنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِصِفَةٍ لَيْستْ مِنْهُ فَيَزْدَادُ بِذَلِكَ مَقتاً لِنَفْسِهِ ، وَيَقْوى عِنْدَهُ شُهُودُ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ فَيَزِيدُ شُكْرُهُ لَه فَيَتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيهِ . وَقُلْتُ :

المؤمنُ الحَقُّ إنْ يُحْمَدْ بِمَحْمَدَةٍ ... مَعْدُومَةٍ فِيهِ يَسْتَحْيِى مِنَ اللهِ

(50) ـ (1) وَهُوَ عِلْمُهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ وَتَقْصِيرُهُ مَعَ رَبِّهِ .

(2) وَهُوَ ظَنُّهُمْ صَلاَحَ حَالِهِ حَتى مَدَحُوهُ ، وإنَّمَا كَانَ أجْهَلَ النَّاسِ لأنَّه ألغَى يَقِينَهُ فى نَفْسِهِ لِظَنِّ النَّاسِ فِيهِ . وَقُلْتُ : وأجْهَلُ النَّاسِ نَاسٍ مَا تَيَقَّنَهُ ... فِيهِ لِظَنٍّ عَلَيْهِ ظَنَّهُ النَّاسُ

(51) ـ (1) لمَا يُثْنُونَ بِه عَلَيكَ إمَّا لِعَدَمِ وُجُودِهِ فِيكَ ، أوْ لِكَوْنِكَ مَعِيباً بِالعُيُوبِ الأصِيلَةِ وَالعَارِضَةِ فَلاَ تَسْتَحِقُّ ثَنَاءً لَوْلا فَضْلُهُ وَسَتْرُهُ .

(2) شُكراً لِنِعْمَةِ سَتْرِكَ ، وَإطْلاقِ الألْسُنِ بِمَدْحِكَ مَعَ عَدَمِ أهْلِيّتِكَ وَقُلْتُ :

إذَا أثْنَى الأنَامُ عَلَيْكَ خَيْراً ... وَلَمْ تَكُ أهْلَهُ فَاسْبِقْ إلَيْهِ

وَلا يَخْدعْكَ مَا أثْنَوا فَتَنْسَى ... لِمَا أصْبَحْتَ مُنْطَوِيًا عَلَيْهِ

فَتَأسَفَ يَوْمَ تُبْصِرُ كُلَّ جَانٍ ... يَعَضُّ لِمَا جَنَاهُ عَلَى يَدَيْهِ

وقلت فى معنى هذه الحكمة :

إذَا أثْنَى عَلَيْكَ وَلَسْتَ أهْلاً ... فَأثْنِ عَلَيْهِ أهْلاً لِلثَّنَاءِ

(52) الزُّهَّادُ إذَا مُدحُوا انْقَبَضوا لشُهُودهمُ الثَّنَاءَ منَ الخَلق [1] وَالعَارفُونَ إذَا مُدحُوا انْبَسَطُوا لشُهُودهمْ ذَلكَ منَ الملك الحقّ [1].

(53) إذَا وَقَعَ منْكَ ذَنْبٌ فَلا يكُنْ سبباً ليَأسكَ . منْ حُصُول الاسْتقامَة مَعَ رَبِّكَ فَقَدْ يكُونُ ذَلكَ آخرَ ذَنْب قُدِّر عَلَيْكَ [1].

(54) إذَا أرَدْتَ أنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ الرَّجَاء ـ فَاشْهَد [1] مَا منْهُ إلَيْكَ [2] وإذَا أردْتَ أنْ يَفْتَحَ لكَ بَابَ الخَوف فَاشْهَدْ مَا منْكَ إليْه [3].

---

(52) ـ (1) ولغَيْبَتهمْ عَنْ رَبِّهمْ ، وَإنَّمَا انْقَبَضُوا حينَئذ خَوْفَ الاغترار بذَلكَ الثَنَاء فَيَفُوتُهُمْ نَصيبُهُم من رَبِّهمْ .

(2) لأَنَّهُمْ حَاضرُونَ مَعَهُ لا يُشَاهدُونَ غَيْرَهُ قَائلينَ ألسنَةُ الخَلْق أقْلامُ الحَقّ فَلا يَحْصُلُ عنْدَهُمْ بالمدْح إعْجَابٌ وَلَا اغْترارٌ بل يَزيدُ حَالهُمْ لغيبَتهم عَنْ أنْفُسهم وهَذَا مَحْمَلُ قَوْله ﷺ : (إذَا مُدح المؤمنُ في وجهه ربَا الإيمَانُ في قَلبه) وَقَدْ مُدحَ العَارفُونَ وَسُرّوا بمَدْحهم ، وأثابُوا مَادحَهُمْ ، لعلمهمْ أنَّهُ من رَبِّهمْ وَصَاحبُ هَذَا المقَام لايُسيئهُ الذَّمُّ وَقُلْتُ :

عَرَى الزُّهَّادَ بالمدْح انقبَاضٌ لأنّهمُو رَأوْهُ ثَنَاءَ خَلْق
وَسُرَّ الواصلُونَ بـه سُرُوراً لأنَّهُمُو رَأوْهُ ثَنَاءَ حَقّ

(53) ـ (1) بأنْ تَعْتَقدَ بسَبَب صُدُور الذَّنْب أنَّ حُصُولَ الاستقَامَة لَكَ مُسْتَحيلٌ فَيَحْملكَ ذَلكَ عَلَى تَعَاطي غَيْره منَ الذُّنُوب ، وَهَذا غَلَطٌ لأنَّ الاسْتقَامَةَ لا يُنَاقضُهَا فعْلُ الذَّنب فَلْتَةً ، وإنَّمَا يُنَاقضُهَا الإصْرَارُ وَالعَزْمُ عَلَى مُعَاوَدَته فَالواجبُ أنْ تَرجعَ إلى رَبِّكَ ، ولا تَيأسَ منْ رَحْمته وَقُلْتُ :

وَلاَ تَيأسْ إذَا قَارفْتَ ذَنباً عَسَاهُ يكُونُ آخرَ مَا اقْترَفْتَا

(54) ـ (1) استَحْضرْ في نفسكَ .

(2) منْ جَلْب المنَافع وَدَفْع المضَارّ منْ ولادتكَ إلى وَقْتكَ الذي أنْتَ فيه فَيَغلبَ عَلَيْكَ الرَّجَاءُ وَلَوْ مَعَ الذَّنْب

(3) منَ المخَالَفَات وَسُوء الأدَب بَيْنَ يَدَيْه فَيَغلبَ عَلَيكَ الخَوْفُ فَتَكُفَّ عَنْ مُخَالفَته وقُلْتُ : =

(55) استشرافُكَ [1] أنْ يَعْلَمَ الخَلْقُ بِخُصُوصيَّتِكَ [2] دليلٌ عَلَى عَدَمِ صدْقكَ فى عُبُوديَّتكَ [3] .

(56) إنَّما حَجَبَ الحقَّ عَنْكَ شدَّةُ قُرْبه منْكَ [1] .

(57) إنَّمَا احتَجَبَ لشدَّة ظُهُوره ، وَخَفىَ عَنِ الأبْصَارِ لعظَمِ نُورِه [1] .

(58) إلىَ المشيئَة يَسْتَنِدُ كُلُّ شَىءٍ [1] ولاَ تَسْتَنِدُ هىَ لشَىءٍ [2] .

= إذَا شَـاهدْتَ مَا منـهُ إليكَا فَتَحْتَ عَلَيْكَ أبْوابَ الرَّجَاء
وإنْ شَـاهدْتَ مَا يَأتيه منـكَا غَدَوْتَ منَ المخَافَة فى عَنَاء

(55) ـ (1) مَحبَّتَكَ .

(2) منْ علْم نَافع أو عَمَل صَالح أوْ أحْوَال بَاطنية .

(1) لأنَّ الصِّدْقَ فى العُبُوديَّةِ طَرحُ الأغيَارِ رَأساً فَمَنْ صَدَقَ فيهَا قَنَعَ بعلْمِ الله ، وكره أنْ يَعْلَمَ بحَاله سواهُ وقُلْتُ :

مَنْ وَدَّ علْم الخَلق باختـصَاصه أبَانَ كُلَّ الضعْف فى إخلاصـه

(56) ـ (1) لأنَّ الحجَابَ كَمَا يَكُونُ بشـدة البُعْد يكُونُ بشـدَّة القُـرْبِ ، فَاليَدُ الملصَقَةُ بالبَصَر لا يرَاهَا بخلاَف البَعيدَة عَنْهُ ، وكَذلكَ الرَّبُّ قَريبٌ منَّا قُرْباً مَعنَوياً يُدْركه أربَابُ البَصَائر فلاَ يُرَى وقُلتْ :

وَمَا حجَابٌ للإله عَـنْكَا إلاَّ تَمَامُ القُـرْب منْهُ منكَا

(57) ـ (1) كَالشَمْس فَإنَّ نُورَهَا أقْوىَ منْ سَائر الأنْوَار المحْسُوسَة وَقُوَّةُ نُورهَا هُوَ الذى حَجَبَ الأبْصَارَ الضَّعيفَةَ عَنْ إدْرَاك كُنهِهَا وَالحِجَابُ إنَّمَا هُوَ ضَعْفُ الأبْصَارِ عَنْ مُقَاومَة فَيَضَانِ الأنْوَار وقُلْتُ :

تَعْشَى العُيُونُ فَلا تَرَاهُ لنُوره وَحجَـابُهُ سُـبْحَانَهُ لظُـهُـوره

(58) ـ (1) أىْ كُلُّ مَوْجُود يَسْتَنِدُ إلَى مَشيئَة الله مَنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهَا به أزَلاً

(2) المرَادُ بالمشيئَة فى مَرْجع الضَّمير : مَا تَعَلَّقَتْ به أزلاً منْ مَطَالب العبَاد التى سَبَقَ بهَا العلْمُ فَإنَّ طَلَبَهَا بالدُّعَاء وَالأعْمَال الصَّالحة لَيسَ سَبَباً مُؤثِّراً فيهَا وقُلْتُ :ـ

إلىَ مَشيئَته الأشْيَاءُ تَسْـتَنَدُ وَمَا لمَا شَاءَهُ حَاشَاهُ مُسْتَنَدُ

(59) إنَّمَا يُذكَّرُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الإغْفَالُ [1] وإنَّما يُنبَّهُ مَنْ يُمكنُ منْهُ الإهْمَالُ [1].

(60) الفَاقَاتُ بُسْطُ المَوَاهِب .

(61) إنْ أرَدْتَ وُرُودَ المَوَاهِبِ عَلَيْكَ . فَصَحِّحِ الفَقْرَ والفَاقَةَ لَدَيْكَ [1] إنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاء .

(62) العِبَارَاتُ قُوتٌ لِعَائلة المستَمعينَ [1] ولَيس لَكَ إلاَّ مَا أنْتَ آكلٌ [2] .

---

(59) ـ (1) عَدَمُ العلم بحَال السَّائل .

(2) عَدَمُ الاعْتنَاء بالسَّائل مَعَ علمه بحَاله ، ولَذَا كَانَ تَرْكُ الطَّلَبَ عنْد هؤلاء أدباً . وقُلْتُ : ـ

مَنْ ذَا يُذكَّرُ إلاَّ رَبُّ إغْفَال ‏‏ مَنْ ذَا يُنَبَّهُ إلاَّ رَبُّ إهْمَال

(60) ـ (1) كَالبُسُط التى تَرِدُ المَوَاهبُ الإلهيَّةُ لكُلِّ مَنْ جَلَسَ عليهَا فَالفَاقاتُ تُحضرُكَ مَعَ الحقِّ وتُجلسُكَ عَلَى بسَاط الصِّدْق ، ونَاهيكَ بمَا تَنَالُ فى تلْكَ الحَال . قَالَ المُصنِّفُ :

ربَّمَا وَجَدْتَ منَ المزيد فى الفَاقَات ـ مَالم تَجدْهُ فى الصَّوْم والصَّلاَة وقُلْتُ :

ارْضَ بالفَاقَات واشْكُرْهُ لَهَا ‏‏ إنَّمَا الفَاقَاتُ بُسْطٌ للهبَات

(61) ـ (1) بأنْ تَتحققَ بهمَا فى نَفسكَ تَحقُّقاً تَاماً فلاَ يكُونُ عندَكَ اسْتغْنَاءٌ بغَيْره بوَجْه منَ الوُجُوه فَتَرِد علَيْكَ حينئذ المَوَاهبُ الإلهيَّةُ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفقرَاء . وقُلْتُ :

مَنْ صَحَّحَ الفقرَ أغنَتهُ مَوَاهبُهُ ‏‏ وَهَرْوَلَتْ نَحْوَهُ تَسْعَى رَغَائبُهُ

(62) ـ (1) الإضَافَةُ للبَيَان أىْ عبارَاتُ أهْلِ هَذه الطَّريقَة منْ حَيْثُ مَعْنَاهَا قُوتٌ لأرْوَاحِ العَائلة ، وَهُمُ المسْتَمعُونَ المحْتَاجُونَ إلىَ مَا يُلْقى إليْهمْ منَ المعَارف كَمَا أنَّ الأطعمَةَ الحسِّيَّةَ قُوتُ لأبْدَانِ المحتَاجينَ إليْها .

(2) فَاهمٌ منْ هَذه العبَارَات فَقَد تُلْقَى العبَارَةُ عَلَى جَمَاعَة ، ويَفهَمُ كُلُّ واحد منْهَا مَالا يَفهَمُهُ =

(63) إِذَا التَبَسَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ (1) فَانْظُرْ أَثْقَلَهُمَا عَلَى النَّفْسِ فَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ لا يَثْقُلُ عَلَيْهَا إِلاَّ مَا كَانَ حَقّاً (2).

(64) أَوْجَبَ عَلَيْكَ وُجُودَ خِدْمَتِهِ . وَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ إِلاَّ دُخُولَ جَنَّتِهِ(1) .

= الآخَرُ ، وقَدْ يَفْهَمُ بَعْضُهُمْ مَعْنَى لا يَقْصِدُهُ المتكَلِّمُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ بَاطِنُهُ تأَثّراً عَظِيماً وَرُبَّمَا فَهِمَ مِنْهُ ضِدَّ مَا قَصَدَهُ المُتَكَلِّمُ سَمِعَ بَعْضُهُمْ قَائِلاً :

إِذَا العِشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَّت فَوَاصِلْ شُرْبَ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
وَلا تَشْرَبْ بِأَقْدَاحٍ صِغَارٍ فَإِنَّ الوَقْتَ ضَاقَ عَنِ الصِّغَارِ

فَخَرَجَ هَائِماً حَتَّى مَكَّةَ وَجَاوَرَ بِهَا حَتَّى مَاتَ . وَقُلْتُ :

وَمَا العِبَارَاتُ إِلاَّ قُوتُ مُسْتَمِعٍ وَلَيْسَ مِنْهَا لَهُ إِلاَّ الذى هَضَمَا

(63) ـ (1) وَاجِبَانِ كَطَلَبِ مَا لاَبُدَّ مِنْهُ مِنَ العِلْمِ ، وَالسَّعْيِ عَلَى العِيَالِ أَوْ مَنْدُوبَانِ كَطَلَبِ عِلْمٍ زَائِدٍ عَلَى مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ ، وَاشْتِغَالٍ بِنَوافِلَ ، وكَصَلاةِ النَّوافِلِ ، وَالصَّلاةِ عَلَى النَّبِى ﷺ .

(2) أَوْلَى لأَنَّها مَجْبُولَةٌ عَلَى الجهلِ فَشَأْنُهَا طَلَبُ الحظُوظِ فَإِذَا خَفَّ عَلَيْكَ عَمَلٌ دُونَ عَمَلٍ فَدَعْ مَا خَفَّ وَاعْمَلْ مَا ثَقُلَ هَذَا إِنْ لَم تَطْمئِنَّ نَفْسك وإلاَّ فَاتَ بِمَا خَفَّ عَلَيْكَ مَعَ تَقْدِيمِ الأَعْظَمِ فَائِدَةً وَهُنَاكَ مِيزَانٌ آخَرُ نُمِيزُ بِهِ الأَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ مِمَّا التَبَسَ عَلَيْكَ . وَهُوَ أَنْ تُقَدِّرَ نُزُولَ المَوْتِ بِكَ فَأَى عَمَلٍ سَرَّكَ أَنْ تُشْغَلَ بِهِ فِى هَذِهِ الحَالَةِ فَهُوَ حَقٌّ وَمَا عَدَاهُ بَاطِلٌ فَإِنَّ العَبْدَ فِى هَذِهِ الحَالَةِ لاَ يَصْدُرُ مِنْهُ إِلاَّ خَالِصُ العَمَلِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَمُوتَ وَفِى يَدِكَ الكِتَابُ تَطْلُبُ فِيهِ العِلمَ فَقَدِّمْهُ عَلَى الذِّكْرِ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَمُوتَ ذَاكِراً فَقَدِّمِ الذِّكْرَ فَمَا تُحِبُّهُ فِى هَذِهِ الحَالَةِ دَلِيلُ إِخْلاصِكَ فِيهِ ، وَقُلْتُ فِى نَظْمِ الحِكَمِ :

أَوْلَى المُرَادَيْنِ بِالتَّنْفِيذِ مَا ثَقُلَتْ عَلَيْكَ أَعْبَاؤُهُ فَانْهَضْ بِمَا ثَقُلا

(64) ـ (1) لأَنَّه غَنِىٌّ عَنْ خَلْقِهِ فَطَاعَتُهُمْ لَهُمْ وَهِىَ طَرِيقُ الجَنَّةِ ، وَقُلْتُ :

الزَمْ لِخِدْمَتِهِ . تُلْزَم بِجَنَّتِهِ وَاشْكُرْ لِحَضْرَتِهِ إِتْمَامَ نِعْمَتِهِ

(65) أَنْوَارٌ أذنَ لَهَا فِى الوُصُول . وَأَنْوَارٌ أذنَ لَهَا فِى الدُّخُول [1] .

(66) الحَقَائقُ [1] تَرِدُ فِى حَالَةِ التَّجلِّى [2] مُجْمَلَةً [3] وَبَعْدَ الوَعْى [4] يكُونُ البَيَانُ [5] فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ، فَاتَّبِعْ قُرآنَهُ [6] . ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [7] .

---

(65) ـ (1) الأنوارُ : العُلُومُ والأَسْرَارُ الإلهيَّةُ الوَارِدَةُ عَلَى القَلْب قِسْمَان أنْوَارٌ أذنَ لَهَا فِى الوُصُول إلى ظَاهِرِ القَلْب فَقَطْ ، وَعَلامَتُها أنَّ القَلبَ مَعهَا يكُونُ مَعَ نَفْسه تَارَةً ، وَمعَ رَبِّه أخْرَى وَمَرةً يُحبُّ آخرتَهُ ، وَطوْراً يُحبُّ دُنْيَاهُ وأنوارٌ أذنَ لَهَا فِى الدُّخُولِ إلىَ بَاطِنِ القَلْبِ وَعَلامَتُهَا أنَّ صَاحبَهَا يَبْغَضُ دُنْيَاهُ ، وَيَهجُرُ هَوَاهُ وَيُقْبلُ كُلَّ الإقْبَال عَلَى مَوْلاه . وَقُلْتُ :

وَأنْـــوَارٌ لِقَــلْب وَاصِـــلاتُ وَأنْـــوَارٌ بِقَـــلْب دَاخِـــلاتُ

(66) ـ (1) الحقَائقُ : العُلُومُ اللَّدُنِّيَّةُ التى يَقْذفُهَا اللهُ فِى أسْرَارِ العَارفينَ عِنْدَ بَرَاءَتِهِم منَ الدَّعْوَى وَتَعَرُّضِهِمْ بِسرِّهِمْ إلىَ نَفَحَاتِ الحَق .

(2) تَجلِّى الله عَلَى قُلُوبِهِمْ

(3) لا تَظْهَرُ لَهُمْ مَعَانيها لِعظَمِ التَّجلِّى .

(4) بِزَوَالِ التَّجلِّى .

(5) ظُهُورُ المعْنَى لِتَصَرُّفِ أذْهَانِهِمْ فِيهَا بالاعْتبَارِ وَالتَّأمُّلِ وَاسْتَدَلَّ عَلَى هَذه بالآيَة .

(6) قِرَاءَتَهُ .

(7) أىْ بَيَانَ مَعْنَاهُ لكَ فَقدَ جَعلَ بَيَانَ المعْنَى بَعْدَ قِراءَته المقَارنَة للتَّجلِّى الإلهىِّ . قَالَ الإمَامُ القُشَيْرىُّ : أصْحَابُ الحَقَائقِ يَجرى عَلَيْهِمْ بِحكْمِ التَّصرُّف شَىءٌ لا علْمَ لَهُمْ به عَلَى التَّفْصِيل ، وَبَعْدَ ذَلكَ يُكْشَفُ لَهُمْ وَجْهُهُ ، وَالمصَنِّفُ أشَارَ بِهَذه المسْألَة إلى أنَّ الحقِيقَةَ مُوَافقَةٌ للشَّريعَة حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ حَقيقَة تُخَالفُ الشَّرِيعَةَ فَهِى كُفْرٌ وَقُلْتُ :

إنَّ الحَقَــائِقَ تَأتِى وَهْىَ مُجْمَــلَةٌ حَالَ التَّجلِّى وَبَعْدَ الوَعْى تَفْصِيلُ

(67) الوَارِدُ (1) يَأتِى مَنْ حَضْرَةِ قَهَّار (2) لأجْلِ ذَلِكَ لا يُصَادِمُهُ شَىءٌ (3) إلاَّ دمَغَهُ (4) بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ .

(68) النَّعِيمُ وَإنْ تَنَوَّعَتْ مَظَاهِرُهُ (1) إنَّمَا هُوَ لِشُهُودِهِ وَاقْتِرابِهِ (2) وَالعَذَابُ (3) وَإنْ تَنَوَّعَتْ مَظَاهِرُهُ (4) إنَّمَا هو لِوُجُودِ حِجَابِهِ (5) فَسَبَبُ العَذَابِ وُجُودُ الحِجَابِ وَإتْمَامُ النَّعِيمِ (6) بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الكَرِيمِ (7)

---

(67) ـ (1) التَّجَلِّى الإلهِىُّ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالحال .

(2) أىْ لَهُ القَهْرُ وَالغَلَبَةُ لِوُرُودِهِ مِنْ حَضْرَةِ اسْمِهِ القَهَّارِ أى الغَالِبِ الّذى لاَ يُغْلَبُ .

(3) مِنْ رُعُونَاتِ البَشَرِيَّةِ .

(4) أزَالَهُ . وهُوَ أيْضاً حَقٌّ وَرَدَ عَلَى بَاطِلٍ وَالبَاطِلُ لاثَبَاتَ لَهُ مَعَ الحَقِّ وَقُلْتُ :

الوَارِدُ الحَقُّ مَا يَلقَاهُ قَهَّارُ ‏ ‏ ‏ ‏ لأنَّ مُورِدَهُ للقَهْرِ قَهَّارٌ

(68) ـ (1) مَوَاضِعُ ظُهُورِهِ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنَ المَلابِسِ وَالمَطَاعِمِ وَالحُورِ والولدان ، والقُصُورِ وَالمرادُ مِنَ النَّعِيم : التَنَعُّمُ والتَّلَذُّذُ .

(2) إنَّمَا يَكُونُ نَعِيماً حَقِيقَةً إذَا كُنْتَ حَالَ تَنَعُّمِكَ بِهَذِهِ الأشْيَاءِ مُشَاهِداً لَهُ ، وَإلاَّ فَهُوَ عَذَابٌ .

(3) التَّألُّمُ .

(4) مِنَ الضَّرْبِ وَالجحيمِ والسَّلاسِلِ .

(5) أىْ بِحَجْبِكَ عَنْهُ حَالَ مُلابَسَتِكَ هَذِهِ الأشْيَاءَ .

(6) النَّعِيمِ التَّامُّ .

(7) بِعَيْنِ البَصِيرَةِ فى الدّنْيَا ، وَبالبَصرفى الآخِرَةِ . وَحَاصِلُهُ أنَّ النعيم شُهُودُ الرَّبِّ ، وَالعَذَابُ : الحِجَابُ عَنْهُ ، وَأمَّا مَا يُتَنَعَّمُ به ظَاهِراً أوْ يُعَذَّبُ فليس بِنَعِيمٍ وَلاَعَذَابٍ بالنَّظَرِ لِذَاتِهِ . وَقُلْتُ :

إنَّ النَّعِيمَ ، وَإنْ جَمَّتْ مَظَاهِرُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِقُرْبِهِ ، وَتَمَامُ القُرْبِ بِالنَّظَرِ
وَمَا العَذَابُ ، وَإنْ جَمَّتْ مَصَادِرُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ سِوَى البِعَادِ وَكُلُّ البُعْدِ فِى سَقَرِ
وَقُلْتُ : إنَّ النَّعِيمَ لِقُرْبِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ إنَّ العَذَابَ لِبُعْدِهِ

(69) إنْ أَرَدْتَ أنْ لا تُعْزَلَ فَلاَ تَتَولَ ولايَةً لاتَدُومُ لَكَ [1]

(70) إنْ رَغَّبَتْكَ البدَايَاتُ زَهَّدَتْكَ النِّهَايَاتُ . إنْ دَعَاكَ إليْهَا ظَاهِرٌ نَهَاكَ عَنْهَا بَاطِنٌ [1] .

(71) إنَّمَا جَعَلَهَا [1] مَحَلاً للأغْيَارِ [2] وَمَعْدناً للأكْدَارِ ليُزَهِّدَكَ [3] فيهَا .

(72) العِلْمُ النَّافِعُ هُوَ الذى يَنْبَسِطُ فِى الصَّدْرِ شعَاعُهُ . وَيَنْكَشِفُ بِه عَنِ القَلْبِ قِنَاعُهُ [1]

---

(69) ـ (1) لأنَّ الولايَةَ مَآلُهَا الحُزْنُ بِسَبَبِ وُقُوعِ العَزْلِ عَنْهَا بِموتٍ أوْ غَيْرِه وَالعَاقِلُ يَتْرُكُ الولايَةَ المفْرُوحَ بهَا خَشْيَةَ العَزْلِ المحزُونِ به .

(70) ـ (1) بدَايَاتُ الأمُورِ المحبوبَةِ وَظَوَاهِرُهَا تُرَغِّبُ الجَاهِلَ لرَائقِ حُسْنِها فيغْتَرُّ فَتَقُودُهُ إلىَ مَا فيه ضَرَرُهُ وَهَلاَكُه ، وَنِهايَاتُ الأمُورِ وَبَوَاطِنُهَا تُزَهِّدُ العَاقِلَ وَتَنْهَاهُ عَنْهَا ، وَقَولُهُ : إنْ دَعَاكَ إليْهَا ظَاهِرٌ نَهَاكَ عَنْهَا بَاطِنٌ يرْجِعُ فِى المعْنَى إلىَ الجُمْلَةِ التَّى قَبْلَهُ فَالظَّاهِرُ يَرْجِعُ للبَدَايات ، وَالبَاطِنُ للنِّهَايَات وَقُلْتُ :

إنْ رُمْـــتَ أنْ لا تُعْــزَلاَ   فَتَنَـــحَّيَنَّ عَنِ الولاَيَــه
إنْ رَغَّبَتْـــكَ بِدَايَــــةٌ   فِيـــهَا تُزَهِّــدْكَ النِّهَايَهْ

(71) ـ (1) الدُّنْيَا .

(2) كَالأمْرَاضِ وَالبَلاَيَا .

(3) لأنَّ المُوجِبَ لرَغْبَتِكَ فِيهَا مَا تَتَوَهَّمُ مِنْ حُصُولِ أغْرَاضِكَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ ، وَهُوَ لا يكُونُ أبَداً حَتَّى لَوْ كَانَ لَوَجَبَ الزُّهْدُ فيهَا لفَنَائها وَقُلْتُ :

وَمَا جُعِــلَتْ مَقَــرَّ الغَيْرِ إلا   لتَزْهَدَهَا وَتَرْغَبَ فِى الرَّحِيلِ

(72) ـ (1) هُوَ العِلْمُ باللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِه وَأسمَائِه ، وَالعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ التَّعَبُّدِ لَهُ وَالتَّأدُّبِ بَيْنَ يَدَيْه وَهَذَا هُوَ العِلْمُ الذى يَنْبَسِطُ فِى الصَّدْرِ شُعَاعُهُ فَيَتَّسِعُ وَيَنْشَرِحُ للإسْلامِ ، وَيَنْكَشِفُ عَنِ القَلْبِ قِنَاعُهُ وَغِشَاوُهُ فَتَزُولُ عَنْهُ الشُّكُوكُ وَالأوْهَامُ وَقَالَ الجُنَيْدُ : العِـلْمُ أنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ ، وَلاَ تَعْدُو=

(73) العلْمُ إنْ قَارَنَتْهُ الخَشْيَةُ فَلَكَ (1) ، وَإلاَّ فَعلَيْكَ (2)

(74) إنَّمَا أجْرَى الأذَى عَلَى أيْديهمْ كَيْ لا تكُونَ سَاكناً إلَيْهم (1) .

(75) أرَادَ أنْ يُزْعجَكَ (1) عَنْ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى لاَ يَشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ .

= قَدْرَكَ أىْ هُوَ مَعْرِفَةُ الله وَحُسْنُ الأدَب بيْنَ يَدَيْه . وَقَالَ مَالكُ بْنُ أنَس ﷺ : لَيْسَ العلْمُ بكَثْرَة الروَايَة وَإنَّما هُوَ نُورٌ يَقْذفُهُ اللهُ فى القُلُوب . وَقلْتُ :

لاَ يَنْفَعُ العلْمُ مَا لَمْ يَمْلأ فُؤَادكَ نُورَا
تَرىَ الحَقيقَةَ فيه وَيَكْشفُ الدَّيْجُورَا

(73) ـ (1) مَنْفَعَتُهُ فى الدُّنيا وَالآخرة .

(2) مَضَرَّتُهُ فيهما . قَال سُفْيَانُ الثورىُّ : إنَّمَا يَتَعلَّمُ العلْمُ ليُتَّقَى به اللهُ ، وَإنَّمَا فُضِّلَ العلْمُ عَلَى غَيْره لأنَّهُ يُتَّقَى اللهُ به فَإن اخْتَلَّ هَذَا القَصْدُ ، وَفَسَدَتْ نيَّةُ طَالبه بأن اسْتَشْعَر به التَّوصُّلَ إلىَ مَثَال دُنْيَوىٍّ منْ مَال أوْ جَاه فَقَدْ بَطَلَ أجْرُهُ وَحَبطَ عَمَلُه وَخَسرَ خُسْرَاناً مُبيناً . قَالَ تَعَالى : ﴿ من كَانَ يُريدُ حَرْثَ الآخرَة نَزدْ لَهُ فى حَرْثه ﴾ . وَقُلْتُ :

لَكَ العلْمُ إنْ زَيَّنْتَهُ بتُقَاكَا وَعَلَيْكَ إنْ قَبَّحْتَهُ بهَوَاكَا

(74) ـ (1) مُعْتَمداً عَلَيهمْ فى تَحْصيل نَفْعٍ أوْ دَفْعِ ضُرٍّ تَاركاً مَوْلاَكَ وَقُلْتُ :

أجْرَى الأذَى المولَى عَلَى يَدْيهمْ كَيْ لاَ تَكُونَ سَاكناً إليْهمْ

(75) ـ (1) بتَوجُّه الخَلْق إليْكَ بالأذَى قَال فى لَطَائف المنَنَ : اعلَمْ أنَّ أوْليَاءَ الله حكْمُهُمْ فى بدَايَاتهمْ أنْ تُسَلَّطَ الخَلَقُ عَلَيْهمْ ليُطَهَّروا منَ البَقَايَا ، وَتَسْليطُ الخَلق عَلَى أوليَاء الله فى مَبْدأ ظُهُورهمْ سُنَّةُ الله فى أحبَّائه وَأصفيَائه . وَقُلْتُ :

وَمَا أغْرَى بكَ المؤذينَ إلاَّ لتَرْحَلَ بالأذَى منْهُمْ إليَه

(76) إذَا عَلمْتَ أنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَغْفُلُ عَنْكَ[1] فَلاَ تَغْفُلْ عَمَّنْ نَاصيتُكَ بيَده[2].

(77) التَّوَاضُعُ الحَقيقيُّ : هُوَ مَا كَانَ نَاشئاً عَنْ شُهُود عَظَمَته وَتَجلِّي صفَته[1]

(78) المؤْمنُ[1] يَشْغَلُهُ الثَّنَاءُ عَلَى الله عَنْ أنْ يكُونَ لنَفْسه شَاكراً[2] وَتَشْغَلُهُ حُقُوقُ الله عَنْ أنْ يكُونَ لحُظُوظه ذَاكراً[3].

---

(76) ـ (1) عَنْ إغْوَائكَ وَمُحَارَبَتكَ لقَوْله تَعَالَى : ﴿ لآتيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية .

(2) وَهُوَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الإعتصَامِ والاحتمَاء به سُبْحَانَه وتَعَالَى فَإنَّهُ يكْفيكَ هَمَّهُ لقَوله تَعَالى ﴿إنَّ عبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ، وَقَوْله تَعَالَى : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ . قَالَ ﷺ : « قَالَ إبْلِيسُ لربِّه عَزَّ وَجَلَّ : بعزَّتكَ وجَلالكَ لا أبْرَحُ أغْوِى بنى آدم مَا دَامَت الأرواحُ فِيهم فقَالَ لَهُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ : وَعزَّتى وَجَلالى لا أبْرحُ أغفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونى » ، وَقُلْتُ :

وَمَا غَافلٌ إبْليسُ عَنْكَ فَلاَ تَكُنْ غَفُولاً عَنِ المَوْلَى يُعنْكَ عَلَيه

(77) ـ (1) يُريدُ أنَّ شُهُودَ عَظَمَة الله تَعَالَى وتَجَلِّيَ صفَته عَلَى العَبْد هُوَ الذى يُوجبُ لَهُ وُجُودَ التَّوَاضُعِ الحَقيقىّ فَمَا تَجَلَّى اللهُ لشَىء إلاَّ خَضَعَ لَهُ وَخَرَجَ بالحقيقىِّ التَّوَاضُعُ الذى يَنْشأ منْ نَقْص النُّفُوس وَعُيُوبهَا لأنَّه غَيْرُ حَقيقىٍّ إذْ قَد يُشَابُ بشَىء منَ العُجْب والكبْر قَالَ فى عَوَارف المعَارف : لا يَبْلُغُ العبدُ حَقيقَةَ التَّوَاضُع إلاَّ عندَ لَمَعَان نُور المشَاهَدَة فى قَلْبه فَعنْدَ ذَلكَ تَذُوبُ النُّفُوسُ وَعنْدَ ذَوبَانهَا صفَاؤهَا منْ غشِّ الكبْر وَالعُجْب . وَقُلْتُ :

وَمَنْ لَـم يُشَاهدْ ربَّـهُ بفُـؤَاده قَضَى قَبْلَ أنْ يَحظَى بحَقِّ التَّوَاضُع

(78) ـ (1) كَاملُ الإيمَان .

(2) مَادحاً لها بنسْبَة الأفْعَال الجَميلة وَالصِّفَات الحَميدَة لَها لأنَّهَا فعْلُ الله وَهُوَ مُظْهرٌ لهَا فَيُثْنى عَلَى الفَاعلِ المعْطى المنَّان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(3) مُلْتَفتاً لَهَا بأنْ يَعْبُدَ اللهَ لذَاته لاَ لطَمَعٍ فى جَنَّته وَلاَ لهَرب منْ نَاره . وَقُلْتُ :

المؤمن الحَقُّ حَمْدُ الله يَشْغَلُهُ عَنْ حَمْده وَبه عَنْ نَفْسه شُغلا

(79) إنَّمَا وَسعَكَ الكَوْنُ (1) منْ حَيْثُ جُثْمَانيَّتُكَ (2) ، ولَمْ يَسَعْكَ منْ حَيْثُ ثُبُوتُ رُوحانيتكَ (3) .

(80) الكَائنُ فِى الكَون، (1) ولَمْ تُفْتَحْ لَهُ مَيَادينُ (2) الغُيُوبِ ـ مَسْجُونٌ بمُحيْطَاتِه (3) وَمَحصُورٌ فى هَيْكَلِ ذَاته (4) .

---

(79) ـ (1) العَالَمُ السُّفلىُّ ، وَهُوَ الأرْضُ .

(2) بضَمِّ الجيم : جسْمُكَ لأنَّهُ بَعضُ الكَون . وَمَحْصُورٌ فيه ومَصَالحُه غَيْرُ خَارجَة عَنْه .

(3) رُوحُكَ لأنَّهَا لَيْستْ منْ هَذَا العَالَمِ ولاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ فَلاَ تَصلُحُ أنْ تَتَعَلَّقَ به بَلْ بالمولَى سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ، قَالَ أبُو عَبْد الله بْنُ الجلاَّب : مَنْ عَلَتْ همَّتُهُ عَنِ الأكْوَان وَصَلَ إلىَ مُكَوِّنهَا . وَمَنْ وَقَفَ بهمته عَلَى شَىء منَ الخَلْق فَاتَهُ الحَقُّ لأنَّه أعَزُّ منْ أنْ يَرْضَى مَعَهُ شَريكاً ، وَسُئلَ أحَمْد بنْ خَضْرَوَيْه : أىُّ الأعمَال أفْضَلُ ؟ فَقَالَ : رعَايَةُ السِّرِّ عَنِ الالتفَات إلىَ شَىْء سوَى الله وَقُلْتُ :

وَمَا فى الكَوْنِ مُتَّسَعٌ لِرُوحٍ ... وَفِيهِ كُلُّ مُتَّسَعٍ لِجِسْمِ

(80) ـ (1) الموْجُودُ فى الدّنيَا .

(2) أىْ لَمْ يُفْتَحْ قَلْبُه للعُلُومِ وَالمعَارِف الشَّبِيهَة بالميَادين .

(3) شَهَوَاته منَ المآكلِ وَالملابسِ وَالمشَاربَ

(4) أىْ فى هَيْكَلٍ هُوَ ذَاتُهُ وَالمرَادُ شَهَواتُه فَهُوَ مُرَادفٌ لمَا قَبْلَهُ . وَفى بَعضِ الآثَار : (عَبْدى اجْعَلنِى مكانَ هَمِّكَ أكْفكَ كُلَّ هَمٍّ . مَا كُنتَ بكَ فَأنْتَ فى مَحلِّ البُعْد وَمَا كُنْتَ بى فَأنْتَ فى مَحلِّ القُرْب فَاختَر لنَفْسكَ) . وَقُلْتُ :

إذَا اللهُ لَم يَفْتَحْ لِقَلْبِكَ غَيْبَهُ ... فَإنَّكَ فِيمَا تَشْتَهِيه سَجِينُ

ليو نوير سال

(81) أنْتَ مَعَ الأكْوَانِ (1) مَالَمْ تَشْهَدِ المُكَوِّنَ (2) فَإذَا شَهِدْتَهُ كَانَتِ الأكْوَانُ مَعَكَ (3) .

(82) أشْهَدَكَ (1) منْ قَبْلِ أنْ يَسْتَشْهِدَكَ (2) فَنَطَقَتْ بِألُوهِيَّتِه (3) الظَوَاهِرُ (4) وَتَحَقَّقَتْ بِأحَدِيَّته القُلُوبُ وَالسَّرَائِرُ .

(83) أكْرَمَكَ بِكَرَامَاتٍ ثَلاثٍ (1) جَعَلَكَ ذَاكِراً لَهُ (2) وَلَوْلاَ فَضْلُهُ لَمْ تَكُنْ أهْلاً

---

(81) ـ (1) وَاقِفٌ مَعَهَا وَعَبْدٌ لَهَا .

(2) فيهَا .

(3) أَيْ كُنْتَ مُسْتَغنياً عَنْهَا وَمَالكاً لَهَا وَهِيَ مُحْتَاجةٌ إلَيْكَ وَخَادمةٌ لَكَ ، فإذَا طَلَبْتَ مِنْهَا شَيْئاً حَصَلَ وَإذَا قُلْتَ للشَّيء : كُنْ كَانَ بإذن الله تَعَالَى . وكذَا كَانَ بَعْضُ الأوْلِيَاءِ يَقُولُ للسَّمَاء : أمْطِرى فَتُمْطِرُ ، ولِلرِّيح : هُبِّى فَتَهُبُّ وَسَبَبُ ذَلك غَيْبَتُهُ عَنْهَا بشُهُود مكَوِّنهَا وَمَعْلُومٌ أنَّ حَالَةَ الشُّهُود يَغيبُ فيهَا الوَلى عَنْ حسِّه وبَشَرِيّته ، وَلا يَلْزَمُ منْ ذَلك فَنَاؤُهَا . وَقُلْتُ :

وَأنْتَ مُطيعُ الكَوْن مَالَمْ تَرَ الذى ... بَرَاهُ فَإنْ تَشْهَدهُ كَانَ مُطيعَا

(82) ـ (1) تَجَلَّى لقَلْبكَ فَشَهدْتَهُ عَلَى حَسَب قَدْركَ .

(2) أنْ يَطْلُبَ منْكَ أنْ تَشْهَدَ بعظَمته وَجَلاَله بذكْركَ وَعبَادَتكَ فَإنَّ الذكْرَ والعبادَةَ شَهَادَةٌ بعظَمَة المذْكُور وَالمعْبُود .

(3) أىْ بمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا .

(4) الجَوَارحُ الظَّاهرَةُ ، وَهَذَا رَاجعٌ للثَّانى وَهُوَ الاسْتشْهَادُ . وَقَوْلُهُ : (وَتَحَقَّقَتْ بأحَديّته القُلُوبُ والسَّرَائرُ)، رَاجعٌ للأوَّل ، وَهُوَ الإشْهَادُ وَيُحتَمَلُ أنَّ مَعْنَى ذَلكَ أنَّ اللهَ تَعَالَى كَشَفَ للأرْوَاح فى عَالم الغَيْب عَنْ ألُوهيَّته وأحَدِيَّة ذَاته . ثُمَّ لَمَّا أظهَرَهَا فى عَالَمَ الشَّهَادة بأنْ رَكَّبَهَا فى الأجْسَام طَلَبَ منْهَا عَلَى لسَان الأنْبيَاء الشَّهَادَةَ لَهُ بالألُوهيَّة فَشَهدَتْ بلسَان حَالهَا وَمَقَالهَا فكَانَت الشَّهَادَةَ منْهَا لَمَّا استُشْهدَتْ تَبَعاً لشُهُودهَا لما أشْهدَتْ وَقُلْتُ :

وَحّدْ لمنْ أشْهَدَكَا ... منْ قَبْلِ أنْ يُشْهدكَا

(83) ـ (1) جَمَعَ لَكَ بهَا كُلَّ المفَاخرْ والمحَامد .

(2) بلسَانكَ وَعبَادَتكَ الظَّاهريَّة وَالبَاطنة .

لَجَرَيان ذكْره عَلَيْكَ (1) ، وَجَعَلَكَ مَذْكُوراً به (2) إذْ حقَّقَ نسبتَهُ لَدَيْكَ (3) ، وَجَعَلَكَ مَذْكُوراً عَنْدَهُ (4) فتَمَّمَ نعمتَهُ عَلَيْكَ (5)

(84) الخذْلانُ كُلُّ الخذْلان (1) أنْ تَتَفرَّغَ منَ الشَّوَاغل (2) ثُمَّ لا تَتَوجَّهَ إليْه وتَقلَّ عَوَائقُكَ ثُمَّ لَا تَرْحلَ إليْه .

---

(83) ـ (1) لأنّكَ مَجبُولٌ عَلَى النَّقْص وَالكَسَل ، وَمَنْ أنتَ حَتَّى تكُونَ مَوْضعاً لذكْره وَطَاعَته .

(2) بأنْ يُقَالَ وَلىُّ الله وَذَاكرهُ .

(3) أىَ خُصُوصيَّتهُ وَهىَ مَا أظْهَرَهُ عَلَيْكَ منْ أنوَار الذّكْر التى استَنارَ بهَا بَاطنُكَ وَظَاهرُكَ فَتحقيقُ الخُصُوصيَّة سَبَبُ انْتسَابكَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَت لَهُ نسْبةٌ إلىَ عَظيم يَحفَظُهَا فكَيْفَ بمَنْ لَهُ نسْبَةٌ إلَيْه وقَالَ القَاضى عيَاضُ :

وَممَّا زَادَنــى شَــرَفاً وَتيــهاً وكدْتُ بأخْمَصى أطـأ الثُريَّـا
دُخُولى تَحتَ قَوْلكَ يَا عبَادى وَأنْ صَيَّرْتَ أحْمَدَ لى نَبـياً

(4) لحديث (منْ ذَكَرنى فى نفْسه ذَكَرتُهُ فى نفْسى ، ومن ذَكَرنى فى مَلأ ذَكَرتُهُ فى مَلأ خَيْر منْ مَلَه) .

(5) بذكركَ عندَهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ ولَذكْرُ الله أكْبَرُ ﴾ قيل : مَعْنَاهُ ذكْرُ الله عَبْدَهُ أكبَرُ منْ ذكْر العَبْد اللهَ وَقُلْتُ :

تَأمَّلْ فَضْلَهُ إذْ صرتَ عَبْدَه ذَكَرْتَ لَهُ ذُكرْتَ به ، وَعنْدَه

(84) ـ (1) عَدَمُ التَّوفيق التَامّ .

(2) الدُّنْيَويَّة بأنْ تُكْفَى دُنْيَاكَ ، وَلاَ تَتَوجَّه إلى مَوْلاكَ والجملةُ الثَّانَيةُ فى مَعْنَى الجملة الأولى وَمُقْتَضَاهُ : أنَّ مَنْ لم تكُنْ عنْدَهُ كفايتُهُ ولَمْ يَتوجَّهْ إليْه لم يكُنْ عنْدَهُ كُلُّ الخذْلانَ بَل بَعْضُهُ وَهَوَ كَذَلكَ والتَّوجُّهُ إلىَ الله مَطْلُوبٌ منْ الجَميع وَقَدْ قيلَ : سيْروا إلىَ الله عُرْجاً وَمكاسيرَ ولا تَنْتَظرُوا الصّحَّةَ فَإنَّ انْتظَارَ الصّحَّة بَطَالَةٌ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿انفرُوا خفافًا وثقَالاً﴾ .

وَقُلْتُ :

مَا أخْذَلَ المرءَ قَدْ زَالَتْ شَوَاغلُهُ وَمَــا تَوَجَّـهَ للَرَّحْمَن مَــوْلاَهُ

(85) الفِكْرَةُ سَيْرُ القَلب فى مَيَادين الأغْيَار [1]

(86) الفِكْرَةُ سراجُ القَلْب [1] فَإذَا ذَهَبَتْ فلا إضَاءَةَ لَهُ [2].

(87) الفِكْرَةُ [1] فِكْرَتَان : فكْرَةُ تَصْديق وإيمان [2]، وَفكْرَةُ شُهُود وعيَان [3] فالأولَى لأربَاب الاعتبَار [4]، والثانيةُ لأربَاب الشُّهُود والاستبصار [5]

---

(85) ـ (1) أىْ فى الأغيار ، وَهِىَ مَخلُوقَاتُ الله وَمَصنُوعَاتُهُ منَ السَّمَاء والأرض الشَّبيهة بالمَيادين ، وَفى نُسْخَة مَيَادينُ الاعتَبَار أىْ جَولان القَلْب فى صُنُوف المخلُوقَات وَمَا انطَوَتْ عَلَيْه منَ الآيَات الموصِّلَة إلىَ العلم بالله وَمَالَهُ مَنْ كَمَال وَجَمَال وَغَيْر ذَلكَ فَإذَا تفكَّرَ فى وُجُود المخلُوقَات هَدَاه الفكرُ إلى مُوجدهمْ ، وهَذَا تَفكُّرُ العَامَّة وَإذَا تَفكَّرَ فى الحَسَنَات وثَوابهَا فَعَلَهَا ، وَفى السَّيِّئَات وَعقَابهَا تَرَكَهَا وَهَذَا تَفكُّرُ العَابدينَ وَإذَا تَفكَّرَ فى فَنَاء الدنيَا زَهدَهَا ، وَهَذَا تَفكُّرُ الزَّاهدينَ وَإذَا تَفكَّرَ فى نعَم الله زَادَ حُبُّهُ فيه وَهَذَا تَفكُّرُ العَارفينَ . وَخَرجَ التَّفكُّرُ فى ذَات الله فَإنَّه مَنْهِىٌّ عَنْهُ لحَديث (**تفكرُوا فى خلقه ولا تفكَّرُوا فى الخالق فإنَّكُمْ لا تقْدُرُون قدْرَهُ**) وَقُلْتُ :

وَلَيْسَتْ فكْرَةُ الإنْسَان إلاَّ ... مَسيرَ القَلْب فى بيد اعتبَار

(86) ـ (1) نُورُهُ الذى تَنْجلى به حقَائقُ الأمُور فَيَظْهَرُ الحقُّ به فيُتَّبَعُ ، والبَاطلُ فَيُجتَنَبْ .

(2) وَالقَلْبُ الخَالى منَ النُّور مَمْلُوءٌ بالجَهل والغُرُور ، وَمَا يَدْعُو إلىَ الثُّبُور . « الهَلاكَ » وَقُلْتُ :

سـرَاجُ القَلْب فكْـرَتُـهُ ... فَإنْ ذَهَبَتْ فَقَدْ طُفئَا

(87) ـ (1) وَهِىَ السَّيْرُ فى مَيَادين الأغْيَار .

(2) أىْ فكْرَةٌ نَاشئَةٌ عَنْ أصْل التَّصْديق الذى هُوَ الإيمَانُ بأنْ يكُونَ المتَفكرُ عنْدَهُ ذَلك وَقَصْدُهُ بالفكْرَة التَّرقى وَزيَادَةُ اليَقين . وَهِىَ فكْرَة التَّرقِّى ، وتَكُونُ للسَّالكينَ .

(3) أىْ نَاشئَةٌ عَنْ ذَلكَ وَتُسمَّى فكرَةَ التَّدلِّى ، وتَكُونُ للمَجذُوبينَ .

(4) المسْتَدلِّينَ بالآثَار عَلَى المؤثِّر وَهُمُ السَّالكُونَ فى حَال تَرقِّيهمْ .

(5) المستدلينَ بالمؤثِّر عَلىَ الآثَار وَهُمُ المجذُوبُونَ فى حَال تَدليهمْ ، وَهذَا لمَنْ أرَادَ اللهُ تكْميلَ=

(حرف الباء)

(88) بَسطَكَ كَى لاَ يُبقيَكَ مَعَ القَبْض [1] ، وقَبَضَكَ كَى لا يَتْركَكَ مَعَ البَسْط [2] وَأخرَجَكَ عَنْهُمَا [3] كَىْ لَا تَكُونَ لشَىء دُونَهُ [4]

= حَاله منهُمْ وَإلا فَبَعْضُهُمْ يَدُومُ جَذْبُهُ وَعَدَمُ صَحْوه بَلْ هُوَ الأغلبُ فيهم . والنَّوعَان المذْكوران بالنِّسبة للْمُشْتَغلينَ بالله أمَّا العَامَّةُ فَفكْرَتُهُمْ لتَحصيل التَّصْديقَ وَالإيمَان لا لزيَادته وَقُلْتُ :

وَفكْرَةُ الإيمَان للمُعْتَبر وَفكْرَةُ العيَان للمُسْتَبْصر

والله أعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدنا مُحمد وَعَلَى آله وَصَحبه وَسَلَّمَ .

(88) ـ (1) الّذى فيهَ قَهْرٌ لنفسكَ وإنْ كَانَ فيهَ نَفْعٌ لَكَ .

(2) الذى فيه حَظٌّ لَهَا .

(3) بفنَائكَ عَنْ نَفْسكَ وَبَقَائكَ به .

(4) فَلا تَكُونُ بَاقياً مَعَ شَىء منْ أوْصَافكَ المؤلمة ولاَ المؤنسَة ، ويُسَمَّى حَالُكَ حينئذ اعْتدَالاً وَالمعْنَى : لوَّنَ لكَ الأحْوَالَ لتَتمكَّنَ وَتَفنَى عَنْهَا فَالقَبْضُ لأهْلِ البدَايَات منَ العَارفينَ ليَنْكَفُّوا عَنَ الشَّهوَات وْ العوَائدُ وَالبَسْطُ لأهْلِ الإشْرَاف عَلَى مَبَادىء الفَتْح ليَسْتَرْسلُوا ويَسْتَعينُوا بمَا يرْتَاحُونَ إليه منْ نَسَمَات الحَقّ وَالاعْتدَالُ لأهْلِ النِّهَايَات ليَدومُوا بَيْنَ يَدَىْ مَوْلاهُمْ بلاَ علَّة وَقُلْتُ :

بَسْطٌ وَقَبْضٌ وَلا هَذَا وَلا ذَاكَا كَىْ لاَ تَكُونَ لغَيْر الله مَوْلاَكَا

فَالقَبْضُ وَالبَسْطُ للمُبْتَدئينَ منَ العَارفينَ يَتَلوَّنُونَ فيهمَا تَلَوُّنَ المبْتَدئينَ منَ المريدينَ فى الرَّجَاء والخوْف . وَيَفْتَرقَان بأنَّ الرَّجَاءَ والخَوفَ مَصْحُوبَان بتَوقُّع أمْر يَحْصُلَ فى المسْتَقْبَل فَمَا تُوُقِّعَ فيه مَحبُوبٌ فَرَجَاءٌ وَمَحذُورٌ فَخوفٌ وَمَالاَ تَوَقُّعَ مَعَهُ فَقَبَضٌ فى الأوَّلَ ، وبَسطَ فى الثَّانى . وَسَبَبُهُما الوَاردَاتُ التَى تَردُ عَلَى بَاطن العَارف ، وَقُوتُهمَا وَضَعْفُهمَا بحَسَب قُوَّة الوَارد وَضَعْفه ، فإذَا تَجلَّى للقَلْب وَاردُ الجلال حَصَلَ فيه القَبْضُ ، وَإذَا تَجلَّى فيهَ وَاردُ الجَمَال حَصَلَ فيه البَسْطُ . فَالقَبْضُ بوَارد حَاصل فى الوَقْت وَكَذَلكَ البَسْطُ لأنَّ العَارفَ لا يَهْتَمُّ لنَفْسه حَتَّى يُرَاعىَ مُسْتَقْبلات الأمُور . وَممَّا قَالهُ المؤلّفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى البَسْط : العَارفُونَ إذَا بُسطُوا أخْوَفُ منْهُمْ =

= إذَا قُبِضُوا ، وَلا يَقِفُ عَلَى حُدُود الأدَب فى البَسْط إلاَّ قَلِيلٌ . وَقَالَ : البَسْطُ تَأخُذُ النَّفْسُ مِنْهُ حَظَّهَا بِوُجُودِ الفَرَحِ . وَالقَبْضُ لاحَظَّ لِلنَّفْسِ فِيهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ هَاتَيْنِ الحِكْمَتَين رقم 27 و 28 .

وَقَد تكَلمَ القُطْبُ الجَامِعُ سَيِّدى أبُو الحَسنِ الشَّاذلِىُّ فِى القَبْضِ وَالبَسْط كَلاماً جَامعاً ، وَهَاكَهُ لعظَم فَائدته . قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

القَبْضُ وَالبَسْطُ قَلَّمَا يَخْلُو العَبْدُ مِنْهُمَا وَهُمَا يَتَعَاقَبَان كَتَعَاقُبِ اللَّيل وَالنَّهَار وَالحَقُّ سُبْحَانُه يَرْتَضى مِنْكَ العُبُوديَّةَ فِيهِمَا فَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ القَبْضَ فَلا يَخْلُو مِنْ أنْ يَعْلَمَ سَبَبَه أوْ لا يَعْلَمَ ، وَأسْبَابُ القَبْضِ ثَلاثَةُ : ذَنْبٌ أحْدَثْتَهُ أوْ دُنْيا ذَهَبتْ عَنْكَ أوْ نَقَصَتْ لَكَ أوْ ظَالِمٌ يُؤذيكَ فِى نَفْسكَ أوْ فِى عِرْضكَ أوْ يَنْسبُكَ لغَير دين أوْ غَيرُذلكَ فَإذَا وَرَدَ عَلَيْكَ القَبْضُ مِنْ أحَد هَذه الأسْبَاب فَالعُبُودِيَّةُ تَقْتَضى أنْ تَرْجِعَ إلى العِلْمِ مُسْتَعْمِلاً لَه كَمَا أمَرَكَ اللهُ تَعَالَى أمَّا فى الذَّنْب فَبِالتَّوبَةِ وَالإنَابَة وَطَلَب الإقَالَة وَأمَّا فيمَا ذَهَبَ عَنْكَ مِنَ الدنيا أوْ نَقَصَ فَبِالتَّسْلِيم وَالرِّضَا والاحْتِسَاب ، وَأمَّا فِيمَا يُؤذيكَ به ظَالِمٌ فَبِالصَّبْر وَالاحتِمَال وَاحْذَرْ أنْ تَظْلِمَ نَفْسَكَ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْكَ ظُلْمَان ظُلْمُ غَيْرِكَ لكَ ، وَظُلْمُكَ لِنَفْسكَ فَإنْ فَعَلْتَ مَا التَزَمْتَ به مِنَ الصَّبْر وَالاحتِمَال أثَابَكَ سَعَةَ الصَّدْر حَتَّى تَعْفُوَ وَتَصفَحَ ، وَرُبَّمَا أثَابَكَ مِنْ نُورِ الرِّضَا مَا تَرْحَمُ به مَنْ ظَلَمَكَ فَتَدْعُو لَه فَتُجَابَ فيه دَعْوتُكَ ، وَمَا أحْسَنَ ذَلكَ إذَا رَحمَ اللهُ بكَ مَنْ ظَلَمَكَ - فَتِلْكَ دَرَجَاتُ الصِّدِّيقِينَ الرُّحَمَاء ، وَتَوكَّلْ عَلَى الله إنَّ اللهَ يُحبُّ المتَوكِّلينَ ، وَأمَّا إذَا وَرَدَ عَلَيْكَ القَبْضُ وَلَمْ تَعلَمْ لَه سَبَباً فَالوقْتُ وَقْتَان : لَيْلٌ وَنَهَارٌ . فَالقَبْضُ أشْبَه شَىء باللَّيل . وَالبَسْطُ أشْبَهُ شَىء بالنَّهَار فَإذَا وَرَدَ القَبْضُ بغَير سَبَب تَعْلَمُهُ فَالوَاجبُ عَلَيْكَ السُّكُونُ وَالسُّكُونُ عَنْ ثَلاثَة أشْيَاءَ عَن الحَركَات وَالأقْوَال وَالإرادَات فَإنْ فَعَلتَ ذلكَ فَعَنْ قَرِيب يَذْهَبُ عَنْكَ اللَّيْلُ بطُلُوع شَمْس نَهَاركَ أوْ يَبْدُو نَجْمٌ تَهْتَدى به أوْ قَمَرٌ تَسْتَضىء به أوْ شَمْسٌ تَتَبَصَّرُ بهَا وَالنُّجُومُ نُجُومُ العِلْم ، وَالقَمَرُ قَمَرُ التَّوحيد وَالشَّمْسُ شَمْسُ المعْرفَة ، وَإنْ تَحرَّكْتَ فى ظُلْمَة لَيْلكَ فَقَلَّمَا تَسْلَمُ مِنَ الهَلاك . وَاعْتَبرْ بقَوْله تَعَالَى : ﴿ ومِن رَّحْمَتِه جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسكُنُوا فِيهِ ولِتَبْتَغوا من فَضْلِه ولَعلَّكُمْ تَشكُرُونَ ﴾ .

فَهَذَا حُكْمُ العُبُوديَّة فِى القَبْضَين جَمِيعاً . =

= وَأمَّا مَنْ كَانَ وَقْتُهُ البَسْطَ فَلاَ يَخلُو منْ أنْ يَعْلَمَ لَهُ سَبَباً أوْلاً وَالأسْبَابُ ثَلاثَةٌ : الأوَّلُ زِيَادَةٌ فِى الطَّاعَةِ أوْ نَوَالٌ منَ المُطَاعِ كَالعِلْمِ وَالمعْرِفَةِ ، وَالسَّبَبُ الثَّانِى زِيَادَةٌ منْ دُنْيَا بِكَسْبٍ أوْ كَرَامَةٍ أوْ هِبَةٍ أوْ صِلَةٍ وَالسَّبَبُ الثَّالِثُ بِالمدْحِ وَالثَّنَاءِ منَ النَّاسِ ، وَإقْبَالِهِمْ عَلَيْكَ بِطَلَبِ الدُّعَاءِ منْكَ ، وَتَقْبِيلِ يَدَيْكَ . فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ البَسْطُ منْ أحَدِ هَذِهِ الأسْبَابِ فَالعُبُودِيَّةُ تَقْتَضِى أنْ تَرَى أثَرَ النِّعْمَةِ وَالمنَّةِ منَ اللهِ عَلَيْكَ . وَاحْذَرْ أنْ تَرَى شَيْئاً منْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ وَحِصْنُهَا أنْ لا يَزَالَ يُلازِمُهَا خَوْفُ السَّلْبِ لِمَا بِهِ أنْعَمَ عَلَيْكَ فَتَكُونَ مَمْقُوتاً . هَذَا فِى جَانِبِ الطَّاعَةِ وَالنَّوَالِ منَ اللهِ تَعَالَى . وَأمَّا الزيادَةُ منَ الدنْيَا فَهِىَ نِعْمَةٌ أيْضاً كَالأولَى وَخَفْ مِمَّا بَطَنَ منْ آفَاتِهَا . وَأمَّا مَدْحُ النَّاسِ لَكَ وَثَنَاؤُهُمْ عَلَيْكَ فَالعُبُودِيَّةُ تَقضِى شُكْرَ النعمة بِمَا سَتَرَهُ عَلَيْكَ ، وَخَفْ منَ اللهِ تَعَالَى أنْ يُظْهِرَ ذَرةً مِمَا بَطَنَ منْكَ فَيَمْقُتَكَ أقْرَبُ النَّاسِ إلَيْكَ . فَهَذِهِ آدَابُ القَبْضِ وَالبَسْطِ فِى العُبُودِّيَةِ . وَأمَّا البَسْطُ الذى لا تَعْلَمُ لَهُ سَبَباً فَحَقٌّ العُبُودِيَّةِ فِيهِ تَرْكُ السُّؤَالِ والإذْلاَلِ والصَّوْلَةِ عَلَى النِّسَاءِ وَالرجَالِ ، اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ تَقُولَ : سَلِّمْ سَلِّمْ إلى المَمَاتِ فَهَذِهِ آدَابُ القَبْضِ وَالبَسْطِ فِى العُبُودِيَّةِ جَمِيعاً إنْ عَقَلْتَهَا وَالسَّلاَمُ اهـ . وكَلامُ هَذَا الإمَامِ مِنْ أئمَّةِ الكَلاَمِ . وَقُلْتُ فِى مِنَحِ الوَاصِلِينَ :

فَلَوْ شَاهَدْتَهُمْ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... وَقَدْ حَثُّوا لَهُ غُرَّ المطَايَا
وَخَلَّوْا أنْفُساً وَقَلَوْا حُظُوظاً ... وَفِيهِ اسْتَعْذَبُوا مُرَّ البَلاَيَا
وَقَامُوا مُخْبِتِينَ لَهُ تَعَالَى ... وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ فِيهِمْ بَقَايَا
فَإنْ شَهِدُوا الجَلاَلَ فَمَا التَّكَالَى ... وَإنْ شَهِدُوا الجَمَالَ فَمَا الحظَايَا
وَمَا صَرَفَتْهُمُ النَّعْمَاءُ عَنْهُ ... وَلا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْهُ الرَّزَايَا

(حرف التاء)

(89) تَنَوَّعَتْ أجْنَاسُ الأعْمَال . لتَنَوُّعِ وَارِدَات الأحْوَال [1]

(90) تَشَوُّفُكَ إلىَ مَا بَطَنَ فيكَ منَ العُيُوب [1] خَيْرٌ منْ تَشَوُّفك إلىَ ما حُجبَ عَنْكَ منَ الغُيُوب [2] .

(91) تَحَقَّقْ بأوْصَافكَ يُمدُّكَ بأوصَافه ، تَحقَّقْ بذُلِّكَ يُمدُّكَ بعزِّه تَحَقَّقْ بعَجزكَ يُمدُّكَ بقُدرته . تَحَقَّقْ بضَعْفكَ يُمدُّكَ بحَوْله وقُوَّته [1] .

---

(89) ـ(1) أي الوَارِدَات التى تُنْتجُ أحْوَالاً قَائمةً بقُلُوبهمْ تَقْتَضى مَيْلهُمْ إلى تلْكَ الأعْمال . أوْ وَارِدَاتٌ هىَ الأحْوَالُ فَإنّ الوَارِدَ قَد يُسَمَّى حَالاً . والمُرَادُ أنَّ بَعْضَ المريدينَ يُعْنَى بالصَّلاَة وبَعْضَهُمْ بالصَّوْم وهكَذَا وَسَبَبُ ذَلك وَاردٌ إلهى اقْتَضى مَيْلَ كُلٍّ إلىَ مَا مَالَ إلَيْه ، وَيَنْبَغى لكُلٍّ أنْ يَعْمَل بمُقْتَضَى مَيْله إنْ لم يكُنْ تَحتْ تَرْبيَةَ شَيخٍ وَإلاَّ فَيَكلُ أمْرَهُ فى الشُّغل إليه وَقُلْتُ :

وَمَا الأعْمَــالُ كُــنَّ مُنَوَّعَات لغَــيْر تَنَــوُّعٍ فى الوَارِدَات

(90) ـ(1) أىْ تَوَجُّهُ همَّتكَ بالرِّيَاضَة وَالمجَاهَدَة إلىَ التَّخَلُّص منَ العُيُوب النَّفَسية كَسُوء الخُلُق وَالمدَاهنَة وَالكبْر وَلا يكُونُ ذَلكَ فى الغَالب إلاَّ عَلَى يَد شَيخٍ نَاصحٍ .

(2) منْ خَفَايَا القَدَر ولَطَائف العبَر وَالكَرَامَات الكَونيَّة لأنّ ذَلكَ حَظُّ نَفْسك ، وَالأوَّلُ مَطْلَبُ رَبِّكَ وَلأنْ تكُونَ مَعَ رَبِّكَ خَيرٌ منْ أنْ تكُونَ مَعَ نَفْسكَ . وَقُلْتُ :

تَشَوُّفُ المرء لخَافى العَيْب أفْضَلُ منْ تَشَوُّف للغَيْب

(91) ـ (1) قَال شَيْخُنَا أبُو الحَسن الشَّاذلىُّ رضي الله عنه بَعْدَ كَلامٍ ذَكَرَهُ : وَتَصْحيحُ العُبُوديَّة بملازَمَة العَجْز والفَقْر وَالضَّعْف والذُّلّ للّه تَعالَى ، وأضْدَادُهَا أوْصَافُ الرُّبُوبيَّة فَمَا لَكَ وَلَهَا فَلازمْ أوْصَافَكَ وَتَعَلَّقْ بأوْصَافه وَقُلْ من بسَاط الفَقْر الحَقيقى ، يَا غَنى مَنْ للفَقير غَيْرُكَ وَمَنْ للذليل غَيْرُكَ ـ تَجد الإجَابَةَ كَأنَّهَا طَوْعُ يَدكَ وَاستَعينُوا باللَّه وَاصْبرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرينَ ، وَهَذَا مَعْنَى كَلام المصَنِّف . وَقُلْتُ :

تَحقَّقْ بوَصْف العَبْد يُؤتكَ وَصْفَهُ وكُنْ بصفَات الرَّبِّ رَبِّ تَعَلُّق

(92) تَسبقُ أَنْوَارُ الحُكَمَاء (1) أقْوَالَهُمْ . فَحَيْثُ صَارَ التَنْويرُ وَصَلَ التَّعْبيرُ .

(93) تَمكُّنُ حَلاوَةَ الهوَى (1) منَ القَلب هُوَ الدَّاءُ العُضَالُ (2) .

(94) تَطَلُّعُكَ إلىَ بَقَاء غَيْره (1) دَليلٌ عَلَى عَدَمِ وُجْدَانكَ لَهُ (2) واسْتيحَاشُكَ لفُقْدَان مَا سوَاهُ (3) دَليلٌ عَلَى عَدَمِ وُصْلَتكَ به (4) .

---

(92)ـ (1) العَارفينَ بالله تَعَالَى العَالمينَ به ، وَأنوَارُهُمْ هيَ أنوَارُ مَعْرفَتهمْ وَقُوَّة يَقينهمْ بَأنَّ الأمُورَ كُلَّهَا بيَد الله تَعَالَى لا شَريكَ لَه فيهَا فَإذَا أرَادُوا النَّصيحَةَ تَوَجَّهُوا لربهمْ فى أنْ يُبَلغَ نُصحَهُم قُلُوبَ عبَاده بأنْ يَجْعَلَ فيهَا استْعدَاداً لَهُ فَيخْرُجَ منْ قُلُوبهمْ نُورٌ نَاشىءٌ منْ نُور سَرَائرهمْ يَصلُ تلْكَ القُلُوبَ وَلاَ غَرَابَةَ فَكُلُّ كَلام يَبْرُزُ وَعَلَيْه كُسْوَةُ القَلْب الذى منْهُ بَرَزَ . وَقُلْتُ :

وَشَاقَهُمُو جَمَالٌ منْ جَميل فَتَيَّمَهُمْ فَصَيَّرَهُمْ سَبَايَا
فَشَرفَهُمْ فَعَرَّفَهُمْ فَنَارَتْ قُلُوبُهُمُو فَنَوَّرَت الخَفَايَا
وَنَارَ كَلامُهُمْ مَبْنىً وَمَعْنىً فكَانَ مَجَامعَ الحكَم السَّنَايا
وَقُلْتُ : أنْوارُ أهلِ الهُدَى أمَّتْ عبَارَتَهُمْ فَحَيْثُ حَلَّتْ حَلَتْ فيه العبَارَاتُ

(93)ـ (1) الهوَى : مَيْلُ النَّفْس وَالمرَادُ الهوَى وَهُوَ الشَّهَوَاتُ .

(2) الذى لا تَنْفَعُ فيه الأدْويَةُ كالإيمَان وَالمعْرفَة وَاليَقين فَإنَّ الدَاءَ إذَا تَمكَّنَ منَ القَلْب تَعَذَّرَ بُرْؤهُ فَلمَ يَبْقَ للدوَاء مَحَلٌ وَحينئذ لا يُجْدى إلاَّ خَوْفٌ مُزعجٌ أوْ شَوْقٌ مُقْلقٌ وَقُلْتُ :

مَرَضُ الرُّوحِ قَدْ يَشُقُّ علاجاً عَنْ كَثير ممَّا يُصيبُ الجُسُومَا
فَإذَا أنْتَ لَمْ تُصَبِّر عَلَيْه فَتَلَقَّ العَذَابَ منْهُ أليمَا

وقلت فى معنى هذه الحكمة :

وَمَا الدَّاءُ العُضَالُ سوَى غَرَام لغَيْر الله تَشْرَبُهُ القُلُوب

(94)ـ (1) منَ الوَاردَات كَالأنوَار وَالمقَامَات ، وَالنِّعَمِ الظَّاهرَة وَالبَاطنَة .

(2) إذ لَوْ وَجَدْتَهُ لَم تَطلُبْ بَقَاءَ غَيْره .

(3) كَالوَاردَات المذْكُورَة .

(4) أىْ وُصولُكَ إلَيْه إذ لَوْ وَصَلْتَ إليْه مَا استَوحَشْتَ لفَقْد سوَاهُ فَإذَا وَرَدَتْ عَلَى قَلْب السَّالك=

(حرف الجيم)

(95) جَلَّ رَبُّنَا أنْ يُعَامِلَهُ العَبْدُ نَقْداً [1] فَيُجَازِيَهُ نَسِيئَةً [2]

(96) جَلَّ حُكْمُ الأزَلِ [1] أنْ يَنْضَافَ إلىَ العِلَلِ [2] .

= وَارِدَاتٌ إلهيَّةٌ ، وبُسِطَتْ فيه أنْوَارُهَا وأسْرَارُهَا وَظَنَّ أنَّه منَ الوَاصلينَ فَإنْ تَطَلَّعَ إلىَ شَىء منَ الأغيَارِ المحْبُوبَة . أو استَوحَشَ لفُقْدَانه فَذَلكَ دَليلُ أنَّه لَمْ يَتَحَقَّقْ بهَذَا المقَامِ ـ قَال الجُنَيْدُ قُدِّسَ سرُّهُ : إنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَلَى الحَقيقَة له عَبْداً وَشَىءٌ ممَّا سواهُ لكَ مُسْتَرقٌ ، وَإنَّكَ لَنْ تَصلَ إلىَ صَرِيحِ الحُرِّيَّة . وَعَلَيْكَ منْ حُقُوق عُبُوديَّته بَقيَّةٌ . وَقُلْتُ : .

صيغَتْ قُلُوبُهُمُـوعَلَى مقْـدَاره　　فَتَـعزُّ فيهَـا فَضْـلَةٌ لسَـوَاهُ
ألفُوا التُّقى فَلَوَ انَّ سُلْطَانَ الهوَى　　أهْوَى بـهم أهْوَى إلىَ مَهْـوَاهُ
أنسُوا به واسْتَوحَشُوا منْ خَلقه　　يَا فَـوْزَ عَبْـد أنسُـهُ مَـوْلاَهُ

وَقُلْتُ :

وَرَاجِ بَقَاءَ الغَيْر لَـمْ يُلْـفِ رَبَّـه　　وَمُسْتَوْحِشُ المفقُودِ لَيْسَ بِوَاصِلِ

(95) ـ (1) حَالاً بأنْوَاعِ الطَّاعَات .

(2) مُؤخَّراً وَحَاصِلُ هَذه الحكْمَة أنَّ جَزَاءَ الطَّاعَة لا يَخْتَصُّ بالدَّار الآخرَة بَلْ قَدْ يُعجِّلُ بَعْضَهُ لبَعْضِ أوْلِيَائه فى الدنيا أنْمُوذَجاً يَحملُهُمْ عَلَى الاجتهاد فى الأعْمَال وَقَد ذَكرَ المصنِّفُ بَعْضَ الجَزَاء المُعَجّل فَقَالَ : كَفَى منْ جَزائه عَلَى الطَّاعَة أنْ رَضيَكَ لَهَا أهْلاً ، كَفَى العَاملينَ جزاءً مَا هُوَ فَاتحهُ عَلَى قُلُوبهمْ فى طَاعَته . وَمَا هُوَ مُوردُهُ عَلَيْهمْ منْ وُجُود مُؤانَسَتة . وَقُلْتُ :

أتُرىَ الكَرِيمَ جَزاءَ عُرَف مُنْسئاً　　كَلاَّ فَلَيْسَ بِمُنْسِئٍ مَـوْلاكَـا

العُرْفُ : المعروفُ وَمُنْسئاً : مُؤخِّراً، وَقُلْتُ :

اللهُ أكْـرَمُ أنْ يُثِيْـبَ مُؤجَّلاً　　عَبْـداً لَهُ فَعَـلَ الجَميلَ مُعَجَّلا
بَعْضـاً يُعَـجِّلُهُ وَضَـاقَتْ هَذه　　عَنْ أنْ تَكُونَ لمَا يُؤجِّلُ مَنْزلاً

(96) ـ (1) مَا حكَمَ به فى الأزَل وَتَعَلَّقَتْ إرَادَتُهُ به هُوَ الإعْطَاءُ .

(2) كَالطَّلَب أنْ يَكُونَ سَبَباً مُؤثِّراً فيه . إنْ قيلَ قَد يَكُونُ الإعطَاءُ مُعَلَّقاً عَلَى الطَّلَب فَيكُونُ سَبَباً =

(97) جَعَلَ الشَّيْطَانَ لَكَ عَدُوّاً (1) لِيَحُوشَكَ بِهِ إِلَيْهِ (2) وَحَرَّكَ عَلَيْكَ النَّفْسَ (3) لِيَدُومَ إِقْبَالُكَ عَلَيْهِ (4)

(98) جَعَلَكَ فِى العَالَمِ المتَوَسِّطِ بَيْنَ مُلْكِهِ (1) وَمَلَكُوتِهِ لِيُعْلِمَكَ جَلالَةَ

= فيه ، أجيبُ بأنَّ السَّبَبَ فى الحَقيقَة هُوَ تَعَلُّقُ إرَادَة الله فى الأزَل أنَّكَ تَدْعُوهُ فيمَا لا يَزالُ لا نَفسُ الطَّلَب المتَأخرُ . وَقُلْتُ :

وَرَبِّكَ مَا الدُّعَاءُ يَرُدُّ شَيْئاً ... منَ المقْضِىِّ وَالقَدَر المتَاحِ
وَلَكِنْ أَمْرُهُ فَعَلَىَّ أَدْعُو ... لِطَاعَته وَحَسْبِى منْ نَجَاحِ

(97) ـ (1) قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ .

(2) لأنَّكَ إذَا علمتَ ضَعْفَكَ عَنْ مُقَابَلَته بنَفْسكَ لجأتَ إلى رَبِّكَ وتَوَكَّلتَ عَلَيه ليَدْفَعَ شَرَّهُ عَنْكَ .

(3) بمُتَابَعَة الهوَى وَالشَّهْوَة .

(4) لأنَّكَ لَا تَقْدرُ عَلَى مُجاهَدَتها إلاَّ بمَنْ هُوَ أقوَى منْكَ وَهُوَ مَوْلاكَ فقد دَعَاكَ بهَذَا إلى دَوَام الإقبَال عَلَيْه ، وَاللُّجوء إليْه ، وَهىَ أعدَى أعدَائكَ إذْ بوَاسطتَها يَتَوَصَّلُ إلَيْكَ ، وَلأنَّها عَدُوٌّ منْ داخلِ البَيْت وَعَداوَةُ العَدُوّ الذى منَ الدَّاخلِ أشَدُّ وَلَذَا سَمَّى ﷺ جهَادَهَا بالجهَاد الأكْبَر وَقُلْتُ :

وَاحْذَرْ مُخَادَعَةَ الرَّجيم فَرُبَّمَا ... تَخذَ الجميلَ إلىَ القَبيح شبَاكَا
وَدَعَاكَ للشَّنْعاء دَعْوَةَ مُخْلصٍ ... حَتَّى إذَا قَارفتَهَا خَلاَّكَا

وَقُلْتُ :

وَقَدْ جَعَلَ الشَّيْطَانَ ضدَّكَ وَالهَوى ... لتُقْبلَ فى كُلِّ الشُّئُون عَلَيْه

(98) ـ (1) فى : زائدةٌ . والملْكَ : عَالَم الشَّهَادة . وَالملَكُوتُ : عَالَمُ الغَيب وَذَلكَ لأنَّ اللّه خَلَقَهُ فى أحسَنِ تَقْويم مُتَضمّناً لأسرَار جَميعِ الموجُودَات عُلويِّهَا وَسُفْليِّها لَطيفها وكَثيفهَا فَهُوَ رُوحَانىٌّ جسْمَانىٌّ سَمَاوىٌّ أرْضىٌّ وَلَذَا يُقَالُ له : العَالمُ الأصغَرُ فَفيه من صفَات الملائكة العَقْلُ والمعْرفَةُ ومن صفَات الشَّيَاطين الإغْوَاءُ وَالطُّغيَانُ وَمنْ صفَات الحيَوَانَات انَّه فى حَالَة الغَضَب يكُونُ أسَداً وفى حَالَة غَلَبَة الشَّهْوَة يكُونُ خنزيراً لا يُبَالى أيْنَ يُلْقى نَفْسَهُ وفى حَالَة الحرْص وَالشَّرَه يكُونُ كَلْباً وَفى حَالَة الاحْتيال والخدَاع يكُونُ ذئباً وَمنْ صفَات النَّبَات وَالأشْجَار أنّه يكُونُ فى مَبْدئه غضاً=

قَدْرِكَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ ، وأنَّكَ جَوْهَرَةٌ تَنْطَوِى عَلَيْكَ أصْدَافُ مُكَوَّنَاتِهِ [1] .

« حرف الحاء »

(99) حُسْنُ الأعْمَالِ [1] نَتَائِجُ حُسْنِ الأحْوَالِ [2] وَحُسْنُ الأحْوَالِ مِنَ التَّحَقُّقِ [3] فِى مَقَامَاتِ الإنْزَالِ [4] .

= طَرِياً مُتَرعْرِعاً وَفى آخره يَابساً أسْوَدَ ، وَمِنْ صِفَاتِ السَّمَاء أنه مَحَلُّ الأسْرَار وَالأنْوَار وَمَجْمَعُ المَلائكَة ، وَمِنْ صِفَاتِ الأرْضِ ، أنَّهَ مَحَلٌّ لنَبَاتِ الأخْلاق وَالطِّبَاعِ وَمِنْهُ اللَّيِّنُ وَالخَشِنُ ، وَمِنْ صِفَاتِ العَرْشِ أنَّ قَلْبَه مَحَلُّ التَّجَلِّى . وَاللَّوْحِ أنَّه خزَانَةُ العُلُوم . وَالقَلَم أنّه ضَابطٌ لَها ، والجَنَّة أنه إذَا حَسُنَتْ أخلاقُهُ تَنَعَّمَ به جَليسُهُ ، وَالنَّار أنه إذَا قَبُحَتْ أخلاقُهُ احْتَرقَ به جَليسُهُ وَإنَّمَا جَعَلَكَ كَذلكَ ليُعْلمَكَ جَلالَةَ قَدْرِكَ بَيْنَ مَخلوقَاته ، وأنَّها مُسَخَّرَةٌ لكَ فَيَنْبَغى أنْ تَرْفَعَ همَّتَكَ عَنْهَا وتَشْتَغلَ بمَوْلاكَ . قَالَ أبُو العَبَّاسِ المرْسىُّ : الأكْوَانُ كُلُّهَا مُسَخَّرَةٌ لَكَ وَأنْتَ عَبْدُ الحَضْرَة .

(98) ـ (1) أىْ أصْدَافٌ هِىَ مُكَوَّنَاتُهُ وَانطوَاؤهَا عَلَيْه منْ حَيْثُ إنَّ صِفَاته جَميعَهَا فيه عَلَى مَا مَرَّ ، ولَمْ يُخلَقْ عَلَى هَذه الصِّفَة إلاَّ الإنْسَانُ ولَذَا خَلَّفَهُ اللهُ فى تَنْفيذ أمْره ونَهْيه . وَجَعَلَ لَهُ وجْهَتَيْنِ وجْهَة إلى الحَقِّ ، وَوجْهَة إلى الخَلق ، وَأمَّا الملائكَةُ وَمَنْ فى مَعْنَاهُمْ منَ الرُّوحَانيِّينَ فَلَيس لَهُمْ إلاَّ الوجْهَةُ الأولَى ، وَهَذَا فى جُمْلَة كُلِّ إنْسَانٍ ولا يَظْهَرُ إلاَّ بالمجَاهَدَة ، وَيُسَمَّى حينَئذ الإنْسَانَ الكَاملَ وَقُلْتُ :

وبَيْنَ الملك وَالملكُوت كُنْتَا — لتَعْلَمَ قَدْرَ مَا منْهُ مُنحْتَا

(99) ـ (1) بخُلُوِّهَا عَمَّا يَعُوقُهَا عَنِ القَبُول ، منَ الرِّيَاء وَغَيْرِه ، وَبحُضُورِ القَلْبِ مَعَ اللَّه فى حَال فعْلهَا ، وَعَدَم اشْتغَاله بغَيْره منَ الوَسَاوِسِ الشَّيْطَانية .

(2) القَائمة بالقُلُوبِ منَ الزُّهْد فى الدُّنْيَا ، وَالإخلاصُ للَّه بأنْ يَقْصدَ بعَمَله وَجْهَهُ لا جَنَّتَهُ ولا خوْفَ نَاره .

(3) التَّمكُّن .

(4) أىْ فى المَقَامَات التى تَنْزلُ فى قُلُوب العَارفينَ ، وَهِىَ مَعَارفُ إلهيَّةٌ يُوردُهَا اللّهُ تَعَالَى عَلَى القُلُوبِ تَكُونِ سَبَباً فِى تَرْكِ الدَّعْوَى ، وَعَدَمَ الالتفَات إلَى جَنَّة أوْ هَرَب منْ نَار فَإنَّ المريدَ إذَا=

(100) حُقُوقٌ فى الأوْقَات يُمكنُ قَضَاؤُهَا (1) ، وَحُقُوقُ الأوْقَات (2) لا يُمْكنُ قَضَاؤُهَا . إذْ مَا منْ وَقْت(3) يَرِدُ إلَّا ولله عَلَيْكَ فيه حَقٌّ جَديدٌ وَأمْرٌ أكيدٌ (4) فَكَيْفَ تَقْضى فيه حَقَّ غَيْره (5) وَأنْتَ لَمْ تَقْض حَقَّ الله فيه ؟ (6) .

(101) حَظُّ النَّفْس فى المعْصيَة ظَاهرٌ جَلىٌّ (1) وَحَظُّهَا فى الطَّاعَة بَاطنٌ خَفىٌّ (2) وَمُدَاوَاةُ مَا يَخْفَى صَعْبٌ علاجُهُ (3)

= حَصَلَ لَهُ ذَلكَ رَاقَبَ رَبَّهُ وَإذَا رَاقَبُه أخْلَصَ لَهُ فَيَتَخَلَّصَ عَمَلُه عمَّا يَعُوقُهُ عَن القَبُول . وَقُلْتُ :

حُسْنُ المَقَام يَجُرُّ حُسْنَ الحَال ... وَبحُسْنهَا مُسْتَحْسَنُ الأعْمَال

(100) ـ (1) كَالصَّلَوَات وَالصِّيَام إذَا فَات شَىءٌ منْهُمَا فى وَقْته المعَيَّن قُضىَ فى غَيْره .

(2) هىَ مَا يَردُ عَلَى العَبْد منْ قبَل الرَّبِّ منَ الأحْوَال فَوَقْتُ كُلِّ عَبْد مَا هُوَ عَلَيْه منْ تلْكَ الأحْوَال وَأوْقَاتُهُ أرْبَعَةٌ لا خَامسَ لَهَا : النِّعْمَةُ وَالبَليةُ وَالطَّاعَةُ وَالمعْصيَةُ وَسَمَّى مَا ذُكرَ وَقْتاً لأنَّه يَردُ فى وَقْت مَخْصُوص للشَّىء باسْم زَمَنه ، وَحُقُوقُهَا الوَاجبَةُ عَلَيْكَ فيهَا هىَ المعَامَلاتُ البَاطنيَّةُ التى تَقْتَضيهَا تلْكَ الأحْوَالُ ، فَحقُّهُ عَلَيْكَ فى النِّعْمة الحَمْدُ وَالشُّكْرُ ، وَفى البَليَّة الصَّبْرُ وَالرِّضَا ، وَفى الطَّاعَة شُهُودُ المنَّة ، وَفى المعْصيَة الاسْتغْفَارُ وَالتَّوبَةُ . ولَذا يَقُولُونَ : الفَقيرُ ابْنُ وَقْته أىْ يَتأدَّبُ مَعَهُ وَيُعطيه حَقَّهُ كَمَا يَتادَّبُ الوَلَدُ مَعَ أَبيه .

(3) حَالٌ .

(4) فَلاَ يَسَعُكَ إلاَّ أنْ تُوَفِّى حَقَّهُ .

(5) ممَّا فَاتَكَ .

(6) وَهُوَ الحَقُّ المتَعلِّقُ بذلكَ الوَقْت ، وَلَوْ قَالَ : وَأنْت لَم تَقْض حَقَّ ذَلكَ الوَقْت لكَانَ أوْضَحَ . فَالوَاجبُ أنْ يَراقبَ المرءُ قَلْبَهُ حَتَّى يُؤدِّى حَقَّ وَقْته الذى إنْ فَاتَ لا يُمكنُ قَضاؤُهُ وَقُلْتُ :

حُقُوقُ الوَقْت لا تُقْضى ... وَحَقٌّ فيه قَدْ يُقْضَى

(101) ـ (1) وَهُوَ التذَاذُهُ بهَا .

(2) بَاطنٌ خَفىٌّ لا يَطَّلع عَلَيه إلاَّ أرْبَابُ البَصَائر وَذَلك لأنَّ فى الطَّاعَة مَشَقَّةً عَلَيْهَا فَقَد تريكَ أنَّ حَظَّهَا التَّقَرُّبُ وَفى البَاطن إقْبَالُ النَّاس عَلَيْكَ وَاشْتهَارُكَ بَيْنَهُم بالصَّلاح ، وَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ تَبيَّنَ لَه مصْدَاقُ هَذَا .

(3) لأنَّه يَحْتَاجُ إلى دقَّة فَهْم وَنُفُوذ إدْرَاك فَأهْلُ البَصَائر يَتَّهمُونَ نُفُوسَهُمْ إذَا مَالَتْ لطَاعَة منَ=

« حرف الخاء »

(102) خَفْ منْ وُجُود إحْسَانه إلَيْكَ . وَدَوَام إسَاءَتكَ مَعَه (1) أنْ يكُونَ ذَلكَ اسْتدرَاجاً (2) سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (3)

(103) خَيْرُ مَا تَطْلُبُهُ مَا هُوَ طَالِبُهُ منْكَ (1)

= الطَّاعَات وَيُفَتِّشُونَ عَنْ سَبَب مَيْلهِمْ إلَيْهَا فَإنْ كَانَ لحظٌّ منْ حُظُوظِ النَّفْسِ تَرَكُوهَا أوْ عَالجُوا نُفُوسَهُمْ أثْنَاءَ فعْلها حَتَّى تكُونَ خَالصَةً لله تعَالى وَقُلْتُ :

حُظُوظُ النَّفْس تَبْدُو فى الخَطَايَا ... وَفى الطَّاعَات لَيْسَ لَهَا انْبلاَجُ
وَشَرُّ الـدَّاء بَاطنُـهُ ، وَيَأسَـى ... لَـهُ الآسِى ، وَقَدْ عَزَّ العلاَجُ

(102) ـ(1) تَوَالى الإحسَان مَعَ دَوَام الإسَاءَة .

(2) أىْ تَدْرِيجاً لَكَ شَيْئاً فَشَيْئاً حتى يَأخُذَكَ بَغْتَةً .

(3) أنَّه اسْتدْرَاجٌ وَمَكْرٌ لأنَّا نَأخُذُهُمْ بَغْتَةً ، وَقيلَ نَمُدُّهُمْ بالنِّعَم وَنُنسيهِمُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا فَإذَا رَكَنُوا إلى النِّعَم وَحُجبُوا عَنِ المُنعم أخذُوا : قَالَ ﷺ : (إذَا رأيتَ اللهَ يُنْعِمُ عَلَى عَبد وَهُوَ مُقيمٌ عَلى مَعْصيته فَاعْلَم أنهُ مُسْتَدرجٌ) وَتَلاَ هَذه الآيَةَ وَقُلْتُ :

وَمَـــنْ أوْلاَهُ إحْسَـــاناً وَدَامَتْ ... إسَـــاءَتُـــهُ تَـــدَرَّجَ للهَـلاَك

وَقُلْتُ :

لا تَحْسَـبَنَّ اللـــهَ يُهْـملُ إنَّمَـا ... يُمْلِى عَسَى لَكَ أنْ يَتُوبَ حجَاكَا
فَتُنيبَ للرَّحْمــن مَـــنْ زَكَّــاكَـا ... وَتَؤوبَ عَنْ إبْليسَ مَنْ دَسَّـاكَا
وَلَقَدْ يُطيلُ لكَ العنَـانَ مُخَالفاً ... ليَزيدَ مـنْ إيـذَاكَ فـــى عُقْـبَاكَا

(103) ـ (1) أفْضَلُ مَا تَرْجُو اللهَ أنْ يُعينَكَ عَلَيْه الاسْتقَامَةُ التى طَلَبَهَا منْكَ فَهىَ خَيْرٌ لَكَ منْ حُظُوظكَ دُنْيَوِيَّةً أوْ أخرَوِيَّةً . وَقُلْتُ :

أجَـــلُّ مَـــا تَطْـــلُبُـــهُ ... منْـــهُ الـــذّى يَطْـــلُبُـــهُ

وَقُلْتُ :

لا تكلْنى إلىَ هَوَاىَ وَكلْنـى ... يَا إلهِى إلىَ هُدَاكَ العَـالى
وَأعنِّى عَلَى رضَـاكَ وَهَيِّئْ ... لى بِخَيْرِ الأنَام خَيْرَ اتِّصَال

(104) خَيْرُ أوْقَاتِكَ وَقْتٌ تَشْهَدُ فِيهِ وُجُودَ فَاقَتِكَ [1] وَتُرَدُّ فيه إلى وُجُودِ ذِلَّتِكَ [2] .

(105) خَيْرُ العِلْمِ مَا قَارَنَتْهُ الخَشْيَةُ [1] .

---

(104) ـ(1) بأنْ يَزْوِيَ عَنْكَ الدنيا وَشَهَوَاتِهَا .

(2) فَقْرِكَ . وَإِنَّمَا كَانت هذه خَيْرَ أوْقَاتِكَ لحضُورِكَ فيهَا مَعَ الله ، وَانقطَاعِكَ عَمَّا سِوَاهُ ، وَشَرُّ أوْقَاتِكَ وَقْتٌ تَشْهَدُ فيه غِنَاكَ وَعِزَّكَ . حُكِيَ عَنْ عَطَاء السُّلَمِيِّ أنَّه بَقِيَ سَبْعَةَ أيَّامٍ لَم يَذُقْ شَيْئاً مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْء فَسُرَّ بِذَلِكَ . وَقَالَ : يَارَبِّ إنْ لَم تُطعِمْنِي ثَلاثَةَ أيَّامٍ أخَرَ لأصَلِّيَنَّ لَكَ ألفَ رَكْعَة . وَقِيلَ للرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَلاَ السِّعْرُ فَقَالَ : نَحْنُ أهْوَنُ عَلَى الله مِنْ أن يُجيعَنَا إنَّمَا يُجِيعُ أوْلِيَاءَهُ وَقُلْتُ :

خَيْرُ أوْقَاتِكَ وَقْتٌ ... تَشْهَدُ الفَاقَةَ فِيه

(105) ـ(1) الخَشْيَةُ : الإجْلالُ مَعَ التَّعظِيم أو الخَوْفُ مَعَ العَمَلِ وَقُلْتُ :

مَحَبَّةُ الله مَدْعَاةٌ لِطَاعَته ... وَخَشْيَةُ الله إجْلالٌ مَعَ العَمَلِ

قَالَ فِي لَطَائِفِ المِنَنِ : فَشَاهِدُ العِلْمِ الذي هُوَ مَطلُوبُ الله الخشيةُ لله تَعَالَى . وَشَاهِدُ الخشية موافقةُ الأمر . أمَّا عِلْمٌ تَكُونُ مَعَهُ الرَّغْبَةُ في الدنيا والتَّمَلُّقُ لأرْبَابِهَا . وَصَرْفُ الهِمَّة لاكتسابها وَالجَمْعِ والادِّخَارِ ، والمبَاهَاةُ وَالاستكبَارُ وَطُولُ الأمَلِ وَنِسيَانُ الآخرَة فمَا أبْعَدَ مَنْ هَذَا العِلْمُ عِلْمُهُ مِنْ أنْ يَكُونَ مِنْ وَرَثَة الأنبيَاء ، وَهَلْ يَنْتَقِلُ الشَّيْءُ المَوْرُوثُ إلى الوَارِث إلاَّ بالصِّفَة التي كَانَ بهَا عِنْدَ المَوْرُوث عَنْهُ ، وَمَثَلُ مَنْ هَذه الأوْصَافُ أوْصَافُهُ مِنَ العُلَمَاء مَثَلُ الشَّمْعَة تُضِيءُ عَلَى غَيْرِهَا وَتَحرِقُ نَفْسَهَا . جَعَلَ اللهُ العِلمَ الذي عَلَّمَهُ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ ـ حُجَّةً عَلَيه وَسَبَباً في تكثير العُقُوبَة لَدَيْه أهـ . وَقَال فُضَيْلُ بْنُ عِيَاض : العَالِمُ طَبيبُ الدِّين وَدَوَاءُ الدنيَا دَاءُ الدِّين فَإذَا كَانَ الطبيبُ يَجُرُّ الدَّاءَ إلى نَفْسه فَمَتَى يُبْرِيءُ غَيْرَهُ . وَقَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَوْ أنَّ أهْلَ العِلْمِ أكْرَمُوا أنْفُسَهُمْ وَشَحُّوا عَلَى دينهم وَأعَزُّوا العِلْمَ وَصَانُوهُ وَأنزلُوهُ حَيْثُ أنْزَلَه الله لَخَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ الجَبَابِرَة ، وَانْقَادَ لَهُم النَّاسُ وَكَانُوا لَهُمْ تَبَعاً وَعَزَّ الإسْلامُ وَأهْلُهُ ، وَلَكنَّهُمْ أذَلُّوا أنْفُسَهُمْ ، وَلَمْ يُبَالُوا بِمَا نَقَصَ مِنْ دينهم إذْ سَلِمَتْ لَهمْ دُنْيَاهُم فَبَذَلُوا علمَهُمْ لأبْنَاء الدنيَا لِيُصِيبُوا بِذَلِكَ =

« حرف الدال »

(106) دَلَّ بوُجُود آثَاره (1) عَلَى وُجُود أسْمَائه (2) وَبوُجُود أسْمَائه عَلَى ثُبُوت أوْصَافه (3) وَبثُبُوت أوْصَافه عَلَى وُجُود ذَاته . إذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُومَ الوَصْفُ بنَفْسه (4) فَأَرْبَابُ الجَذْب يكْشفُ لَهُمْ عَنْ كَمَال ذَاته (5) ثُمَّ يَرُدُّهُم إلَى شُهُود صفَاته (6) ثُمَّ

=مَافِى أيْدى النَّاس فَذَلُّوا وَهَانُوا عَلَى النَّاس . وَقُلْتُ :

العَلْمُ أفضَلُ مَا تَسْعَى لِتُدْرِكَهُ — وأفضَلُ العلْم علْمٌ فيه تخْشَاهُ

وَقُلتُ فِى العلْم :

عَظِّمْهُ تَعْظُمْ فِى القُلُوب مَهَابَةً — وَتَكُونَ فَوْقَ المَالكِينَ سَطَاكَا
وَإذَا اسْتَهَنْتَ به أُهنْتَ وكُنْتَ فِى — نَظَر الوَرَى مُسْتَوبَلاً مَرْآكَا
وَاعلَمْ بأنَّكَ لا يُفيدُكَ ذَرَّةً — إلاَّ إذَا أخْلَصْتَ فيه نَوَاكَا
إنْ تَاهَ مَوتَى الجَهل بالدُّنْيا فَتِه — بالعلْم وَاشْكُرْ مَنْ به أحيَاكَا
لاَ تَطْلُبَنَّ بِه حُطَاماً فَانياً — وَاطْلُبْ به وَجْهَ الذَّي سَوَّاكَا
وَاطْلُبْ نَصيبَكَ فِى الحَيَاة بعزَّةٍ — لا يُذْهبُ المَقضِىَّ عَنْكَ إبَاكَا

(106) ـ(1) مَخْلُوقَاته المحْكَمة .

(2) إذْ لا يَصْدُرُ ذَلكَ إلاَّ منْ قَادر مُريد عَالمٍ .

(3) منَ القُدْرة والإرَادَة وَالعلْم .

(4) وَهَذَا حَالُ السَّالكينَ فَإنَّ أوَّلَ مَا يَظْهَرُ لَهمٌ الآثَارُ وَهِىَ الأفْعَالُ فَيَسْتَدلُّونَ بهَاعَلَى الأسْمَاء ، وَبالأسْمَاء عَلَى الصِّفَات وَبالصِّفَات عَلَى وُجُود الذَّات . وَهُمُ الذِّينَ يَقُولُونَ : مَا رَأيْنَا شَيْئاً إلاَّ رَأيْنَا اللهَ بَعْدَهُ . والمجْذُوبُونَ بالعكْس كَمَا أشَارَ إليْه بقَوله : (فَأَرْبَابُ الجذْب يكْشفُ لَهم عَنْ كَمال ذَاته) .

(5) أىْ ذَاته الكَاملَة فَيُدْركُونَهُ عيَاناً إدْرَاكَ ذَوْق .

(6) بأنْ يُشَاهدُوا ارْتبَاطَهَا بالذَّات .

يُرجِعُهُمْ إلىَ التَّعلُّق بأسمائه (1) ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إلىَ ثُبُوت آثَاره (2) وَالسَّالكُونَ عَلَى عكْس هَذَا فَنهَايَةُ السَّالكينَ (3) بدَايَةُ المجْذُوبينَ ، وبدَايَةُ السَّالكينَ (4) نهَايَةُ المجْذُوبينَ لكنْ لا بمَعْنىً وَاحد (5) فَرُبَّمَا التَقيا فى الطَّريق . هَذَا فى تَرَقِّيه وَهَذَا فى تَدلِّيه .

---

(106) ـ (1) بأنْ يُشَاهدُوا تَعلُّقَهَا بالآثَار .

(2) أى صُدُورهَا عَن الأسْمَاء . فَأوَّلُ مَا ظَهَرَ لَهم حَقيقَةُ الذَّات المقدَّسَة ثُمَّ رُدُّوا منهَا إلىَ مُشَاهَدَة الصِّفَات ثُمَّ رَجَعُوا إلىَ التَّعلُّق بالأسْمَاء . ثُمَّ أنْزلُوا إلى شُهُودِ الآثار وَهُمُ الذِّينَ يَقُولُونَ : مَا رَأيْنَا شَيْئاً إلاَّ رَأيْنَا اللهَ قَبْلَهُ .

(3) وَهىَ شُهُودُ الذَّات المقَدَّسَة ، وَالكَشْفُ عَنْ كَمَالهَا .

(4) وَهىَ التَّعلُّقُ بالآثَار وَشُهُودُ اسْتنَادهَا إلىَ الله .

(5) إذْ لَيْسَا مُتَّحدَيْن من كُلِّ وَجْه فَإنَّ نهَايَةَ السَّالكينَ وَإنْ كَانَ فيهَا جَذْبٌ لكنَّهُ مَصْحُوبٌ بالتَمكُّن وَعلْم أحْوَال الطَّريق ومَعْرفَة عَقَبَات النُّفُوس فَإنَّهُمْ لَم يَصلُوا إلىَ ذَلك إلاَّ بَعْدَ مُعَانَاة وَتَعب وَمَشَقَّة بخلاف بدَايَة المجذُوبينَ ، فَإنَّها لَيس مَعَهَا تَمكُّنٌ فَلذا يَحصُلُ لَهُمُ الغيبةُ وَتَصْدُرُ منهُمْ أفْعَالٌ لاَ يَدْرُونَ مَا هىَ ؟ وَيَتْرُكُونَ الفَرائضَ وَيَفعلُونَ أفْعَالاً مُنْكَرَةً فى الشَّرْع . وَلا يُعَاقَبُونَ عَلَى ذَلكَ لتغطيَة عقُولهمُ التى عَلَيْهَا مَدَارُ التَّكليف بالأنْوَار ، وَبَدَايَةُ السَّالكينَ لَيسَ مَعَهَا شُهُودٌ لكَمَال الذَّات ، وَلاَ الأسْمَاء وَالصِّفَات بخلاَف نَهَايَة المجْذُوبينَ فَإنَّهُمْ لَم يَحْصُلْ لهمْ حَالة الصَّحْو إلاَّ بَعْدَ مُشَاهَدَة ذَلكَ فَالسَّالكُونَ عَاملُونَ فى تَرَقِّيهمْ عَلَى طَريق الفَنَاء وَالمحْو والمجذُوبُونَ مَسْلُوكٌ بهمْ فى تَدلِّيهم طَريقَ البَقَاء وَالصَّحْو وَإذَا كَانَ كَذَلكَ فَرُبَّمَا التَقيَا فى طَريق (هَذَا) أىَ السَّالكُ فى تَرَقِّيه منَ الخَلْق إلى الحَقِّ (وَهَذَا) أى المجْذُوبُ (فى تَدلِّيه) منَ الحَقِّ إلىَ الخَلْق فَرُبَّمَا اجتَمَعَا فى تَجَلِّى الأسْمَاء أوَ الصِّفَات بأنْ يَكُونَ كُلٌّ منهُمَا مُشَاهداً لأسْمَائه تَعالَى مَثَلا لَكنَّ المجْذُوبَ إذَا انْتَقَلَ منْ ذَلكَ يَنْتَقلُ إلىَ الآثَار وَالسَّالكَ إلىَ الصِّفَات . وَالسَّالكُ أفْضَلُ منَ المجذوب للانْتفَاع به بخلاف المجْذُوب فإذا أراد الله تكميل حَاله أصحَاه ، وَكُلٌّ منْ علْم السَّالك والمجْذُوب وَهْبىٌّ ذَوْقىٌّ وَإنْ كَانَ مَبْدأ علم الأوَّل اسْتدلاليًّا كَمَا يُوْخَذُ منْ قَوْله : دَلَّ بوُجُود آثَاره الخ ، فَالمجذُوبُ مَا دَامَ فى جَذْبه لا يَصلُحُ للمَشْيَخَة لعَدَم مُرُوره عَلَى المَقَامَات ، =

« حرف الذال »

(107) ـ ذَاكِرٌ ذَكَرَ لِيَسْتَنِيرَ بِهِ قَلْبُـهُ فكَـانَ ذَاكِراً[1] ، وذَاكِـرٌ استَنَـارَ قَلْبُـهُ فكَانَ

=ومَعَرفَته بغَوائل النُّفُوس ، وَلاشْتِغَاله بحَاله عَنْ حَال غَيْره كَما أنّ السَّالكَ إذَا لم يَصلْ إلى دَرَجة المشَاهَدَة وَالتَّجلّى لا يَصلُحُ للمَشْيَخَة لنَقصه وإنَّمَا يَصلُحُ لهَا مَنْ جَمعَ بَيْنَهُما سَوَاءٌ تَقَدَّمَ سُلُوكُهُ عَلَى جَذبه أوْ بالعكْس وَقدَ يمرُّ المجذُوبُ عَلَى المقَامَات بسُرعة ويَعْرفُ غَوَائلَ النَّفْس كَذلكَ فَيَصلُحُ للمَشيَخَة مَعَ جَذْبه لكنْ هَذَا فى بَعْض المجَاذيب كَشَيْخنَا العَظيم القُطب المبَارك السَّيد أحمدَ البَدَوىّ رضي الله عنه ونَفعَنَا به وَقُلْتُ فى مَجَامع الأنوَار :

سُبحَانُ مَنْ مَجذُوبُهُ جَذَبَ الوَرَى ... لجَـلاله ، وَإلىَ الطَّـريق هَـدَاهُ
وَأمَـدَهُ ممَّـا أمَـدَّ فَلَـمْ يُطـقْ ... إلاَّ مَخَـافَـةَ رَبِّــه وَرَجَـاهُ
وَبرُوحــه إنْ زَلَّ خَــوفَــهُ وَإنْ ... سَـلَكَ السَّـبيلَ برُوحــه أغـرَاهُ
خَرَقَ العوَائدَ منْهُ فَانخَرَقَتْ لَــهُ ... عَادَاتُ كَـوْن خَرَقُهُـنَّ جَـزَاهُ
لاَ تَسْـألَنْ مَـاذَا أمـدَّ بـه وَسَلْ ... مَـاذَا مـنَ التَّوفيـق كَانَ مَدَاهُ
مَنْ كَـان للخَـيْر السَّـبيلَ يَنَالُهُ ... مَـا نَالَ مَـنْ عَمـلُوا بـه للقَـاهُ
والسـيدُ البَدَوىُّ كَمْ خَيْرا عَـلَى ... يَـده الكَـريمَـة رَبُّـهُ أجْــراه
فَانْظُرْ إذَن مَـاذَا يكُـونُ ثَوَابُـهُ ... فيـمَا اخْتَـفَى أوْ بَانَ مـنْ مَسْـعَاهُ

وقُلْتُ فى نَظْم الحكَم :

اللــهُ دَلَّ عَـلَى الأسْـمَاء بالأثَـر ... وَقَدْ دَلَلْنَ عَـلَى أوْصَاف مُقْـتَدر
وَدلَّ بالوَصْـف أنَّ الـذَّاتَ قَائمـةٌ ... وَمَا لهَا مُشْـبهٌ فى سَـائر الصُّوَر
فَمَـنْ تَجلّى لَهُ بالـذَّات مُنجَـذبٌ ... يُرَدُّ للوَصْـف فَالأسْـمَاء فَالأثَر
وَذُو السُّلوك عَلَى عكْـس فَغَايتُـهُ ... بدَايَةُ الجَذْب . وَالصَّاحى أبُو الدُّرَر
وَمَا المـرَادُ اسْتَوَى إذْ ربَّمَا التَقَـيَا ... ذَا فى صُعُود ، وَهَذَا وَقْتَ مُنْحَدر

(107) ـ (1) هُوَ السَّالكُ .

ذَاكِـراً [1]، وَالذِّي اسْتَوَتَ أذكَارُهُ وأَنْوَارُهُ [2] فَبذكره يُهْتَدَى وَبِنُوره يُقْتَدَى .

(حرف الراء)

(108) رُبَّمَا كُنْتَ مُسِيئاً فأرَاكَ الإحسَانَ مِنْكَ صُحْبَتُكَ مَنْ هُوَ أَسْوأ حَالاً مِنْك [1].

---

(107) ـ (1) المجذوب فَالذِّكْرُ لَهُ كَالنَّفَسِ الطَبِيعىِّ بَلْ أَسْهَلُ

(2) هُوَ الوَاصِلُ . قَالَ فى لَطَائف المنَن : حَاكِياً عَنْ شَيْخه أبى العَبَّاس :
النَّاسُ عَلى قِسْمَينْ قَوْمٌ وَصَلُوا بِكَرَامَة الله إلَى طَاعَة الله . وَقَوْمٌ وَصَلُوا بطَاعَة الله إلَى كَرَامَة الله قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى : ﴿ اللهُ يَجْتَبِى إلَيْهِ مَن يَشَاءُ ويَهْدِى إلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ قَالَ : وَمَعْنَى كَلام الشَّيْخِ هَذَا . أنَّ منَ النَّاس مَنْ حَرَّكَ اللهُ همَّتَهُ لطَلَب الوُصُول إليْه فَصَارَ يَطْوى مَهَامهَ نَفْسه وَبَيْدَاءَ طَبْعه إلى أنْ وَصَلَ إلىَ حَضْرَة رَبِّه يَصْدُقُ عَلَى هَذا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالَّذين جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وَمنَ النَّاس مَنْ فَاجَأَتْهُ عنَايَةَ الله منْ غَيْر طَلَبه ولا استعداده ، وَيَشْهَدُ لذَلكَ قَوْلُه تَعَالَى : ﴿ يختَصُّ بِرحْمَتِه مَن يشاءُ ﴾ فَالأوَّلُ حَالُ السَّالكينَ والثَّانى حَالُ المجْذُوبينَ فَمَنْ كَانَ مَبْدؤهُ المعَامَلةُ فَنهَايَتُهُ المواصَلَةُ وَمَنْ كَانَ مَبْدؤُهُ المواصَلَةُ رُدَّ إلى وُجُود المعَامَلة . وَلا تَظُنَّ أنَّ المجْذُوبَ لا طَرِيقَ له بَلْ لَهُ طَرِيقٌ طَوَتْهَا عنَايَةُ الله لَهُ فَسَلَكَهَا مُسْرعاً إلَى الله عَاجلاً . وكَثيراً تَسْمَعُ عنْدَ مُرَاجَعَة المتَسببينَ للطريق أنَّ السَّالكَ أتَمُّ منَ المجْذُوب لأنَّ السَّالكَ عَرَفَ طَرِيقاً بهَا تَوَصَّلَ إليْه ، وَالمجذُوبُ لَيس كَذلكَ . وَهَذَا بنَاءً عَلَى أنَّ المجذوبَ لا طَرِيقَ لَهُ ، وَلَيس الأمْرُ كَمَا زَعَمُوا فَإنَّ المجذوبَ طُوِيَتْ الطَّرِيقُ له . وَلَمْ تُطْوَ عَنْهُ ، وَمَنْ طُوِيَتْ لَه الطَّرِيقُ لَمْ تَفُتْهُ وَلَمْ تَغبْ عَنْهُ وَإنَّمَا فَاتَهُ مَتَاعبُهَا وَطُولُ أمَدهَا ، وَالمجذوبُ كَمَنْ طُوِيَتْ له الطَّرِيقُ إلىَ مَكَّةَ ، وَالسَّالكُ كَالسَّائر إليْهَا عَلَى أكْوَار المطَايَا اهـ ، مَا ذَكَرَهُ فى حَال الجَذْب وَالسُّلُوك وَهُوَ فى غَايَة الحُسْن . وَقُلْتُ :

مِنَ القَوْم ذُو ذِكر لتَحْصيل نُوره　　　وَمنْهُمْ أخُو نُور به دَامَ ذِكْرُهُ

(108) ـ (1) صُحبَة مَنْ دُونَكَ ضَرَرٌ مَحَضٌ لأنَّهَا تُبينُ لَكَ كَمَالَكَ وتُحَسِّنُ لَكَ الظَّنَّ بكَ فَتَرضَى عَنْ نَفسكَ وَالرِّضَا عَنْهَا أصْلُ كُلِّ بلاء وَقُلْتُ : =

(109) ـ(1) ربَّما أعْطَاك (1) فَمَنَعَكَ (2) ورُبَّمَا مَنَعك(3) فأعْطَاكَ (4) .

(110) رُبَّمَا فَتَحَ لكَ بَابَ الطَّاعَة ، ومَا فَتَحَ لكَ بَابَ القَبُول(1) ، ورُبَّمَا قَضَى عَلَيْكَ بِالذَّنْب فَكَانَ سَبَباً فِى الوُصُول(2) .

= تَظُنُّ وأنْتَ ذُو نَقْـصٍ كَمَـالاً ... إذَا صَاحَبْتَ مَنْ هُوَ مِنْكَ أنْقَصْ

وَقُلْتُ أيضاً :

وَمَنْ يَصْحَبِ الأعْلَى تَبيَّنَ نَقْصُهُ ... وَمَنْ يَصْحَبِ الأدْنَى يَظُنُّ كَمَالَهُ

وَقُلْتُ :

إذَا صَاحَبْتَ أدْنَـى منْـكَ حَـالاً ... تَظُـنُّ بِكَ الجَمِـيلَ ولَـوْ مُسِـيئَا .

(109) ـ(1) شَيْئاً منَ الدنيَا ولَذاتهَا .

(2) التَّوفيقَ لطَاعَته والإقْبَالَ عَلَيْه وَالفَهْمَ عَنْهُ .

(3) منَ الأوَّل .

(4) مِنَ الثَّانى فَمَنْعُ الله لكَ منْ لَذَّاتكَ وَشَهَواتكَ عطَاءٌ جَزيلٌ لأنَّهُ أبْقَاكَ مَعَهُ وَقَطَعَكَ عَنْ حُظُوظكَ وأغْرَاضكَ ، وَعكْسُ ذَلكَ هُوَ المنْعُ عَلَى التَّحقيق وإنْ كَانَ عطَاء فِى الظَّاهر . فَلا تَنْظرْ للظَّاهرِ وَانْظرْ لحقيقَةِ الأمْر . وَقُلْتُ :

وَقَدْ تُعْطَى ، وَتُمنَعُ منه قُرْباً ... وتُمنَعُ ، ثُمَّ تُعْطَى مَنْهُ حُـبَّا

وَرُبَّ عَطِـيَّةٍ مَنْـعٌ وَمَنْـع ... عَلَى التَّحْقيق خَيْرٌ منْ عطَايَا

(110) ـ(1) الإضَافَةُ فيهمَا بَيَانيَّةٌ أوْ منْ إضَافَة المشبَّه به إلىَ المُشَبَّه .

(2) وذَلكَ أنَّ الطَّاعَةَ قَد تُقَارنُهَا آفاتٌ قَادحةٌ فى الإخْلَاص فيهَا كالعُجْب والرِّيَاء واحْتقَار مَنْ لَم يَفْعَلْهَا وَذَلكَ مَانعٌ منْ قَبُولها . والذَّنْبُ قَدْ يُقَارنُهُ الالْتجَاء إلىَ الله ، والاعْتذَار إلَيْه ، وَاحْتقَارُ نَفْسه وَتعْظيم مَنْ لَم يَفْعَلْهُ فَيَكُونُ ذَلكَ سَبباً فى مغْفرَة الله لَهُ وَوُصُوله ، وَفى هَذَا المعْنَى يَقُولُ المصنِّفُ : مَعْصيةٌ أورَثَتْ ذُلاً وَافتقَاراً ، خَيْرٌ منْ طَاعَة أوْرَثَتْ عزاً وَاسْتكَبَاراً وقَالَ أبُو مَدْيَنَ قُدِّس سرُّهُ : انكسَارُ العَاصى خَيْرٌ منْ صَوْلَة المطيع وَقُلْتُ :

وكَمْ منْ طَاعَة فَاتَ القَبُولُ ... وَمَعْصيَة بهَا كَانَ الوُصُولُ

ولَقَدْ تُطيعُ ولَا قَبُولَ ورُبَّمَا ... أذْنَبْتَ ذَنباً كَانَ سرَّ وُصُولكَا

(111) رُبَّمَا أَفَادَكَ فى لَيْلِ القَبْضِ[1] مَا[2] لَم تَسْتَفِدْهُ فى إشْرَاقِ نَهَارِ البَسْطِ[3]: لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أقرَبُ لكُمْ نَفْعاً .

(112) رُبَّمَا وَقَفَتِ القُلُوبُ مَعَ الأنوارِ[1] كَمَا حُجِبَتِ النُّفُوسُ بِكَثَائِفِ[2] الأغْيَارِ .

(113) رُبَّما أطْلعَكَ عَلَى غَيْبِ مَلَكُوتِهِ[1]، وَحَجَبَ عَنْكَ الاسْتِشْرَافَ[2] عَلَى أسْرَارِ العِبَادِ[3] .

---

(111) ـ(1) أى القَبْض الشَّبيه بالليْلِ بجَامِعِ السُّكُون فى كُلٍّ .

(2) مَا : أىْ عُلُوماً ومَعَارِفَ .

(3) البَسْط الشَّبيه بالنَّهَار بجَامعِ الانْتشَار فى كُلٍّ ، وَذَلكَ لأنَّ مَنْ حَصَلَ عِنْدَهُ البَسْطُ تَهيجُ نَفْسُه إلىَ إظْهَار مَا عِنْدَهُ منَ العُلُومِ والمعَارِف فَرُبَّمَا كَانَ ذَلكَ سَبَباً لحجبه ، وَمَنْ حَصَلَ عِنْدَهُ القَبْضُ انْكَسَرَتْ نَفْسُهُ فكَانَ ذَلكَ سَبَباً فى إفَاضَة الخير عَلَيْه ، وكذَا آثَرَهُ العَارفُونَ عَلَى البَسْط لقُدْرتهمْ عَلَى الوَفَاء بآدَابه دُونَ البَسْط وقَدْ يَحصُلُ عِندَهُمْ فيه جَزَعٌ وعَدَمُ صَبْرٍ عَلَى مُقَاومَة القَهْرِ الإلَهى بخلاف البَسْط فَيَنْبَغى أنْ تَعْرفَ نعْمَتَهُ فى القَبْضِ والبَسْط وأنْ يُوكلَ أمْرهُمَا إليْه فَإنَّهُ لا يُدْرَى أيُّهمَا أقْرَبُ نَفعاً ، وقَدْ تقدَّمَ الكلامُ عَليهمَا فى حكْمَة حَرْف البَاء وَقُلْتُ :

وَقَــدْ تُفَـادُ بلَيْـلِ القَبض فَائـدَةٌ لَمْ تَسْتَفدْ مثْلَهَا فى ضَحْوَة البَسْط

(112) ـ(1) فَتَحْتَجبُ بنُورهَا . وَتَتَعَطَّلُ عَن السَّيْر إلىَ الله تَعَالَى.

(2) أى بكَثَائفَ هىَ الأغْيَارُ أى الشَّهَوَاتُ واللذَّاتُ التى هى غَيْرُ المولَى سُبْحَانَهُ فالحجابُ عَن المولَى قسمان نُورَانىٌّ ، وَهىَ العُلُومُ وَالمعَارفُ إذَا وَقَفَت القُلُوبُ معَهَا وركَنَتْ إليْهَا . وَجَعَلتْها غَايَةَ تَقْصدُهَا وَظُلْمانىٌّ وَهُوَ شَهَواتُ النُّفُوسِ وَعَادَاتُهَا ، وَوَصفَهَا بالكَثَافَة لأنَّها لا تَزُولُ إلاَّ بمشَقَة وَقُلْتُ :

وَقَدْ تَحجُبُ الأنْوارُ قَلْبَ مُريدهَا كَمَا تَحجُبُ الأغْيَارُ نَفْسَ مَريدِ

(113) ـ(1) أىْ مَلَكُوته الغَائب كَالّذى فَوْقَ السَّمَاء وتَحْتَ الأرْض .

(2) الاطِّلاعُ .

(3) أىْ مَافِى قُلوبُهِـمْ مِـنْ خَيْرٍ أوْ شَـرٍّ لأنَّ مَـنِ اطَّـلَعَ عَلَى أسْـرَارِ العبادِ ولَـمْ يَرْحَمْـهُـم =

(114) رُبَّمَا دَخَلَ الرِيَاءُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لا يَنْظُرُ الخَلْقُ إِلَيْكَ (1)

(115) رُبَّمَا دَلَّهُمُ الأدبُ . عَلَى تَرْكِ الطَّلَبِ . اعتماداً عَلَى قِسْمَتِهِ (1) واشْتِغَالاً بذكره عَنْ مَسْأَلته .

=كَان اطِّلاعُه فتنَةً وبَلاءً عليه وَقُلْتُ :

وَقَدْ يُبْدِى لكَ الملكُوتَ رَبٌّ ... وَيَحجُبُ عَنْكَ أسْرَارَ العبَاد

(114) ـ(1) وَذَلكَ إذَا عَمِلْتَ العَمَلَ وَحْدَكَ ، وَقَصَدْتَ تَوقيرَ النَّاسِ لكَ وَتَعْظِيمَهُمْ وَمُبَادرَتَهُم إلىَ قَضَاء حوَائجِكَ ، وَرُبَّما تَوَعَّدْتَ مَن قَصَّرَ فى حَقِّكَ بمُعَاجَلَة الله له بالمعَاقبَة . ولا يَسْلَم منَ الرِيَاء الخَفِيّ كَهَذَا وَالجَلِيّ كَمَنْ يَعْمَلُ أمَامَ النَّاسِ لِقَصْدِهِم إلاَّ العَارِفُونَ الذِّين يَعْمَلُونَ للَّه . وَقُلْتُ :

وَلَرُبَّما دَخَـلَ الرِّيَاءُ عَلَيْكَا ... منْ حَيْثُ لاَ تَرْنُو العُيونُ إليْكَا

(115) ـ(1) يَعْنى أنَّ بَعْضَ العَارِفينَ قَد يَغْلبُ عَلَيْه التَّفْويضُ والتَّسْليمُ فَيَتْرُكُ السُّؤالَ اعْتماداً عَلَى القِسْمَة الأزليَّة . وَحَاصلُ هذَا المقَام ذَكَرهُ الإمَامُ القُشَيْرِىُّ فَقَالَ : الأوْقَاتُ مُختلفَةٌ فَفى بَعْضِ الأحْوَال الدُّعَاءُ أفضَلُ منْ السكوت وَهُوَ الأدَبُ ، وَفى بَعْضِ الأحْوَال السُّكُوتُ أفضَلُ منَ الدُّعَاء وَهُوَ الأدَبُ وَإنَّمَا يُعْرَفُ ذَلكَ فى الوَقْت لأنَّ علْمَ الوَقْت يَحصُلُ فى الوَقْت فَإذَا وَجَدَ فى قَلبه إشَارَةً إلىَ الدُّعَاءُ فَالدُّعَاءُ به أوْلَى وَإذَا وَجَدَ إشَارَةً إلى السُّكُوت فَالسُّكوتُ لَهُ أوْلَى وَيَصحُّ أنْ يُقَالَ : إذَا وَجَدَ انْشراحاً حَالَ الدُّعَاء فَهُوَ أوْلَى . وَإذَا وَجَدَ شبهة زَجْرٍ وقَبْضٍ فَعَدَمُهُ أوْلَى ، وَإنْ عَدمَ الانْشرَاحَ ، وَالقَبْضَ فَالدُّعَاءُ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ . وَقُلْتُ :

وَقَدْ يَدْعُوهُمُو أدبٌ عَلِيٌّ ... إلى تَرْكِ الدُّعَاء رضاً بحكمه

وَقُلْتُ أيضاً :

يَا رُبَّمَا دَلَّ الأدبْ ... قوماً عَلَى تَرْكِ الطَّلَبْ

شُغلاً بِسَامِي ذِكْرِهِ ... وللرِّضَا بِمَا كَتَبْ

(116) رُبَّمَا وَجَدْتَ منَ المزيد(1) فى الفَاقَات مَالم تَجدْهُ فى الصَّوْمِ وَالصَّلاة(2) .

(117) رُبَّمَا رُزِقَ الكَرَامَة . مَنْ لَم تكْمُلْ لَهُ الاسْتقَامَةُ(1) .

(118) رُبَّمَا بَرَزَت الحقَائقُ(1) مكْسُوفَةَ الأنوَارِ(2) إذَا لم يُؤذَنْ لكَ فيهَا بالإظْهَارِ .

---

(116) ـ(1) أى الزِّيَادَةَ فى حَالكَ منْ طَهَارَة السِّرِّ وَحُصُول الأنْوَار وَالمعَارف .

(2) إذْ قَدْ يَكُونَان لشَهْوَة النَّفْس وَحَظِّهَا فَلاَ يُفيدَان تَزْكيَةً وَلا تَحْليَةً بخلاف الفَاقَات فَإنَّهَا مُبَاينةٌ للشَّهْوة عَلَى كُلِّ حَال . وَقُلْتُ :

وَرُبَّمَا وَجَدْتَ فى الفَاقَات   مَالم تَجدْ فى الصَّوْم وَالصَّلاة

(117) الكَرَامَةُ : الأمْرُ الخَارقُ للعَادَة ، وَلا يَنْبغى للمُريد أنْ يَعْتَنى بهَا وَيَغْتَرَّ بظُهُورهَا عَلَى يَده لأنَّهَا قَد تَكُونُ اسْتدرَاجاً أوْ مَعُونَةً فَالكَرامةُ حَقيقَةُ كَمَال الاسْتقَامَة . وَمَرجعُهَا إلىَ أمْرَيْن صحَّةَ الإيمَان بالله وَاتِّبَاعُ مَا جاءَ به رَسُولُ الله ﷺ ظَاهراً وَبَاطناً فَالوَاجبُ عَلَى المريد أنْ لا يَحْرصَ إلاَّ عَلَيْهَا وَأمَا خَرْقُ العَادَة فَلا عبْرَة به عنْد المحقِّقينَ . وَقُلْتُ :

وَلَرُبَّمَا رُزِقَ الكَرَامَة   مَنْ لَم يُكَمِّل الاستقَامَة

وَقُلْتُ :

لا تَخْدَعَنْكَ الخَارقَاتُ فَرُبَّمَا   كَثُرتْ عَليْكَ وَأنْتَ غَيْرُ مُكَمَّل

وَقَد وَفَّيْتُ الكَلامَ عَلَى الكَرَامة وَالأوْليَاء فى كتَابنَا الكَريم « الجُنَّةُ » أوْ عَقيدَةُ الخَطيب وَشَرحُهَا فَارجْع إليْه فَفيه مَالاَ غَايَةَ بَعْدَهُ .

(118) ـ(1) وَهىَ العُلُومُ العرْفَانيَّةُ .

(2) بمَا غَشيَهَا منْ ظُلْمَة الأغْيَار فمجَّتْها آذَانُ السَّامعينَ وَأنْكَرَتْهَا قُلُوبُهُمْ ، قَالَ أسْتَاذُنَا وَسَيدُنَا أبُو العَبَّاسِ المرْسىُّ قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ : كَلامُ المأذُون له يَخْرُجُ وَعَلَيْه كُسْوَةُ وَطَلاوَةُ ، وَكَلامُ غَير المأذُون له يَخْرُجُ مكْسُوفَ الأنْوَار . حَتَّى إنَّ الرَّجُلَين لَيَتكلَّمَان بالحقيقة الوَاحدَة فَتُقْبَل منْ أحَدهمَا ، وَتُرَدُّ عَلَى الآخَر أهـ ، وَقُلْتُ :

تُكْسَى الحقَائقُ ظُلمةً إنْ تُفْشهَا   مَا لم يجئْكَ الإذْنُ فى إفْشَائها

(119) رُبَّمَا عَبَّرَ عَنِ المقَامِ[1] مَنِ استَشْرَفَ[2] عَلَيْه ، وَرُبَّمَا عَبَّرَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إليْه . وَذَلكَ[3] مُلْتَبِسٌ إلاَّ عَلَى صَاحِبِ بَصِيرَة[4] .

(120) رُبَّمَا اسْتَحْيَا العَارِفُ أنْ يَرْفَعَ حَاجَتَهُ إلى مَوْلاهُ لاكْتِفَائِه بمَشيئَته[1] فكَيْفَ لا يَسْتَحِيى أنْ يَرْفَعهَا إلىَ خَليقَته[2] ؟

---

(119) ـ (1) كَالتَّوكُّلِ وَالزُّهْد مَثَلاً .

(2) قَارَبَ الوُصُولَ إليْه ، ولَم يَظفرْ به .

(3) حَالُ كُلٌ منهُمَا مُلتَبسُ الفرْق بيْنَه .

(4) لأنَّه يَرَى فى الكَلام صُورَةَ المتَكَلِّم البَاطنَة فَيُدْرِكُ المقَاربَ منَ الوَاصِل ، وَعلامةُ المقَارب أنْ يَفرَحَ ويَستَبشرَ عندَ التَّعبير ويَستَعظمَ الأمْرَ لكَوْنه فى مبَاديه وقَريبَ عَهْد بغَيْره . وأمَّا الوَاصلُ فَيَتكلَّم فيه كَعَادَته فى كَلامه بغَيره . وقَد يُعَبِّرُ عَنِ المقَامِ حَافظُه منْ كُتُبِ القَوْم ، ويُوهمُ أنَّه وَاصلُ مُتَمكِّنٌ . وَعَلامتُهُ أنْ يَبْحثَ مَعَهُ عَلَى مُقْتَضَى قَوَاعد العلْم فَإنْ تكَلفَ الأجْوبَة ، وانْتَصرَ لنَفسه وتَعصَّبَ لقَولهِ فَهُوَ مُدع كَاذبٌ . وَقُلْتُ :

وَلَقَدْ يُعَبِّرُ عَنْ مَقَامِ مُشْرِفٌ ... ولَقَدْ يُعبِّرُ عَنْهُ مَنْ هُوَ وَاصِلُ
والفَرقُ ملْتَبسٌ ولاَ يَخْفَى عَلَى ... مَنْ عنْدَهُ نُورُ الفُؤاد الكَامِلُ

(120) ـ (1) أىْ بمَا تَعلَّقَتْ به مَشيئَتُهُ منْ إعْطَاء أوْ مَنْع أوْ ضُرٌ أوْ نَفع قَال الشَّاذلىُّ قدَّس اللهُ سرَّهُ لَمَّا سئلَ عَنِ الكيمَياء : أخْرجِ الخلْقَ منْ قَلْبكَ ، وَاقْطعْ يَأسَكَ منْ رَبِّكَ ، أنْ يُعْطيَكَ غَيْرَ مَا قَسَمَ لكَ .

(2) فَلا يَسْألُونَ منهُمْ شَيْئاً ، وَلا يَرْفَعُونَ إليْهمْ حَاجَةً لأنَّهمْ فُقَرَاءُ مُحْتَاجُونَ ، وَمَوْلاهُمْ هُوَ الغَنى الحَميدُ ، وكَيْفَ يُدَنِّسُونَ إيمَانَهُمْ بالطمَع فى المخلُوقينَ وَهُوَ خلْعَةٌ عَلَيهم منْ رَبِّ العَالَمينَ وَانْظُرْ همَّةَ إبْرَاهيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حينَمَا سَألَهُ جبْريلُ وَهُوَ فى طَريقه إلى نَار النُّمْرُوذ : «ألك حاجة» ؟ فَقَالَ : « أما إليك فلا » فَقَالَ لَه : « سل الله » فَقَال : «حسبى من سؤالى علمه بحالى » . وَقُلتُ فى مَجامعِ الأنْوَار :

رَاضٍ بمَا خَطَّ القضَاءُ وإنْ يكُنْ ... شَراً لمَا يَرْجُوهُ فى عُقْبَاهُ
ألقَى إلىَ الرَّبِّ الحكيمِ مَقَادَهُ ... وَرَأى جَميعَ الخَيرِ فِى إجْرَاهُ =

(121) رُبَّمَا وَرَدَت الظُّلَمُ[1] عَلَيْكَ . ليُعَرِّفَكَ قَدْرَ[2] مَامَنَّ به عَلَيْكَ .

(122) رُبَّمَا وَرَدَتْ عَلَيْكَ الأَنْوَارُ[1] فَوَجَدَتْ قَلبَكَ مَحْشُواً بِصُوَرِ الآثَارِ[2] فَارْتَحَلَتْ مِنْ حَيْثُ[3] نَزَلَتْ .

= وَقُلْتُ فِى نَظْمِ الحِكَمِ :

مَنْ كَانَ يَخْجَلُ مِنْ سُؤَالِ مَلِيكِهِ ... لاَ يَنْبَغِى أَنْ يَسْأَلَ المَمْلُوكَا

وَقُلْتُ أَيْضاً :

وَقَد يَأْبَى الحَيَاءُ لِعَارِفِيهِ ... رِضاً بِقَضَائِهِ الأَسْمَى ـ سُؤَالَهْ

فَهَلْ يَرْجُونَ شَيْئاً مِنْ سِوَاهُ ... تَعَالَى اللهُ مَا أَسْمَى رِجَالَهْ

(121) ـ(1) الشَّهَوَاتُ وَالمَعَاصِى وَالغَفلاتُ .

(2) مِنْ قَبْلِ وُرُودِهَا مِنَ الإِقْبَالِ عَلَى مَوْلاكَ وَالأَنْوَارِ فَتَحْمَدَهُ عَلَيها . وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى حَالِكَ عَرَفْتَ أَنَّ ذَلِكَ نِعمَةٌ عَظِيمَةٌ فَيَزْدَادَ حَمْدُكَ وَشُكْرُكَ لَهُ فَقَد صَارَت النِّقْمَةُ نِعْمَةً وَقَدْ تُرَدُّ عَلَيْكَ لإِعْجَابِكَ بِطَاعَتِكَ فَتَرُدُّكَ إِلَى عَدَمِ الغُرُورِ ، وَقَدْ تَكُونُ عُقُوبَةً ، وَعَلامَةُ ذَلِكَ أَنَّكَ كُلَّما خَرَجْتَ مِنْ مَعْصِيةٍ وَقَعْتَ فِى أُخْرَى ، وَلا تُوَفَّقُ لِلتَّوبَةِ وَقُلْتُ :

وَلَقَدْ يُوَافِيكَ الظَّلامُ لِكَىْ تَرَى ... مِقْدَارَ فَضْلِ اللهِ فِى الأَنْوَارِ

وَقُلْتُ :

وَرُبَّمَا كَانَت الأَغْيَارُ مَنْفَعَةً ... إِذْ عَرَّفَتْكَ الذى أَوْلاكَ مَوْلاكَا

(122) ـ(1) المعَارِفُ الإِلهِيَّةُ .

(2) مُعَلَّقاً بِصُوَرِ المُكَوَّنَاتِ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَوْلادٍ وَغَيْرِهِمَا .

(3) مِنَ القَلْبِ الذى نَزَلَتْ فِيهِ لأَنَّهَا مُقَدَّسَةٌ فَلاَ تَثْبُتُ فِى القَلْبِ المدَنَّسِ بِالأَغْيَارِ وَقُلْتُ :

وَقَدَ تَجِىءُ لَكَ الأَنْوَارُ ثُمَّ تَرَى ... فِى القَلْبِ غَيْراً فَلاَ تَبْقَى وَتَرتَحِلُ

(123) رُبَّ عُمْرٍ اتَّسعَتْ آمَادُهُ (1)، وَقَلَّتْ أَمْدَادُهُ (2)، وَرُبَّ عُمْرٍ قَلِيلَة آمَادُهُ، كَثِيرَةٌ أَمْدَادُهُ (3)

« حرف السين »

(124) سَوابِقُ الهِمَمِ (1). لا تَخرِقُ أَسْوَارَ الأَقْدَار (2)

(125) سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخُصُوصِيَّة (1) بِظُهُورِ البَشَرِيَّة (2) وَظَهَرَ بِعَظَمَة (3) الرُّبُوبِيَّةِ فِي إظهَارِ العُبُودِيَّة.

---

(123) ـ(1) غَايَاتُهُ وَآزْمِنَتُهُ.

(2) فَوائِدُهُ كأَعْمَارِ الغَافِلِينَ عَن الله فَإنَّهَا وإنْ طَالَتْ حِساً قَصُرَتْ مَعْنىً.

(3) كَأَعْمَارِ الذَّاكِرِينَ فَإنَّهَا طويلةٌ وَلَو قَصُرَتْ لِكَثْرَةِ أَمْدَادِهَا وَهَذَا هُوَ مَعْنَى البركة فِي العُمْرِ وَقُلْتُ:

وَعُمْرٌ طَالَ وَالأَمْدَادُ قُلٌّ ... وَعُمْرٌ قَلَّ وَالأَمْدَادُ كُثْرُ

(124) ـ(1) الهِمَمُ السَّوَابِقُ مِنْ إضَافَة الصِّفَة لِلمَوصُوف.

(2) مِنْ إضَافَة المشَبَّه به للمُشَبَّه أيْ أَقْدَاراً كَالأسْوَار. وَالهِمَمُ السَّوابِقُ: هِيَ قُوَى النَّفْس التَى تَنْفَعِلُ عَنْهَا الأَشْيَاءُ وَتَكُونُ للوَلِيِّ كَرَامَةً يُقَالُ: فَعَلَ كَذَا بِهِمَّتِه إذَا وَجَّهَهَا إِلَيْه فَوُجِدَ وَلِغَيْره كَالسَّاحِروَالعَائِنِ (مَنْ يُصِيبُ بِعَيْنِه) إهَانَةً وَالمعَنى: أنَّ الهِمَمَ السَّرِيعَةَ التَأثِيرِ لا تَنْفَعِلُ عَنْهَا الأَشياءُ إلاَّ بِتَقْدِير الله سُبْحَانَهُ، وإذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالحَزْمُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِالقَلْبِ مَعَ الأَخْذ فِي الأَسْبَاب الموَصِّلَة للمَقْصُود عَادَةً وَقُلْتُ:

سَلِّمْ فَمَا الهِمَمُ السَّوَابِقُ تَخرِقُ ... أَسْوَارَ أَقْدار تُطعَ مَنْ يَخلُقُ

(125) ـ(1) سِرَّ الخُصُوصِيَّة أيْ سِرًّا هُوَ الخُصُوصِيَّةُ، وَهِيَ العُلُومُ وَالمعَارِفُ وَالأَسْرَارُ الإلهِيَّةُ التِي يُفِيضُهَا اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ أَوْلِيَائِه.

(2) أَي الأَحْوَالُ التَّى تَعْرِضُ لِلبَشَرِ وَالأُمُور الدنيَوِيَّةُ التِى يَتَعَاطَاهَا النَاسُ فَإنَّ بَعْضَ الأَوْلِيَاء قَدْ يَكُونُ حَمَّاراً أَوْ خَبَّازاً فَلا يَعْرِفُهُ غَالِبُ النَّاس لِيَسْتُرَ خُصُوصِيَّتَهُ بِهَذِه المِهْنَة، وَقَد تَظْهَرُ الخُصُوصِيَّةُ عَلَى البَعْضِ وَهُمُ الدُّعَاةُ لِيَتَكَمَّلَ بِهِمْ غَيْرُهُمْ.

(3) أيْ بِرُبُوبِيَّتِه العَظِيمَة فِي إظْهَارِ آثَارِ العُبُودِيَّة عَلَيهِمْ، وَهِيَ الأَحْوالُ التِى تَطْرأ=

(126) سَتَرَ أنْوَارَ السَّرَائر[1] بكَثَائف الظَّواهر[2] إجْلالاً لها[3] أنْ تُبْتَذَلَ بوُجُود الإظْهَار وأنْ يُنَادَى عَلَيْها بلِسَان الاشْتِهَار .

(127) سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَل الدَّليلَ عَلَى أوْليَائه إلاَّ منْ حَيْثُ الدليلُ عَلَيْه[1] ولَمْ يوصِّلْ إليْهُمْ إلا مَنْ أرَادَ أنْ يُوَصِّلَهُمْ إليْه[2]

= عَلَى العَبيد فَتقْضى افتقَارَهُمْ للرَّبِّ كَالمرَض والفَقْر وقُلْتُ :

سُبْحَانَهُ سرٌّ مَنْ أوْلاهُ قَدْ سَتَرا ... بمَا عَلَيْه منَ الأحْوَال قَدْ سَفَرا

وَقَدْ تجلَّى بوَصْف الرَّبِّ مُنْفَرداً ... بالحُكْم في العَبْد حَتَّى فَقْرُهُ ظَهَرَا

(126) ـ(1) أى أنوارَ قُلُوب أوْليَائه .

(2) أىْ بالظَّوَاهر الكَثَائف ، وَهيَ الأحْوَالُ التى يَتَلَبَّسُونَ بهَا كَالصَّنَائع وغَيْرهَا .

(3) علَّةٌ لسَتْر الأنْوَار . وأيْضاً سَتَرَهَا رَحْمَةً بالمؤمنينَ إذْ لَو ظَهَرَتْ أسْرَارُ الولايَة لأوْجَبَتْ حُقُوقاً لمَنْ ظَهَرَتْ لَهُ إذَا قُصِّرَ فيهَا وَقَعَ المحذُورُ . وَقُلْتُ :

سَتَّرَ السَّرَائرَ بالظَّوَاهر رَحْمَةً ... بعبَاده ، وأجَلَّهَا أنْ تُبْتَذَلْ

(127) ـ(1) أىْ أنَّ الاهْتداءَ إلىَ أوليَاء الله يُتَعَجَّبُ منْهُ لأنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ بكثائف الظَّواهر كَالمهَن الخَسيَسة وَالمأكُول وَالمشْرُوب وَغَيْرهمَا كَمَا أنَّ الاهْتدَاءَ الخَاصَّ إلىَ الله تَعَالَى يُتَعَجَّبُ منه لاحْتجَابه عَن المخْلوقينَ بالأكوَان فَإذَا أرَادَ اللهُ خَيْراً بعَبْده عرَّفَهُ به التَّعْريفَ الخَاصَّ ، وَدلَّهُ عَلَى أوْليَائه .

(2) وَذَلكَ لأنَّهمْ أحبَابُه فَيَغَارُ عَلَيْهمْ أنْ يَهْدىَ إليْهمْ غَيْرَ أحبَابه . قَالَ الشَّيْخُ الشَّرقَاوىُّ : وَهَذَا لبَعض الأوْليَاء وَهُمُ المسْلكُونَ . فَمَنْ أرَادَ أنْ يُوصِّلَهُ إليْهم جَمَعَهُ عَلَيْهمْ عَلَى وَجْه الصُّحْبة الخَاصَّة ، وَهُمْ قسمَان قسْمٌ يُظْهَرُ للعَامَّة وَالخَاصَّة ، وَقسْمٌ لا يُظْهَرُ إلاَّ للخَاصَّة ، وَهُنَاكَ عبَادٌ لا يُظْهرُ عَليهمْ أحَداً منْ خَلْقه حَتَّى الحفَظَةَ وَيَتَولَّى قَبْضَ أرْواحهمْ بيَده ، وَلا يُسَلِّطُ التُّرابَ عَلَى أبْدَانهمْ وَقُلْتُ :

سُبْحَانَ مَنْ جعَلَ الدَّليـــلَ عَلَى الوَلىِّ دَليلَهُ

وَإليْــه وَصَّلَ مَـنْ أرَا ... دَ لـذَاتـه تَـوْصيـلَهُ

« حرف الشين »

(128) شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ به(1) أو يَسْتَدِلُّ عَلَيْه(2) ، المسْتَدِلُّ به(3) عَرَفَ الحَقَّ لأهله(4) وأثْبَتَ الأمْرَ (5) منْ وُجُود أصْله(6) وَالاسْتدْلالُ عَلَيْه منْ عَدَمِ الوُصُول إليْه(7) وَإلاَّ (8) فَمتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْه ؟ وَمَتَّى بَعُدَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ التَى تُوَصِّلُ إليْه . ؟

---

(128) ـ(1) عَلَى الأشْيَاء وَهُمُ المرادُونَ المجْذُوبُونَ إليْه المُشَاهدُونَ لَهُ إمَّا ابْتداءً وإمَّا بَعْدَ السُّلُوك وَهُمُ العَارِفُونَ فَلا يُشَاهدُونَ إلاَّ رَبَّهُمْ ، وَيَسْتَدلُّونَ به عَلَى الأشْيَاء .

(2) وَهُمُ المريدُونَ السَّالكُونَ إلىَ الله تَعَالَى وَأو بمَعْنى الوَاو فَأهْلُ الله قسْمَان مُرَادُونَ أوْ مَجْذُوبُونَ ، وَهُمْ أهْلُ الشُّهود ، وَمُريدُونَ سَالكُونَ ، وَهُمْ مَحْجُوبُونَ حَالَ سُلُوكهمْ برُؤيَة الأغْيَار وَالآثَار فَيَسْتَدلُّونَ بهَا عَلَيْه ، وَالمجْذُوبُونَ يَسْتَدلُّونَ به عَلَيْهَا ، لأنَّهُمْ لاَ يَشْهَدُونَ غَيْرَهُ .

(3) عَلَى غَيْره .

(4) الحَقُّ هُوَ الوُجُودُ الوَاجبُ وَأهْلُه هُوَ اللهُ تَعَالَى أىْ لم يُثبت الوُجُودَ إلا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأمَّا الحَوادثُ فَهُمْ عَدَمٌ مَحْضٌ .

(5) وَهيَ الحَوادثُ العَدَمِّيَةُ .

(6) وَهُوَ اللهُ أىْ جَعَلَ وَجُودَهُمْ مُسْتَفَاداً منْ وُجُود الله تَعَالى الذى قَابَلَهُمْ وَظَهَرَ فيهمْ فَوُجدُوا وَإلاَّ فهم عَدَمٌ مَحضُ عَنْدَ أرْبَاب الشُّهُود .

(7) أىْ أنَّ الاسْتدْلالٌ بغَيْر الله تَعَالَى عَلَيْه نَاشىءٌ منْ عَدَم الوُصُول إليْه لوُجُود الحجَاب وَهُوَ اسْتدْلالٌ بالمعدُوم عَلَى الموجُود وَبالمجْهُول عَلَى المعْلُوم .

(8) (وإلا) تَقُلْ إنَّهُ منْ عَدَم الوُصُول فَلا يَصحُّ لأنَّه مَتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْه وَمَتَى بَعُدَ حَتَّى تَكُونَ الآثارُ هيَ الَّتى تُوَصِّلُ إليْه . وَالمرَادُ باسْتدلاَل المجَذوب المُفيق أنَّه يُلاحظُ الغَيْرَ فَيُثبتُ وَجُودَه بوجوده سُبْحَانَهُ لاَ أنَّهُ يَسْتدلُّ بالدَّليل العَقْليَّ . وَقُلْتُ :

مَنْ يَسْتَدلُّ به عَلاَ مَنْ قَدْ عَلَيْه الغَيْرُ دلَّهْ
المُسْتَدلُّ به عَلَى الـ أشْيَاء أعْطَى الحَقَّ أهْلَهُ =

(129) شُعَاعُ البَصيرَةِ(1) يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ منْكَ ، وَعَينُ البَصيرةِ(2) تُشْهِدُكَ عدَمَكَ لوُجُودِه ، وَحَقُّ البَصيرَةِ (3) يُشْهِدُكَ وُجُودَهُ لاعدَمَكَ وَلا وُجُودَكَ .

« حرف الطاء »

(130) طَلَبُكَ منهُ اتهَامٌ له(1) وَطَلبُكَ له غَيْبَةٌ منكَ عَنهُ(2) . وَطَلَبُكَ لغَيْره لقلَّة

= وَالمستدلُّ بهَا عَلَيْه عَرَتْهُ عَنْ مَوْلاهُ غَفْلَهْ
مَا غَابَ قَطُّ وَلا نَأىَ فَلمَ الموصِّلُ وَالأدلّه

(129) ـ(1) يُعَبَّرُ عَنهُ بنُور العَقْلِ ، وَبعلْم اليَقينِ وَهُوَ نُورٌ إلهِىٌ يَنْكَشف به قُرْبُ الله منْكَ ، وَفَائدتُه مُرَاقَبَتُهُ وَالحَيَاءُ منْهُ فَلاَ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَلاَ يَفْقدُكَ حَيْثُ أمَرَكَ .

(2) وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بنُور العلْمِ وَعَيْنِ اليَقينَ وَهُوَ نُورٌ إلهِىٌ تَنْكَشفُ به عَدَميَّةُ غَيْر الله تَعَالَى إذْ وُجُودُهَا منْهُ ، وَثَمَرتُهُ أنَّه لا يَبْقَى فِى نَظَرِكَ مَا تَسْتَنِدُ إليْه وَلاَ مَا تَستَأنسُ به فَيَتمُّ لكَ التَّوكُّلُ وَالتَّفْويضُ وَالرِّضَا وَالاستْسلامُ .

(3) وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بنُور الحَقِّ وَحَقِّ اليَقين ، وَهُوَ نُورٌ إلهىٌ تَنْكَشفُ به الذَّاتُ المقَدَّسَةُ وَثَمرتُهُ الفَنَاءُ الكَاملُ الذى هُوَ دهْليزُ البَقَاء فَيفْنَى عَنْ فَنَائه وَعَدَمه اسْتهلاكاً فى وُجُود سَيِّده وَنَاهيكَ بما يَحصُلَ لَهُ حينئذ منَ المواهب وَالأسْرَار الإلهيّة فَإذَا تَرَقَّى حَلَّ فى مَقَامِ البَقَاء قَالَ صَاحبُ العَوَارِف : وَالبَاقى فى مَقَامٍ لا يَحْجُبُه الحَقُّ عَنِ الخَلق ، وَلا الخَلقُ عَنِ الحَقِّ وَالفَانى مَحْجُوبٌ بالحقِّ عَنِ الخَلق . وَقُلْتُ :

يَرَى قُرْبَ مَوْلاَنا شُعَاعُ بَصيرَةَ وَعَيْنٌ لَهَا تُبْدى انعدامَ سِوَاهُ
وَحَقٌّ لَهاَ تَبْدو به الذَّاتُ وَحْدَهَا وَمَنْ يَرْتَقى عَنهُ يَجُوزُ بَقَاهُ

(130) ـ(1) أىْ طَلَبُكَ أيُّهَا المريدُ منَ الله أنْ يَرْزُقَك أوْ أن يُوَسِّعَ عَلَيكَ ـ اتِّهَامٌ لَهُ أنْ لا يَرزُقَكَ بغَير طَلَب إذْ لو وَثقتَ بهَذَا مَا طَلَبْتَ .

(2) بأنْ تَطلُبَ قُرْبَكَ منْهُ وَزَوَالَ الحجَابِ عَنْكَ حَتَّى تُشَاهدَهُ تَعَالَى بعَينِ قَلْبكَ غَيْبَةٌ منكَ عَنْهُ إذِ الحَاضرُ لا يُطلَبُ .

حَيَائِكَ(1) مِنهُ ، وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ لِوُجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ(2) .

« حرف العين »

(131) عَلِمَ مِنْكَ أَنَّكَ لاَ تَصبرُ عَنْهُ(1) ، فَأَشْهَدَكَ مَا بَرَزَ مِنْهُ(2)

(132) عِنَايَتُهُ فِيكَ لا لِشَيءٍ مِنْكَ(1) وَأَيْنَ كُنْتَ(2) حِينَ وَاجَهَتْكَ عِنَايَتُهُ ، وَقَابَلَتْكَ رِعَايَتُهُ(3) ، لَمْ يَكُنْ فِي أَزَلِهِ إِخْلاصُ أَعْمَالٍ وَلا وُجُودُ أَحْوَالٍ(4) ، بَلْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلاَّ مَحضُ الإِفْضَالِ ، وَعَظِيمُ النَّوَالِ(5) .

---

(130) ـ (1) وَطَلَبُكَ لِغَيرِهِ مِنْ أُمُورِ الدّنيَا وَالآخرَةِ وَالمُكَاشَفَاتِ وَالكَرامَاتِ وَالأَحْوَالِ وَالمقَامَاتِ لِقلّةِ حَيائكَ مِنْهُ لأَنَّ مَن استَحَيَا مِنْهُ لا يَطلُبُ سِوَاهُ .

(2) وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِه بأَنْ تَوَجَّهْتَ إِلىَ بَعْضِ النَّاس تَطلب مِنهُ شَيْئاً غَافِلاً عَنْ رَبِّكَ حَالَ طَلبكَ مِنْهُ ـ لِوُجُود بُعْدِكَ عَنْهُ إِذْ لَو شَاهَدْتَ قُرْبَهُ مِنْكَ لاستَغْنَيْتَ عَنْ خَلقهِ وَالحَاصِلُ أَنَّ الطَّلَبَ كُلَّه مِنَ المرِيد ـ مَعْلُولٌ سَوَاءٌ تَعَلَّقَ بالحَقِّ أو الخلق إلا مَا كَانَ عَلَى وَجْه التَّعبُّد وَالتأدُّب وَإظهَار الفَاقَة أمَّا العَارِفُونَ فَلا يَرونَ غَيْرَ الله فَطَلَبُهُمْ لَيْسَ مِنَ المخلُوق فِي الحقيقة وَإِنْ كَانَ مِنْهُ بحَسَبِ الظَّاهِر وَقُلْتُ :

إِذَا تَرْجُوهُ كُنتَ أَخَا اتِّهَامٍ ... وَإِنْ تَطلبْهُ كُنتَ أَخَا غيَابِ
وَإِنْ تَطلُبْ سِوَاهُ فَلا حَيَاءٌ ... وَإِنْ رَجَيّتَهُ فَأَخُو غيَابِ

(131) ـ (1) أي عَنْ مُشَاهَدَتِكَ لَه كَمَا هُوَ شَأنُ المحبِّ .

(2) مِنَ الآثَار وَالأكوَان لتَرَاهُ فِيهَا بعَيْن بَصيرَتكَ ، وذَلكَ مِنْ عنَايته بكَ إذْ لم يَحْجُبْ بَصيرَتَكَ عَنْهُ فِي الدنّيا كَمَا حَجَبَ بَصَرَكَ . وَقُلْتُ :

عَلِمَ اللهُ فَقْدَ صَبْرِكَ عَنْهُ ... فَأَرَاكَ الذي تَكَوَّنَ مِنْهُ
وَمَا أَبْدَى لكَ الآثَارَ إلاَّ ... لتَشْهَدَهُ وَتَشْكُرَهُ عَلَيْهَا

(132) ـ (1) أيْ تَعَلُّقُ إِرَادته سُبْحَانَهُ أَزَلاً بإعْطَائكَ لَم تَكُنْ لِسَبَب مِنْكَ يَقْتَضِي ذَلكَ

(2) أيْ كُنْتَ مَعْدُوماً فِي الأَزَل وَيلزَمُ مِنْ عَدَمكَ عَدَمُ مَا يَصْدُرُ مِنْكَ .

(3) الجملتَان مَعْنَاهُمَا مُتَّحدٌ .

(4) مَعْنَاه كَالجملة التي قَبْلَهَا .

(5) المحضُ : الخَالصُ وَالنَوالُ : العَطَاءُ . والحَاصلُ أنَّ الدُّعَاءَ لَيْسَ سَبَباً مُؤثراً فِي المطْلوب=

(133) عَلمَ أنَّ العبَاد يَتشوَّفُونَ (1) إلى ظُهُور سرِّ العنَايَة فَقَالَ : يَختَصُّ برَحْمته مَنْ يَشَاءُ وَعَلمَ أنَّهَ لَوْ خَلَّاهُمْ وذَلك(2) لَتَركُوا العَمَلَ اعتمَاداً عَلَى الأزَل . فقَالَ : إنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ منَ المحْسنينَ (3)

(134) عبَاراتُهُمْ إمَّا لفَيضَان وَجْد ، أوْ لقَصْد هدَايَة مُريد (1) فَالأوَّلُ حَالُ السَّالكينَ (2) وَالثانى حَالُ أَرْبَاب المُكنَة وَالمحققينَ (3)

= وَالأعْمَالُ الصَّالحَةُ لَيْسَتْ سَبَباً مُؤثراً فى عَنَايَة الله أىْ دُخُولُ الجنَّة وَالنَّجَاةُ منَ النَّار . وَقُلْتُ :

عنَايَةُ الله منْهُ مَحْضُ إفضَال ... إذ لَم يكُن أزَلاً إخْلاصُ أعْمَال

(133) ـ (1) يَتطلعُونَ وَالسِّر هُوَ الشَّىءُ المغَطَّى لأنَّه مَخْفىٌّ عَنَّا ، وَالعنَايَةُ : هىَ تَعَلُّقُ الإرَادة بحُصُوله فى المسْتَقبل فَلَمَّا علمَ تطَلُّعَنَا إلى حُصُوله فَنَطلُبُهُ بالدُّعَاء وَالأعمَال الصَّالحة وَنَعتَقدُ تأثيرَ ذَلكَ فيه فَقَالَ : يَختصُّ برحْمَته مَنْ يَشَاءُ ، زَجْراً لَنَا لاحتمَال أنَّ سرَّ العنَايَة خَاصٌّ ببَعْض النَّاس .

(2) مَعَ مُلاحَظَة أنَّ العنَايَةَ خاصَّةٌ بالبَعْض .

(3) بالأعْمَال الصَّالحَة فَهىَ عَلامَةٌ عَلَى العنَايَة ، وَإنْ لَم تَكُنْ علَّةً لَها فَلا يَنْبَغى تَرْكُهَا اعتمَاداً عَلَى الأزل وَإنْ لَم تكُنْ مُؤثِّرَةً . وَقُلْتُ :

اللـهُ خَـصَّ برَحْمَـة ... مَنْ شَـاءَهُ منْ خَلْـقه

واللـهُ رَحْمَتُـهُ دَنَتْ ... ممَّـن يَقُـومُ بحَـقّه

(134) ـ (1) عَن العُلُوم وَالمعَارف البَاطنيَّة ، إمَّا لغَلَبة وَجْدهم فَتَخرجُ قَهراً عَنهُمْ أولا يَغْلبُهُمُ الوَجْدُ ، ويَقصدُونَ بهَا هدَايَةَ المريدينَ .

(2) منْ أهْل البدَايَة فَهُمْ مَعْذُورُونَ لغَلَبَة الوَجْد عَلَيْهمْ .

(3) فَيَلزمُهُمْ ذَلكَ لمَا فيه منَ الإرْشَاد فَإنْ عَبَّرَ السَّالكُ منْ غَير غَلَبَة كَانَ فى ذَلكَ نَوعٌ منَ الدَّعْوَى ، وَإنْ عَبَّرَ المتَمكِّنُ منْ غَيْر قَصْد الهدَايَة كَانَ مُفْشياً لسرٍّ لم يُؤذَنْ لَه بإفشَائه ، وَأيضاً=

(135) عَلمَ قَلَّةَ نُهُوضِ العباد إلىَ مُعَامَلَته (1) ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ وُجُودَ طَاعَته(2) ، فَسَاقَهُمْ إِلَيْهَا بِسَلاسِلِ الإِيجَابِ (3) عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُسَاقُونَ إلىَ الجَنَّة بالسَّلاسِلِ .

(136) عَلمَ أَنَّكَ لا تَقْبَلُ النُّصْحَ المجَّردَ (1) فَذَوَّقَكَ مِنْ ذَوَاقها (2) مَا يُسَهِّلُ عَلَيْكَ وُجُودَ فِرَاقها(3) .

= فَحَالُهُ يَقْتَضِى الصَّمْتَ لأَنَّه فِى حَضْرَةِ الحَقِّ يَتَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِه مِنْ عَجَائِبِ الفُهُومِ ، وَغَرائب العُلُومِ وَقُلْتُ :

السَّالكُونَ لفَيْضِ وَجْد عَبَّرُوا   وَالوَاصِلُونَ لِيُرشدُوا مَن أخْبَرُوا

(135) ـ (1) لضَعْفِهِمْ وكَسَلِهِمْ .

(2) ألزَمَهُمْ بهَا وَخَوَّفَهُمْ بالنَّار عَلَى تَرْكِهَا .

(3) أى الإيجَاب الشَّبيه بالسَّلاسلِ التى يُجَرُّبهَا الأسيرُ قَهْراً فكَذَلكَ الإيجابُ يَسُوقُهُمْ اللهُ به إلىَ الطَّاعَة قَهْراً ليَفُوزُوا بمَا يَسُرُّهُم كمَا يفعَلُ الولىُّ بالصَّبى يَضْربُهُ عَلَى استرْسَاله عَلَى مُقْتَضَى طَبعه ، ويُلزمُهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْه حَتَّى إذَا كَبر عَلم أنَّهَا مَنْفَعَتُهُ .

(4) عَجبَ رَبُّكَ ؟ إمَّا أنْ تَقُولَ إنَّ لله عَجَباً نُفوضُ حَقيقَتُه إليْه أوْ نَقُولَ إنَّ التَّعَجُّبَ المنْسُوبَ إلى الله مَعْنَاهُ إظْهَارُ عَجَب هَذَا الأمْر لخَلقه لأنَّ الجَنَّةَ شَأنُها المبَادرَةُ إليْهَا ، وَهَؤلاء امْتَنَعُوا حَتَّى قيدُوا إليْهَا ، وَهَذَا فى حَقِّ العَامَّة ، أمَّا الخَاصَّةُ فَلا حَاجَةَ إلىَ إلزَامهمْ وتَخْويفهمْ لأنَّ اللهَ شَرَحَ صُدُورَهُمْ وَنَوَّر بَصَائِرَهُمْ فَهُمْ مُلازمُونَ لطَاعَته بَلْ لَو أكْرهُوا عَلَى تَرْكهَا لَم يَصْبرُوا عَنْهَا وَقُلْتُ :

وَمَا أوْجَبَ الطَّاعَات إلاَّ لعلمه   بقلَّة قَوْم يَنْهَضُونَ إليْهَا

(136) ـ(1) عَنِ الأمْرَاضِ وَالبَلاَيَا وَالمحَنِ لأنَّ النُّصْحَ المجرَّدَ لا يَقْبَلُهُ إلاَّ مَنْ لَم يَسْتَحكمْ فيه حُبُّ العَاجلَة وَالأنسُ بلذَّاتها الفَاتنة .

(2) أى ممَّا شَأنُهُ أنْ يَذَاقَ فيهَا منَ الأمْراضِ وَالمحنِ .

(3) فَإنَّ العَبْدَ إذَا نَزَلَ بِه شَىءٌ مِنْ ذَلكَ يَتَمَنَّى الموْتَ فَهُوَ نعْمَةٌ منَ الله عَلَيْه وَإنْ لَم يَعْرفْ ذَلكَ=

« حرف الغين »

(137) غَيِّبْ نَظَرَ الخَلْقِ إلَيْكَ . بِنَظَرِ اللهِ إلَيْكَ ، وَغبْ عَنْ إقبَالِهِمْ عَلَيْكَ بِشُهُودِ إقْبَالِهِ عَلَيْكَ[1] .

= لِغَلَبَةِ طبْعِه علَيه ، وللمُصَنِّف فِى هَذَا المعْنَى : مَنْ لم يُقْبِلْ عَلَى اللهِ بِمُلاطَفَاتِ الإحْسَانِ قِيدَ إلَيْهِ بِسَلاسِلِ الامْتحَانِ . وَقُلْتُ :

وكَم يَنْصَحْكَ بالأرْزَاء إلاَّ لتَرْحَلَ رَاغِباً عَنْهَا إليَه

(137) ـ (1) لاَ تُخْطرْ نَظَرَهَمْ ببَالكَ بَل اجْعَلهُ غَائباً عَنْكَ ، وَلا يكُنِ التفَاتُكَ إلاَّ لِنَظَرِ اللهِ إلَيْكَ وَلا تَلْتَفتْ إلى إقْبَالهِمْ عَلَيْكَ بَلْ إلىَ إقْبَال رَبِّكَ اجْعَلْ كُلَّ التفَاتكَ ، فَإقْبَالُ الخَلقِ عَلَى المريد قَبْل كَمَاله بَلاءٌ عَلَيْه لأنَّه يَتصَنَّعُ لَهُمْ ويُدَاهنُهُمْ وَذَلك يَحُطُّ مَنْزلتَهُ عنْد ربِّه ، فَلاَ يَرْضَى بإقْبَالهِمْ إلاَّ قَاصرُ الهمَّة دَنِىء النَّفْسِ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّادقُ هُوَ الذى لا يُبَالى لَوْ خَرَجَ كُلُّ قَدْر لَهُ منْ قُلُوب الخَلق منْ أجْلِ صَلاحِ قَلْبه ، وَلا يُحبُّ أنْ يَطَّلعَ النَّاسُ عَلَى مثْقَال ذَرّة منْ صَلاحِ عَمَله ، وَلا يكْرَهُ أنْ يَطَّلعُوا عَلَى السَّيِّء منْ عَمله فَإنَّ كَرَاهتَهُ لذَلكَ دَليلٌ عَلَى أنَّهُ يُحبُّ الزِّيَادَةَ عنْدَهُمْ وَلَيْسَ هَذَا منْ أخْلاق الصَّادقينَ . وَقَالَ محمدُ بْنُ أسْلَم رضي الله عنه :

مَالى ولَهَذَا الخَلق كُنْتُ فى صُلْب أبى وَحْدى . ثُمَّ صرتُ فى بَطن أمِّى وَحْدى ويَأتينى مُنْكَرٌ ونَكيرٌ فَيسألانى وَحْدى ، فَإنْ صرْتُ إلىَ خَيْر صرتُ وَحْدى وَإنْ صرْتُ إلىَ شَرٍّ صرْتُ وَحْدى ثُمَّ أوقَفُ بَيْنَ يَدَىَ الله وَحدى . ثُمَّ يوضَعُ عَمَلى وَذُنُوبى فى ميزانى وحَدى فَإن بُعثْتُ إلى الجنة بُعثْتُ وَحَدىَ ، وإنْ بُعثْتُ إلى النَّار بعثت وَحْدى فَمَالى وللنَّاس ؟ وَقُلتُ :

عَينَ الأنَام أغب بِعَين البَارى وَاشْهَدْهُ فى الإقْبَال وَالإدْبَار

وَقُلتُ :

فَغبْ عَنْ عَينِ مَخْلوقِ بِعَيْنِ اللهِ مَنْ خَلَقَا
وَعَنْ إقْبَالِ مَرْزُوقِ بإقْبَالِ الَّذى رَزَقَا

« حرف الفاء »

(138) فَاقَتُكَ لَكَ ذَاتِيَّةٌ[1]، وَوُرُودُ الأَسْبَابِ مُذَكِّرَاتٌ لَكَ بِمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنْهَا وَالفَاقَةُ الذَّاتِيَّةُ لاَ تَرْفَعُهَا العَوَارِضُ[2].

(139) فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنَ الأَغْيَارِ[1] يَمْلأْهُ بِالمعَارِفِ وَالأَسْرَارِ.

« حرف القاف »

(140) قَطَعَ السَّائِرِينَ لَهُ، وَالوَاصِلِينَ إِلَيْهِ عَنْ رُؤْيَةِ أَعْمَالِهِمْ[1] وَشُهُودِ

---

(138) ـ(1) اللهُ تَعَالى أنْعَمَ عَلَيْكَ بالإيجَاد أوَّلاً وَبالإمْدَاد ثَانياً. فَأنْتَ في ذَاتكَ عَدَمٌ لَوْلاَهُمَا فَالفَاقَةُ إذنْ ذَاتيَّةٌ لَكَ لاحْتيَاجكَ إلىَ المولَى في وُجُودكَ وفيَ إدامَته عَلَيْكَ، وَقَد تَلْحَقُ بَعْضَ الناس الغَفلَةُ بسبب صحَّة أجْسَامهمْ وكَثْرَة أمْوَالهمْ ـ عَنْ فَاقَتهمْ وَرَبِّهمْ فَيُوردُ عَليهمْ أسْبَابَ الاضْطرار ليُذَكِّرَهُمْ بمَا قَالَ: وَوُرُودُ الأسْبَاب مُذَكِّرَاتٌ لَكَ بمَا خَفيَ عَلَيْكَ منْهَا أيْ أسْبَابُ الفَاقة كَمَرَض وَجُوع وَعَطَش إذَا وَرَدَتْ عَلَيْكَ ذَكَّرَتْكَ بمَا خَفيَ منَ الفَاقَة.

(2) العَوَارضُ كَالغنَى وَالصِّحّة والقُدْرَةُ لا تُزيلُ الفَاقَةَ الذَّاتيَة فَلوَ فُرضَ وَأنَّ هَذه الأشْياءَ طَوْعُ يَدكَ لَجَازَ أنْ يُبَدِّلَهَا اللهُ بضدِّهَا المقْتَضي للافْتقَار وَالاضطرار. وَقُلْتُ:

إذَا نَسيَ الإنسَانُ ذَاتيَّ فَقْره ... تَذَكَّرَ بالأسْبَاب مَا كَانَ نَاسيا

(139) ـ(1) التَّفْريغُ: التَّنْظيفُ، وَالأغْيَارُ جَمْعُ غَيْر وَهَو مَا سوَى الله وَجَمَعَهُ لتَعدُّد أنْواعه وَالمَعَارفُ جَمْعُ مَعْرفَة وَالأسْرَارُ جَمْعُ سرٍّ، وَعَطْفُ الأسْرَار عَلَى المعَارف عَطْفُ تَفْسير وَالمعنَى: فَرِّغْ قَلبَكَ مِمَّا سوَى الله عُلْويّاً أو سُفْليًا دُنيوياً أوْ أخرَويًا حسِّيًا أو مَعْنوياً كَحُبِّ الخُصُوصيَّة وَغَيْرها يملأْهُ اللهُ بالأنْوَار، وَالمعَارف وَالأسْرَار. وَقُلْتُ:

وَمَنْ يُفَرِّغْ قَلْبَهُ منْ غَيْره ... أفعَمَهُ منْ علْمه وَسرِّه

(140) ـ(1) الظَّاهريَّة.

أحْوَالهم(1) أمَّا السَّائرونَ فَلأنَّهُمْ لَم يَتَحَقَّقُوا الصِّدْقَ مَعَ الله فيهَا(2) وَأمَّا الوَاصلُونَ فَلأنَّهُ غَيَّبَهُمْ بِشُهُودِه(3) عَنْهَا .

(141) قَوْمٌ أقَامَهُمُ الحَقُّ لِخدْمَته(1) وَقَوْمٌ اخْتَصَّهُمْ بِمَحَبَّته(2) . كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً(3) .

(142) قَلَّمَا تَكُونُ الوَارِدَاتُ الإلهيَّةُ إلاَّ بَغْتَةً(1) لِئَلاَّ يَدَّعيهَا العُبَّادُ بِوُجُود الاسْتعدَاد(2) .

---

(140) ـ (1) القَلبيَّة .

(2) وَذَلكَ لرُؤيَتهمْ نَقْصَهَا بعَدَمِ حُضُورِ قُلُوبِهِمْ مَعَ الله فيهَا فَهُمْ دَائماً مُتَّهِمُونَ أنْفُسَهُمْ بتَقْصيرهَا فَكَانَ ذَلكَ مَانعاً لهمْ منْ شُهُودهَا .

(3) أىْ أنَّهُمْ نَسَبُوهَا إليْه لغَيبتهم عَنْهَا به وَقُلْتُ :

السَّائرُونَ لَهُ لَمْ يَشْهَدُوا عَمَلاً ... لأنَّهُمْ مَا اسْتَبَانُوا صِدْقَهُمْ فيه

وَالشَّاهدُونَ لَهُ عَنْ فعلهمْ أخذُوا ... وَهُمْ بمَنْ شَهدُوا فى غَايَة التِّيه

(141) ـ (1) اخْتَارَهُمْ لطَاعَته الظَّاهريَّة حَتى صَلُحُوا لجنَّته ، وَهُمُ الزَّاهدُونَ وَالعَابدُونَ .

(2) حَتى صَلُحُوا لقُرْبه وَحَضْرَته ، وَهُمْ المحبُّونَ وَالعَارفُونَ وَالكُلُّ مُشْتَركُونَ فى الانْتسَاب إليْه وَخدمَته لكنَّ خدْمَةَ الأوَّلينَ أكثَرُهَا بالجَوَارح ، وَالآخرينَ أكثَرُهَا بالقَلْب .

(3) ممْنُوعاً فَإذَا شَهدَ العَبْدُ انْفرادَ الله بهذه الإقَامة مَنَعَهُ منَ احتقَار غَيْره قَالَ أبُو يَزيدَ رَضىَ اللهُ عَنه اطَّلَعَ اللهُ على قُلوبِ أوليَائه فَمنْهُمْ مَنْ لَم يكُنْ يَصْلُحُ لحمْلِ المعْرفَة صرْفاً فَشَغَلَهُمْ بالعبَادَة وَقُلْتُ :

قَوْمٌ لخدمَته ، قَوْمٌ لحَضرَته ... وَذَا وَذَاكَ منَ الرَّحْمَن مَمْدُودُ

(142) ـ (1) أىْ قَلَّ حُصُولُ المعَارف الإلهيَة وَالأسْرَار الربَّانيَّة غَيْرَ فَجاة دُونَ تَرَقُّب .

(2) بأوْرَادهمْ وَعبَادَاتهمْ . وَالحَاصلُ أنَّ الوَاردَات منَحٌ ربَّانيَّةٌ فَلا تَحْصُلُ عقبَ العبَادَات=

(143) قَيَّدَ الطَاعَات بأعْيَان الأوقَات ، كَيْ لا يَمْنَعَكَ عَنْهَا وُجُودُ التَّسْوِيف[1] وَوَسَّعَ عَلَيْكَ الوَقْتَ كَيْ تَبْقَى لَكَ حِصَّةُ الاخْتِيَار[2] .

(144) قُرْبُكَ منهُ أنْ تَكُونَ مُشَاهِداً لقُرْبه[1] ، وإلاَّ فَأيْنَ أنْتَ وَوُجُودُ قُرْبه[2] ؟

(145) قَومٌ تَسْبقُ أنْوَارُهُمْ أذْكَارَهُمْ[1] وقَومٌ تَسْبقُ أذْكَارُهُمْ أنْوَارَهُمْ[2] وقَوْمٌ تَتَسَاوَى أذْكَارُهُمْ وأنْوَارُهُمْ . وقَوْمٌ لا أذْكَار وَلا أنْوَار نَعُوذُ بالله منَ ذَلكَ .

= الصَّادقَة وبفوْرهَا بَل تَحصُلُ بَغْتَةً بَعْدَ ذَلكَ وَحُصُولُهَا عقبَ العبَادَات نَادرٌ . وَقُلْتُ :

مَا كَانَ وَاردُهُ إلَيْكَ مُفَاجئاً إلاَّ ليَقْطَعَ دَعْوَةَ اسْتعْدَادكَا

(143) ـ(1) أيْ قَيَّدَ اللهُ الطَّاعَات الوَاجبَةَ كَالصَّلَوَات الخَمس بأوقَات مَعَيَّنَة لأنَّهُ لَوْ أطلَقَ ولَم يُعَيِّنْهَا لحَمَلكَ التَّسْوِيفُ عَلَى تَرْكهَا إذْ كُنْتَ تَكسَلُ عَنْهَا وتَقُولُ أصَلِّى إذَا فَرَغتُ منْ حَاجَتى لاتِّسَاع وَقْتهَا وقَدْ يَمضى يَوْمُك ولَمْ تَفعَلْهَا بخلاف تَقْييدهَا فإنَّهُ يُلجئكَ إلَى تَحْصيلهَا .

(2) فَتَفعَلَهَا أوَّلَ الوَقْت أوْ وَسَطه أوْ آخرَهُ وقُلْتُ :

بالوَقْت قَيَّدَ طَاعَات وَوَسَّعَهُ حَتَّى تَجيءَ بهَا جذْلانَ مُخْتَارا

(144) قُرْباً مَعْنَوياً فَتَسْتَفيدَ بهَذه المشَاهَدَة شدَّةَ المرَاقبَة فى التَّأَدُّب بآداب الحَضْرَة ، وإلا تَقُلْ إنَّ القُرْبَ المعْنَوىَّ هُوَ المرَادُ بأنْ أريدَ القُرْبُ الحسّىُّ فَأيْنَ أنْتَ وَوُجُودُ قُربه وقُلْتُ :

وَمَا قُربُهُ إلاَّ شُهُودُ اقْترابه وَإلاَّ فَمَا أنْأى كَريم جَنَابه

(145) ـ(1) هُمْ المجْذُوبُونَ المرَادُونَ لمُوَاجَهَتهمْ الأنْوارَ سَهُلَتْ عَليهمُ الأذْكَارُ .

(2) هُمُ السَّالكُونَ لأنَّ شَأنَهُمْ المجَاهَدَةُ فى الأذْكَار لتَحْصيل الأنْوَار . فَالأوَّلُونَ وَصَلُوا بكَرَامته إلَى طَاعَته ﴿ يختَصُ برحْمَته من يشَاءُ ﴾ ، وَالآخَرُونَ وَصَلُوا بطَاعَته إلَى كَرَامَته ﴿وَالَّذين جَاهَدُوا فينا لَنَهْدينَّهُم سُبُلَنَا ﴾ وَقُلْتُ :

لبَعْض القَوْم نُورٌ قَبْلَ ذكْر وبَعْضٌ نُورُهُ منْ بَعْد ذكْر =

« حرف الكاف »

(146) كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبٌ صُوَرُ الأَكْوَانِ(1) مُنْطبعَةٌ فى مرآته(2) أمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إلىَ الله وَهُوَ مُكَبَّلٌ بشَهَوَاته(3) أمْ كَيْفَ يَطمَعُ أنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ الله(4)، وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ منْ جَنَابة غَفَلاته(5). أمْ كَيْفَ يَرْجُو أنْ يَفْهَم دَقَائِقَ الأسْرَارِ(6) وَهُوَ لَم يَتُبْ مِنْ هَفَوَاته (7).

= وبَعْضٌ يَسْتَوِى ذكْرٌ وَنُورٌ — لَدَيْهِ وَذَاكَ أحْظَاهُمْ بذكْرِ
وبَعْضٌ مَالَهُ هَذَا وَلا ذَا — نَعُوذُ بربّنَا مِنْ كُلِّ شَرِّ

أحْظَاهُمْ بذكْرِ : أوْلاهُمْ بِشَرَفِ

(146)ـ(1) المُكَوّنَات .

(2) باعْتقَاده أنَّها تَضُرُّ وتَنْفَعُ . ووَجْهُ العَجَب أنَّ إشْرَاقَ القَلب بنُور الإيمَان وَاليَقين مُضَادٌّ للظُّلمَةَ التى استَولتْ منَ الأغْيَار وَالأكْوَان وَاعْتمَاده عَليهَا ، فَالجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُحَالٌ .

(3) مُقَيَّدٌ بهَا وَالمسيرُ إلى الله تَعَالَى بِقَطْعِ عَقَبَاتِ النَّفْسِ مُضَادٌ للاعْتقَال فى حَبْسِ الهَوَى وَالشَّهوَات .

(4) بأنْ يُشَاهدَهُ .

(5) منْ غَفَلاته الشَّبيهَة بالجَنَابَة فكَمَا يُمْنَعُ الجُنُبُ منْ دُخُول المسْجد كَذلكَ يُمنَعُ الغَافلُ قَلبُهُ منْ مَشَاهَدَةِ الرَّبِّ لأنَّ دُخُولَ حَضْرَةِ الرَّبِّ المقْتَضيَة لطَهَارَةِ القَلْبِ وَنَزَاهَته . مُضَادٌ لمَا هُوَ عَلَيْه منْ جَنَابَة الغَفَلات المقتَضيَة الإبْعَادَ .

(6) العُلُومَ الدَّقيقَةَ الوَارِدَةَ عَلَى قُلُوب العَارفينَ .

(7) وَهىَ مَا يَصْدُرُ منْهُ مَنَ المعَاصى لاَ عَنْ قَصْد ووَجْهُ العَجَب أنَّ فَهْمَ دَقَائق الأسْرار المسْتَفَادَة منَ التَّقوَى مُضَادٌ للإصْرَار عَلَى المعَاصى وَالشَّهَوَات وَإليْه الإشَارَةُ بقَوله تَعَالَى : وَاتَّقُوا اللهَ . وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ « تنبيه » كُلُّ وَاحد منْ هَذه الأربَعة سَبَبٌ فيمَا بَعْدَهُ فَانطبَاعُ صُوَر الأكْوَان فى مرآة القَلب سَبَبٌ فى تَكبُّله بالشَّهَوَات . وَالتَّكَبُّلُ بهَا سَبَبٌ فى الغَفْلَة ، وَهىَ السَّبَبُ فى الهَفْوَة والهَفْوَةُ سَبَبٌ فى عَمَى القَلْب وَقُلْتُ : =

(147) كَيْفَ يُتَصَوَرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ ، وَهُوَ الذى أظْهَرَ كُلَّ شَىء[1] كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ بكُلِّ شَىء[2] . كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ فى كُلِّ شَىء[3] كَيْفَ يُتَصَورَ أنْ يَّحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الذى ظَهَرَ لكُلِّ شَىء[4] كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الظَّاهرُ قَبْلَ وَجُود كُلِّ شَىء[5] كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ أظهرُ منْ كُلِّ شَىء[6] كَيْفُ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَهُوَ الوَاحدُ الذى لَيْسَ مَعَهُ شَىءٌ[7] كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ ، وَهُوَ أقْرَبُ إلَيْكَ منْ كُلِّ شَىء[8] كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أنْ يَحْجُبَهُ شَىءٌ وَلَوْلاهُ مَا كَانَ وَجُودُ كُلِّ شَىء[9] يَاعَجَباً كَيْفَ

= أيُشْرقُ قَلْبٌ صورَةُ الكَون غَرْسُهُ — أيَسْرى إلىَ المولَى وَبالقَيْد كُبِّلاَ
وكَيْفَ يُرَجِّى حَضْرَةَ لا يَحلُّهَا — سوَى مَنْ غَدَا عَنْ غَيْرهَا مُتَحَلِّلا
وَمنْ أيْنَ يَرْجُو فَهْمَ مَا دَقَّ فَهْمُهُ — وَعَنْ هَفَوَات جَاءَهَا مَا تَحَوَّلا

(147) هَذَا الفَصلُ يَحْتَوى عَلَى عدَّة أدلَّة عَلَى أنَّ اللهَ لا تَحْجُبُهُ الأكْوَانُ وَإنَّمَا الاحتجَابُ بهَا للعَوَامِّ .

(1) بمَا أظْهرَ عَلَيْه منْ نُور الوُجُود ، وَقَدْ كَانَ فى ظُلْمَة العَدَمِ .

(2) وكَذَا استُدلَّ عَلَيْه بالأشْيَاء .

(3) بذَاته عَنْدَ المشَاهدينَ ، وَبأسْمَائه وَصفَاته عند المحْجُوبينَ فَالأشْيَاءُ كُلُّهَا مَظَاهر لمَعَانى أسْمَائه الَتى هىَ تَفْصيلُ مَعَانى صفَاته فَيَظْهَرُ فى أهْلِ العزَّة كَونُهُ مُعزاً وَفى أهْلِ الذلَّة كَونُهُ مُذلاً وَهكَذَا .

(4) بحَسَبه وكَذَا كَانَ سَاجداً مُسَبِّحاً ولَكنْ لا تَفْقَهُ ذَلكَ .

(5) لتَحقُّق اسْمه الظَّاهر أزَلاً وأبَداً .

(6) لأنَّ الوُجُودَ أظهَرُ منَ العَدَمِ عَلى كُلِّ حَال .

(7) إذ مَا سوَاهُ عَدَمٌ عَلَى التَّحقيق .

(8) لإحَاطته بكَ وَقَيُّوميَّته عَلَيكَ .

(9) حَتَّى اسْتَدَلَّ به الشَّاهدُونَ عَلَى الأشْيَاء .

يَظْهَرُ الوُجُودُ فِى العَدَمِ(1) أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ القِدَمِ(2) .

(148) كَيْفَ يَحْتَجِبُ الحَقُّ (1) بِشَىْءٍ وَالذى يَحْتَجِبُ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ .

(149) كَانَ اللهُ ، وَلاشَىءَ مَعَهُ(1) وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيهِ كَانَ(2) .

(150) كَفَى مِنْ جَزَائِهِ عَلَى الطَّاعَةِ ـ أَنْ رَضِيَكَ لَهَا أَهْلاً(1) .

---

(147) ـ (1) لأنَّ العَدَمَ ظُلْمَةٌ وَالوُجُودَ نُورٌ . وَهُمَا ضِدَّان .

(2) لأنَّ الحَادِثَ بَاطِلٌ وَاللهُ حَقٌّ وَالبَاطِلُ لاَ يَثْبُتُ مَعَ ظُهُورِ الحَقّ، وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ وَالتَّعَجُّبُ المَذْكُورُ نَاشِئٌ مِنْ غَلَبَةِ الشُّهُودِ لأَنَّه إِذَا قَوِىَ عَلَى العَبْدِ ذَهَبَتِ الأكْوَانُ مِنْ نَظَرِهِ وَقُلْتُ:

تَا للَّــــه لا يُتَصَـــــوَّرُ حَجْبُ الذى هُوَ ظَــاهِرُ
فِى كُــلِّ مَــا هُــوَ مُظْـهِرُ بَلْ فِيــه مِنْـــهُ أَظْهَــــرُ

(148) ـ (1) بَعِيدٌ أَنْ يَحْتَجِبَ اللهُ بِشَىءٍ مِنَ المَوجُودَاتِ وَالحَالُ أَنَّ الشَّىءَ الَّذى يَحتجِبُ به هُوَ أى الله ظَاهِرٌ فيهِ ، تُشَاهِدُهُ أَرْبَابُ البَصَائِرِ . فَكَيْفَ يَكُونُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ فيه حِجَاباً لَهُ . يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَقُلْتُ :

أَيَحجُبُ الحَقّ شىءٌ فيه قَدْ ظَهَراً كَلاَّ ، وَمَنْ أَظْهَرَ الأشْيَاءَ وَاقْتَدَرا

(149) ـ (1) هَذَا مَشْهَدُ أَرْبَابِ الفَنَاءِ الذِّينَ لا يَشْهَدُونَ غَيْرَ رَبِّهِمْ .

(2) أىْ هذه صِفَةُ الله فِى الوَاقِعِ ، وَقَبْلَ إِدْرَاكِ أَرْبَابِ الفَنَاءِ هَذِهِ الصِّفَةَ لكِنْ عَدَمُ إِدْرَاكِهِمْ لَهَا لِحجَابِهِمْ وَقُلْتُ :

اللهُ كَــانَ وَلا شَــىءٌ يُرَى مَعَهُ وَإِنّــه لَعَــلَى مَا كَــانَهُ الآنَــا

(150) ـ (1) لأنَّكَ عَبْدٌ حَقِيرٌ لا تَستَحِقُّ خِدْمَةَ الملك الكَبِير فَاستِخْدَامُهُ لكَ مِنَّةٌ عَلَيْكَ وَقُلْتُ :

كَفَاكَ يَا مَنْ خَدَمْتَ اللهَ رُؤْيتُهُ إِيَّاكَ أَهْــلاً لِتَشريفِ بِخدمَتِه

(151) كَفَى العَاملينَ جَزَاءً مَا هُوَ فَاتِحُهُ عَلَيْهِمْ فِى طَاعَتِهِ . وَمَا هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ وُجُودِ مُؤَانَسَتِهِ[1]

(152) كُنْ بِأَوصَافِ رُبُوبِيَّتِهِ مُتَعَلِّقاً [1] وَبِأَوصَافِ عُبُودِيَّتِكَ مُتَحَقِّقاً[2]

(153) كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ العَوَائِدُ[1] وَأَنْتَ لَمْ تَخْرِقْ مِنْ نَفْسِكَ العَوَائِدَ[2]

(154) كَيْفَ يَكُونُ طَلَبُكَ اللاَّحِقُ[1] سَبَباً فِى عَطَائِهِ السَّابِقِ[2]

---

(151) ـ(1) منَ المَواهِبِ الإلهيَّةِ ، وَالإلهَامَاتِ اللَّدُنِّيَّةِ ، وَحَلاوَةُ التَّملُّقِ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لَيس فِى الدنيَا وَقْتٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ أَهْلِ الجَنَّةِ إلاَّ مَا يَجِدُهُ أَهْلُ التَّملُّقِ فِى قُلُوبِهِمِ مِنْ حَلاوةِ المُنَاجَاةِ وَقُلْتُ :

حَسْبُ المطيعِ جَزَاءً أُنسُ مَوْلاهُ ... وَمَا يُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ عَطَايَاهُ

(152) ـ(1) مُلاحظاً أنَّهَا له فَلا يَصِحُّ أنْ تَتَّصِفَ بِشَىءٍ مِنْهَا .

(2) مُلاحظاً أنَّهَا صِفَتُكَ فَلا يَنْبَغى أنْ تَنفَكَّ عَنْهَا فَإذَا لاحَظْتَ أنَّ الغنىَ وَالعزَّ وَالقُوَّةَ لَهُ تَعَالَى وَأنَّ الفَقْرَ وَالذُّلَّ وَالضَّعْفَ لكَ أَمَدَّكَ اللهُ بِأَوْصَافِهِ فَكُنْتَ غَنياً بِهِ وَعَزِيزاً بِهِ وَهَكَذا . وَقُلْتُ :

تَعَلَّقْ بِأَوْصَافِ الإلهِ وَلازِمَنْ ... صِفَاتِكَ تُمْدَدْ مِنْ كَرِيمِ صِفَاتِهِ

(153) ـ (1) بِأَنْ تَظْهَرَ عَلَى يَدِكَ كَرَامَةٌ كَطَىِّ الأَرْضِ .

(2) أىْ مَا اعتَدْتَهُ مِنَ الكِبْرِ وَالعُجْبِ فَخَرْقُ العَوائِدِ لِمَنْ خَرَقَ مِنْ نَفْسِهِ العَوَائِدَ . وَفَنِىَ عَنْ حُظُوظِهِ ، وَقَدْ تَلْتَبِسُ الكَرَامَةُ بِالاستِدْرَاجِ وَالمكرِ فَالوَاجِبُ أنْ لا تَلْتَفِتَ إلَيْهَا بَلْ إلى الاسْتِقَامَةِ فَهِىَ الكَرَامَةُ . وَقُلْتُ :

أَتُخْرَقُ عَادَةُ الأكْوَانِ إلاَّ ... لِمَنْ مِنْ نَفْسِهِ خَرَقَ العَوَائِدْ

(154) ـ(1) الموْجُودُ فيمَا لا يَزَالُ .

(2) الموْجُودُ فى الأزَلِ فَإنَّ الإعطَاءَ وَهُوَ تَعلُّقُ الإرَادَةِ فى الأزلِ تَعلُّقاً تَنجِيزياً قَديماً لا يَكُونُ الطَّلَبُ سَبَباً فيه لتأخُّرِهِ عَنْهُ وَالسَّبَبُ لابُدَّ مِنْ تَقَدُّمِهِ عَلَى المسَببِ وَقُلْتُ :

دُعَاؤكَ لاَحِقٌ وَعَطَاهُ سَابِقْ ... وَكَيْفَ بِلاحِقٍ يَأتِيكَ سَابِقْ

(155) كُلُّ كَلام يبْرُزُ ، وَعَلَيْه كُسْوَةُ القَلْب الذى منْهُ برَزَ[1] .

(156) كَمَا لا يُحبُّ العَمَلَ المشْتَركَ[1] ، كَذَلكَ لا يُحبُّ القَلْبَ المشْتَركَ[2] العَمَل المشْتَركُ لا يَقْبَلُه[3] وَالقَلْبُ المشْتَركُ لا يُقْبلُ عَلَيْه[4]

(157) كَيْفَ تَطْلُبُ العوَض[1] عَلَى عَملٍ[2] هُوَ مُتَصدِّقٌ به عَلَيْكَ أمْ كَيْفَ تَطْلُبُ الجَزَاءَ عَلَى صدْقٍ[3] هُوَ مُهْديه إليْكَ .

---

(155) ـ (1) إذَا كَانَ القَلبُ مَنوَّراً اكْتَسَىَ الكَلامُ نُوراً ، فَلا تَمُجُّهُ الأسْمَاعُ وَلا تُنكرُه القُلُوبُ ، فكسْوَتُهُ ذَلكَ النُّورُ ، فكلامُ المخلص يَبرُزُ مكْسُواً بالأنوَار ، وكَلامُ المتَصنِّع يَبْرُزُ مَكْسُواً بالظُّلمَة فَلا يُنْتَفعُ به أتمَّ انتفَاعٍ ، وقَد يُنْتَفَعُ به منْ جهَةَ مَعْنَاهُ لا منْ جهَة قَائله إنَّ اللهَ لَيُؤيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرَّجُل الفَاجر . وَقُلْتُ :

نَمَّ المقَالُ عَلَى فُؤاد القَائل ... فَخَف الإلهَ وَقُلْ مَقَالَةَ وَاجل
كُلُّ كَلامٍ يَبْرُزُ ... بِثَوبِ قَلْبٍ يُبْرَزُ

(156) ـ (1) وَهُوَ المشُوبُ بالرِّيَاء وَالتَّصنُّع .

(2) وَهُوَ الذى فيه غَيْرُ الله وَالسُّكُون إليه وَالاعتمَاد عَلَيْه .

(3) أىْ لا يُثيبُ عَلَيْه لعَدَم الإخْلاص فيه .

(4) أىْ لا يَرضَى عَنْ صَاحبه وَلا يُثيبُه لعَدَم وُجُود الصِّدْق فيه وَقُلْتُ :

لا يُقْبلُ اللهُ نَحْوَ القَلْب مُشْتَركَاً ... وَلَيس يَقْبلُ فعْلاً فيه قَدْ شُركَا

وَقُلْتُ :

وَحِّدْ فُؤادكَ للمَوْلَى مَعَ العَمَلِ ... يُقْبل عَلَيْكَ وَيَقْبلْ منْكَ وَابْتَهلِ

(157) ـ (1) الجَزَاءَ .

(2) اى إنَّ الجَزَاءَ يُطلَبُ عَلَى عَمَلٍ عَملتَهُ لغَيْركَ فَانْتَفعَ به . وَأعْمَالُكَ الدِّينيةُ مَنْفَعَتُهَا ظَاهراً وَبَاطناً لكَ . عَلَى أنها فى الوَاقع فعْلُ الله نَسَبَهُ ظَاهراً إلَيْكَ فَكَيْفَ تَطلُبُ عَلَيْهَا عوَضاً .

(3) إخْلاص فى العَمَل ، وَعَبَّرَ بالصَّدَقَة فى الأعْمَال الظَّاهرَة وَبالصِّدْق فى الأعْمَال البَاطنَة=

« حرف اللام »

(158) « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ » الواصِلُونَ إليه [1] « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيهِ رِزْقُهُ » السَّائِرُونَ إلَيْهِ[2] .

(159) لِيُخَفِّفْ أَلَمَ البَلاءِ عَنْكَ ، عِلْمُكَ بِأَنَّه سُبْحَانَهُ هُوَ المبتَلى لَكَ[1] فَالذى وَاجَهَتْكَ مِنْهُ الأَقْدَارُ[2] هُوَ الذى عَوَّدَكَ حُسْنَ الاخْتِيَارِ[3]

= إشْعَاراً بتَبَايُنِهمَا فى الشَّرَف كَتَبَايُنِ الصَّدَقَة وَالهديَّة فَإنَّ الأولى يُقْصَدُ بهَا الفُقَرَاءُ وَالثَّانيَةَ الأغْنيَاءُ فَتَدُلُّ عَلَى شَرَف المهْدَى إليْه وَقُلْتُ :

تَصَدَّقَ بالفعَالَ عَلَيْكَ رَبٌّ فَكيفَ تَرُومُ أنْ تُجْزِى عَلَيْهَا
وَأهدَى قَلْبَكَ الإخْلاصَ فَاشْكُرْ هَديَّتَهُ ، وَلا تَنْظُرْ إليْهَا

وَقُلْتُ :

منْهُ الفعَالُ ، وَمنْهُ الصِّدْقُ فى العَمَل فَاعْبُدْهُ بالعلْم وَالإخْلاص وَابْتَهل
وَلا تَرُمْ منْهُ إلاَّ مَا أمرْتَ به وَالعَوْنَ فيه تَنَالُ الخُلْدَ فى جَزَل

(158) ـ (1) إشَارَةٌ إلى حَال الوَاصلينَ إلَيْه تَعَالَى فَإنَّهُمْ لَمَّا أخرجُوا منْ سجْنِ الأغيَار إلى فَضَاء كَمال التوحيد اتَّسَعَتْ مَسَافَةُ نَظَرهمْ وَأفيضَتْ عَلَيهم عُلُومٌ لَدُنيَّةٌ وَأسْرَارٌ فَصَارُوا يُمدُّونَ غَيْرَهُمْ وَيَتَصَرَّفُونَ فى عَوَالمهم البَاطنية كَيْفَ شَاءُوا .

(2) إشَارَةٌ إلى حَال السَّائرينَ إليْه فَهُمْ مَقْدُورٌ عَليهم فى أرْزَاق العُلُوم وَالفُهُوم يُنْفقُونَ منْ رزْقهمُ الضيِّق عَلَى غَيْرهمْ وَيَتَصَرَّفُونَ فى عَوَالمهمْ عَلَى قَدْر رزْقهمْ . وَقُلْتُ :

لِيُنْفقْ كَمَا شَاءَ المَوَاصلُ وَالذّى يَسيرُ عَلَى مقْدَاره يَتَصَرَّفُ

(159) ـ (1) وَأنَّهُ أعْلَمُ بمَصَالحكَ مَنْ نَفْسكَ فَتُسَلِّمَ وَتَصْبرَ .

(2) منَ الأمْرَاض وَذَهَاب المَال وَالوَلَد وَنَحْوهَا .

(3) اخْتيَار الأمْر الحَسَن الذى يُلائمُكَ ، وَانْظُر اخْتيَارَهُ لكَ مُنْذُ وُلدْتَ إلى وَقْتكَ بعَين فكركَ تَجدْ لَهُ عَلَيْكَ منْ النّعَم وَصنُوف الفَضْل وَالكَرَم مَالا يُحْصَى فَإذَا ابْتَلاكَ فَثقْ أنَّه أعْطَاكَ فَقد تَكْرَهُ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، وقد تُحبُّ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكَ وَقُلْتُ : =

(160) لَيْسَ كُلُّ مَنْ ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ (1) كَمُلَ تَخْلِيصُهُ (2)

(161) لَمَّا عَلِمَ الحَقُّ مِنْكَ وُجُودَ المَلَلِ (1) لَوَّنَ (2) لَكَ الطَّاعَات وَعَلِمَ مَا فِيكَ مِنْ وُجُود الشَّرَه (3) فَحَجَرَها (4) عَلَيْكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَات لِيَكُونَ هَمُّكَ إِقَامَةَ الصَّلاة (5) لا وُجُودَ الصَّلاة ، فَمَا كُلُّ مُصَلٍّ مُقِيمٌ .

= وَإِذَا عَلِمْـتَ بِأَنَّـهُ لَكَ مُبْـتَلٍ ... وَهُوَ الحَكِيمُ يَخِفُّ عَنْكَ بَلاؤُهُ

(160) ـ (1) بِإِظْهَارِ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلعَادَةِ عَلَى يَدِهِ كَطَيِّ الأَرْضِ وَالطَّيَرَانِ فِي الهَوَاءِ وَالمَشْيِ عَلَى المَاء .

(2) مِنْ آفَاتِ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَمُخَالَفَاتِهَا فَكَأَنَّه يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ مَنْ خُصَّ بِالكَرَامة تَمَّتْ له الاسْتِقَامَةُ بَلْ قَدْ تَكُونُ مِمَّن لم تَكْمُلِ اسْتِقَامَتُه وَقَدْ تَظْهَرُ عَلَى أَيْدِي المبْتَدِئِينَ ، وَلا تَظْهَر عَلَى أَهْلِ التَّمكِينَ قَالَ الشَّيْخُ أَبو يَزِيدَ : كُنْتُ فِي بِدَايَتِي يُرِينِي الحَقُّ تَعَالَى الآيَات وَالكَرَامَات فَلَم أَلتَفِتْ إِلَيْهَا فَلَمَّا رَآنِي كَذَلِكَ جَعَلَ لِي إِلَى مَعْرِفَتِه سَبِيلاً . وَيُحْكَى أَنَّ بَعْضَ الأَبْدَال قَالَ لِتلميذ مِنْ تَلامِذَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ رضي الله عنه : مَا بَالُنَا لا يَعْتَاصُ عَلَيْنا شَيْءٌ ، وَهُوَ يَعْتَاصُ عَلَيْه أَقَلَّ الأُمُورِ مَعَ أَنَّا نَتَمنَّى مَقَامَهُ ، وَلا يَتَمَنَّى مَقَامَنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ الشَّيْخَ أَبَا مَدْيَنَ فَقَالَ : قُلْ لَهُ : تَرَكْنَا مُرَادَنَا . وَقُلْتُ :

مَا كُـلُّ مَـنْ خَصَّـصهُ ... مِـنْ غَـيْرِه خَلَّصَـهُ

(161) ـ (1) السَّآمَة مِنْ ثِقَلِ العَمَلِ المؤَدِّيَةُ إِلَى تَرْكِه .

(2) نَوَّعَهَا رَحْمةً بِكَ وَتَسْهِيلاً عَلَيكَ فَإِذا سَئِمتَ نَوْعاً انتقلْتَ إِلَى سِوَاهُ ، وَشَأنُ النُّفُوسِ أَنْ لا تَدُومَ عَلَى حَال .

(3) مُجَاوَزَة الحَدِّ فِي التَّسَارُعِ إِلَى العَمَلِ وَالحِرصِ عَلَيْه ، فَيُؤدِّيكَ إِلَى أَنْ لا تأتي به عَلَى وَجْه الكَمَال .

(4) مَنَعَهَا فَإِنَّ الفَرائضَ يَمتَنِع فعلُهَا فِي أَوْقَات الكَرَاهَة وَفِي نُسْخَة : فَحَجَّرَهَا عَلَيكَ فِي الأَوْقَات أَيْ جَعَلَ لِكُلِّ طَاعَة وَقتاً وَلَم يَجْعَلْهَا دَائمةً فِي جَمِيع الأَوقَات لِئَلاَّ يَحصُلَ مِنْكَ شَرَهٌ يَجُرُّكَ إِلَى السُّرْعَة فِي الفِعْلِ فَلا تَأتِي بِهَا كَامِلةً .

(162) لَوْ أَنَّكَ لا تَصلُ إِليْه إلاَّ بَعْدَ فَنَاء مَسَاويكَ[1] وَمَحْو دَعَاويكَ[2] لَم تَصلْ إليْه أَبداً . ولَكنْ إذَا أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلكَ إليْه غَطَّى[3] وَصْفَكَ بِوَصْفه وَنَعْتَكَ بنَعْته فَوَصَّلَكَ إليْه بمَا منْهُ إليْكَ[1] لا بمَا منْكَ إليْهْ .

(163) لَوْلا جَميلُ سَتْره[1] لَم يكُنْ عَمَلٌ أهْلاً للقَبُول[2] .

---

(5) أىْ إنَّمَا لَوَّن الطَّاعَات وَحَجَّرَهَا فى بَعْض الأوْقَات حَتَّى لا تَمَلَّ ليَكُونَ هَمَّكَ إقَامَةُ الصَّلاة لا وُجُودُ الصَّلاة . وَإقَامةُ الصَّلاة المرادةُ هُنَا : حفْظُ حُدُودهَا مَعَ حفْظ السِّرِّ مَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَلا يَخْتَلجُ فيه سوَاهُ وَقُلْتُ :

مَـا نَـــوَّع الطَّـاعَـــات إلاَّ خيــفةً مـــنَ المـــلَلْ
وَحَجْـــرُهَا فـــى بَعْـــض أوْقَـــات لإتْقَـــان العَمَـــلْ

(162) ـ(1) عيُوب نَفْسكَ . وَمنْهَا شَهوةُ الوُصُول إليْه .

(2) نسبَةُ مَا لا تَستَحقُّه إليْكَ كَالعزَّة وَالقُدْرَة ، وَفَنَاءُ ذَلكَ ، وَمَحْوهُ بالرِّيَاضَات وَالمجاهَدَات . أىْ إنْ تَعْتَقدْ أنَّكَ لا تَصلُ إليه إلاَّ بَعْدَ فَنَاء ذَلك بالرِّيَاضَة فَإنَّكَ لَم تَصلْ إليه أبداً ، لأنَّ ذَلكَ منَ الأوْصَاف التى لا يَنْفَكُّ عَنْهَا العَبْدُ لأنَّهَا جبلِّيَّةٌ وَحينئذ فَالوُصُولُ منَّةٌ منْهُ عَلَيْكَ لا بكَسْبكَ .

(3) غَيَّبَ صفَاتكَ الدنيَّةَ بإظهَار صفَاته العَليَّة عَلَيْكَ .

(4) وَهُوَ إظهَار صفَاته عَلَيْكَ .

(5) منَ الاجْتهَاد فى الأعْمَال . وَقُلْتُ :

لَوْ أنَّكَ لا تَنَالُ القُرْبَ منْهُ ... بغَيْر الطُّهْر لَمْ تَقْـرُبْ إليه
ولَكنْ وَصفَهُ يكْسُوكَ حتَّى ... تَحُـلَّ بخلعَـــة منْهُ عَلَيْه
وقُلْتُ : وُصُولُكَ بالذى منْهُ إلَـيكَ ... ولَوْ بكَ لَـم تَصلْ أبَداً إليْـه

(163) ـ(1) أىْ سَتْره الجَميل .

(2) لأن العَبْدَ مُبْتَلىً بنَظَره إلىَ عَمَله وَفَرحه به منْ حَيْثُ نسْبَتُهُ إليه بل قد يُرَائى به وَيَطْلُبُ حَمْدَ النَّاس له وهذا قَادحٌ فى الإخْلاص ، وَالإخْلاصُ شَرْطُ قَبُول العَمَل . ولَو قَال : لَوْلا فَضْلُه لكَانَ أوْلَى . وَقُلْتُ : =

(164) لَوْ أشرَقَ لَكَ نُورُ اليَقين [1] لرَأَيْتَ الآخرَةَ أقرَبَ إلَيْكَ [2] منَ أنْ تَرْحَلَ إليْهَا . ولَرَأَيْتَ مَحَاسنَ الدنيا قَدْ ظَهَرَتْ كسفَةُ الفَنَاء [3] عَلَيْهَا .

(165) لَوْلا ظُهُورُه فى المُكَوَّنَات [1] ما وَقَعَ عَلَيْهَا وُجُودُ إبْصَار [2] لَوْ ظَهَرَتْ صفَاتُهُ اضْمَحلَّتْ مُكَوَّنَاتُهُ [3]

= لَولا جَميلُ فضْله ... مَا كَانَ فعْلاً يَقْبَلُ

(164) ـ(1) أى لو كثُرَ وأضاءَ ذَلك النُّورُ فى قَلْبكَ ، والمرادُ بنُور اليَقينَ : العلمُ بالله وبمَا وعَدَ به عَلَى لسَان نَبيّه .

(2) فى حَالة ارْتحالكَ إليها وحُلُولكَ فيهَا .

(3) الفَنَاءُ الشَّبيهُ بالكسفة أى الكسوف والتغير . هَذَا عَلَى أنَّ الكسْفَةَ بالفَتْح ، وبكَسْر الكَاف : القطعَةُ منَ الشَّىء التى يُغطَّى بهَا الإنَاءُ فَلا يُنْظَرُ مَا فيه . وذَلكَ أنَّهُ تَظْهَرُ به حقَائقُ الأمُور فإذَا امتَلأ به القَلْبُ أبْصَرَ أنَّ الآخرَةَ حَقٌّ ، والدنيَا بَاطلٌ فَدَنَتْ منهُ الآخرَةُ فكَانت أقرَبَ منْ أنْ يرْحلَ إليْهَا وفَنيَتْ فى نَظَره الدنيا وقُلْتُ :

تَرَى أخْرَاكَ دَانيَةً إذَا مَا ... بقَلبكَ أشْرَقَتْ شَمْسُ اليَقين
فَتَرْغَبُهَا وتَفْرُكَ أمّ دفْر ... وتَنْصَبُ مُسْتَعداً للمَنُون

تَفرُكُ : تَبْغَضُ ، أمُّ دَفْر : الدنيَا ، تَنْصَبَ : تَجهَد . تتعبَ .

وقلت :

إذَا شَمْسُ اليَقين دَنَتْ بقَلب ... دَنَا مَوْلاهُ منْهُ وتَدْنُ أخرَى
وتَقْبُحُ فيه كُلَّ القُبْح دُنْيَا ... فَيَا مَنْ نلتَ هَذَا الفَضْلَ شكْرا

(165) ـ (1) تجلّيه عَلَيْهَا بالوُجُود .

(2) أى لم تُوجَدْ ، وإذَا لَم تُوجَدْ لم تُبْصَرْ ، ويُحتَمَلُ أنَّ المعنَى أنَّ ظُهُورَ الحَقِّ تَعالَى لنَا منْ وَرَاء حجَاب المكَوَّنَات هُوَ الذى أوجَبَ ظُهُورَهَا ووُقُوعَ الأبْصَار عَلَيهَا . ولَوْ تَجَلَّى التَّجلى الحَقيقىَّ الذَّى لاخفَاءَ مَعَهُ لتَلاشَتْ ، ولَم يَقَع عَلَيهَا إبْصَارٌ كَمَا اندكَّ الجبلُ منْ تَجليه .

(3) لَوْ تَجَلَّى التَّجلى الحَقيقىَّ تَلاشَت المكَوَّنَاتُ بَلْ لَم يَكُنْ بَصَرٌ ، ولا إبْصَارٌ ولا مُبْصَرٌ كَمَا =

(166) لِيَقِلَّ ما تَفْرَحُ به [1] يَقِلَّ ما تَحْزَنُ عَلَيْه [2]

(167) لَيْسَ المُتَواضِعُ الَّذى إذَا تَواضَعَ [1] رَأى أَنَّهُ فَوْقَ مَا صَنَعَ [2] ولكنَّ المُتَوَاضِعَ الَّذى إِذَا تَواضَعَ [3] رَأى أَنَّهُ دُونَ مَا صَنَعَ [4]

(168) لَيْسَ المُحِبُّ الَّذى يَرْجُو مِنْ مَحْبُوبِهِ عِوَضاً [1] أَوْ يَطْلُبُ مِنْ مَحْبُوبِهِ

= فِى حَدِيث حِجَابُهُ النُّورُ وَفِى رِوَايَة حِجَابُه النَّارُ لَوْ كَشَفَ عَنْهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِه كُلَّ شَىءٍ أدْرَكَهُ بَصَرُهُ وَقُلْتُ :

لَوْلاهُ مَا كَانَ فِى الأَكْوَانِ مِنْ أَثَرٍ وَلَوْ بَدَا وَصْفُهُ زَالَتْ عَلَى الأَثَرِ

(166) ـ(1) مِنَ المَالِ وَغَيْرِه .

(2) وذَلِكَ لأَنَّ المفْرُوحَ بِه هُوَ المحزُونُ عَلَيْه إنْ قَليلاً فَقَلِيلٌ وإنْ كَثِيراً فَكَثِيرٌ ، وَدَرءُ المَفَاسد عنْد العقَلاء أهَمُّ مِنْ جَلبِ المصَالحِ . فَالعَاقِلُ مَنْ لم يَتَطَلَّعْ إلى زِيَادَةِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ خَشْيَةَ مَا يُصِيبُهُ مِنَ الحُزْنِ عِنْدَ فَقْدِه . وَقُلْتُ :

أَقِلَّ مَا يُفْرِحُكَا يَقِلُّ مَا يُحْزِنُكَا

(167) ـ(1) فَعلَ أفْعَالَ المتَوَاضِعِينَ بِأنْ جَلَسَ فِى أَسْفَلِ المجلسِ مَثَلاً .

(2) أىْ أنْ يَستَحِقَّ الجُلوسَ فى صَدْرِ المجْلسِ .

(3) فَعلَ أفعَالَ المتَواضعين بأنْ جَلَسَ قَرِيباً مِنْ صَدْرِ المجلس .

(4) وأنَّه يَسْتَحِقُّ أسْفَلَ المجلسِ . قَالَ الشِّبلِىُّ : مَنْ رَأَى لِنفْسِه قِيمَةً فليس لَهُ مِنَ التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ ، وَمِنْ عَلامَةِ التَّحقُّقِ بِهذَا الخُلُقِ أنْ لا يَغْضَبَ إذَا عُوتِبَ أوِ انْتُقِصَ أوْ قُذِفَ بالكَبَائِر ، وَلا يَحْرِصُ عَلَى أنْ يَكُونَ لَهُ مَوضِعٌ فِى قُلُوبِ النَّاسِ . وَلا يَرَاهُ ، وَقُلْتُ :

لَيسَ التَّوَاضُعُ أنْ تَظُنَّكَ فَوْقَ مَا قَدْ جِئْتَهُ
لكِنَّهُ فِى أنْ تَظُنَّ بِأَنَّ قَدْرَكَ تَحْتَهُ

(168) ـ (1) عَلَى عَمَلٍ يَعملُهُ فَلا يَقْصِدُ بِأعمَالِه الصَّالحة جَنَّةً وَلا نَجَاةً مِنْ نَار .

غَرَضًا [1] فَإنَّ المحبَّ مَنْ يَبْذُلُ لَكَ [2] ليس المحبُّ مَنْ تَبْذُلُ لَهُ [3]

(169) لَوْلا مَيادينُ النُّفُوس [1] ما تَحَقَّقَ [2] سَيْرُ السَّائرين إذْ لا مَسَافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَهَا رِحْلَتُكَ . وَلاَ قَطعَةَ بَيْنَكَ وَبَينَهُ حَتَى تَطْوِيَهَا وُصْلَتُكَ .

« حرف لام ألف »

(170) ـ (1) لاَ يكُنْ تَأخُّرُ أمَدِ العَطَاءِ [1] مَعَ الإلحَاحِ فِى الدُّعَاءِ [2] مُوجباً

---

(168) ـ (1) مِنْ مَقَاصِد الدُّنيَا وَالآخرة .

(2) يُعطيكَ .

(3) فَإنَّ المحبَّةَ انجذَابُ القَلب للمَحْبُوب انجذَاباً كُلياً بحَيثُ لا يلْتَفتُ لغَيره فَمَنْ عَبدَهُ تَعَالىَ للجنَّة فلَيس مُحباً لَهُ بَل لجَنَّته . قيلَ : أوحَى اللهُ إلىَ عيَسى عليه السلام إذا اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فلم أجدْ فيه حُبَّ الدنيا والآخرَة مَلأتُهُ منْ حُبِّى وَقُلتُ :

وَلَيس مُحباً مَنْ بَغى بَذْلَ حبِّه　　　وَلكنَّهُ مَنْ كَانَ للحُبِّ يَبْذُلُ

(169) ـ (1) شَهوَاتُهَا وعَادَاتُها ومَألُوفَاتهَا الشَّبهةُ بالميَادينِ أىْ مَوَاضعِ مُرتَكَضِ الخَيْلِ بجَامعِ الجَولان فى كُلٍّ فَالخُيولُ فى المَيادين ، وَالنُّفُوسُ فى الشَّهوَات .

(2) مَا تُصوِّرَ سَيْرٌ وَلا سُلُوكٌ لأنَّه تَعَالى أقربُ لكُلِّ أحَدٍ منْ نَفْسه فَالبُعْدُ قَائمٌ بالعَبْد وَهُوَ شَهَوَاتُهُ فَلَوْ عُدمَتْ لم يَحتَجْ إلى سُلُوك وَالحَاصلُ أنَّك عنْدَ انْتفَاء الشَّهوَات منْكَ لا تَحتَاجُ إلى سَيْرٍ لأنَّ السَّيْرَ إلى الله قَطعُ عقَبَات النَّفْس وَمَحْوُ آثَار دَعَاويهَا حَتَّى تَطهُرَ وتَقْرُبَ منْ الله تَعَالَى وَلَوْلا مَعَانَاةُ هَذه الأشيَاء لَم يَتحقَّق السَّيْرُ وَالسُّلُوكُ ، كَيْفَ وَالحَقُّ أقربُ إليْكَ منْ نفسكَ . فَنَفْسُكَ هىَ الحجَابُ الأعْظَمْ عَن اللـه تَعالَى وَبجهَادهَا وَقمعهَا الوصول إلى حَضرته ، قال أبو مدينْ رضي الله عنه : مَنْ لم يُمتْ نَفْسَهُ لم يَرَ الحقَّ . وقُلتُ :

لَولاَ مَيَادينُ النُّفُوسِ　　　لَمَا تَحَقَّقَ مَنْ يَسيرُ

(170) ـ (1) زَمَنُه بتَأخُّرِ مَا يَقَعُ فيه .

(2) بزوَال بَشَريَّتكَ ، وَوُصُولكَ إلَى مَوْلاكَ وزَوَال حجَابكَ .

ليَأسكَ [1] فهُوَ ضَمنَ [2] لَكَ الإجَابَة فيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ لا فيمَا تَخْتَارُهُ لنَفْسكَ . وفي الوَقْتِ الذى يُريدُ . لا في الوَقْت الذّى تُريدُ [3]

(171) لا يُشككَنَّكَ في الوَعْد [1] عَدَمُ وُقُوعِ الموْعُود وإنْ تَعيَّنَ زَمَنُهُ [2] لئلاَّ يكُونَ ذَلكَ قَدْحاً في بَصيرَتكَ وَإخْمَاداً لنُور سَريرَتكَ .

---

(170) ـ (1) منْ حُصُول مَطلبكَ .

(2) بنَحْوِ ادْعُوني أسْتَجبْ لكُمْ .

(3) فَقَد يكُونُ دوَامُ الحجَاب عَلَى المريد خَيْراً له ليَجْتَهدَ في الأعْمَال ، ويَدُوم خَوْفُهُ منْ مَوْلاهُ لكنَّ الشَّيْطَانَ ربَّمَا قَالَ لَه : لَوْ كُنْتَ منْ أهْل الإرَادَة ـ لأجَابَكَ مَوْلاكَ . وَجَهل أنَّ عدَمَ إجَابته قَدْ تكُونُ خَيْراً له . وقَد تَكُونُ بَشَرِيَّتهُ غليظَةً فلا تَنْقَطعُ إلاَّ بَعْدَ مُدَّةٍ طَويلة . ومَا أتَى به منَ المجاهَدَات وَالريَّاضَات لا يُفيدُ ذَلكَ في تلْكَ المدَّة وَقُلْتُ :

لا تَيْأسَنَّ ولَوْ تَاخَّرَ مَا طَلَبْتَ مَعَ اضْطرَارِكْ
ضَمنَ الإجَابَةَ في الَّذى يخْتَارهُ لا في اخْتيَارِكْ

(171) ـ (1) الذّى وَعَدَكَ به مَوْلاكَ في مَنَامٍ أوْ عَلَى لسَان مَلَك أوْ إلهَامٍ رَحْمَانيّ .

(2) بأنْ وعدتَ بأنْ يكُونَ في وقْت كَذَا كَذَا فَمَنْ وَعَدَهُ مَوْلاهُ شَيئاً وَإنْ كَانَ مُعَيَّنَ الزَّمَن ثُمَّ لَم يَقَعْ ذَلكَ الموعُودُ فَلا يَشُكُّ لجَوَاز أنَّ وُقُوعَهُ مَشْرُوطٌ بشُرُوط اسْتأثَرَ اللهُ بعلمهَا ، وَمنْهُ إخْبَارُ بَعْض الأوْليَاء بحُصُول كَذَا في كَذَا ولَم يَحْصُلْ ، فَيَقَعُ النَّاسُ فيهمْ جَهْلاً وَقُلْتُ :

إنْ لَمْ يَقَعْ مَا وُعدْتَا فَلا تَشُكَّ بوَعْده
فَرُبَّ شَرْطٍ خَفيٌّ المنْعُ كَانَ لفَقْده
وَمَنْ يَشُكَّ فَأيقنْ بجَهْله وَبُعْده

(172) لا تَطْلُبُ منهُ أنْ يُخرِجَكَ منْ حَالَةٍ[1] لِيَستَعْمِلَكَ فِى سِوَاهَا ، فَلَوْ أرَادَكَ لاستَعملَكَ منْ غَيْرِ إخْرَاجٍ[2]

(173) لا تَترَقَّبْ فَرَاغَ الأغْيَارِ[1] ، فَإنَّ ذَلكَ يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ المرَاقَبَةِ لَه فيمَا هُوَ مُقيمُكَ فيه [2]

(174) لا تَستَغْرِبْ وُقُوعَ الأكْدَارِ [1] مَا دُمْتَ فِى هَذِهِ الدَّارِ . فَإنَّهَا مَا أبْرَزَتْ إلا مَا هُوَ مُستَحَقٌّ وَصفِهَا ووَاجِبُ نَعتِهَا [2] .

---

(172) ـ (1) دُنْيَوِيَّةٍ كَصِنَاعَةٍ أو دينية كَطَلَبِ علْمٍ .

(2) منْ غَيْرِ إخرَاجٍ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أكثَرُ ثَواباً . وَمَنْ كَانَ فِى حَالةٍ لا تُرضِى الشَّرْعَ ـ وَجَبَ عَلَيه التَّحَوُّلُ عَنْهَا حَالاً وَقُلْتُ :

وَلا تَرْجُه حَالاً بِحَالٍ فَإنَّهُ ... إذَا شَاءَ أنْ تَزْدَادَ زَادَكَ فيه

وَقُلْتُ :

إنْ كُنْتَ فِى حَالٍ آبَا ... هَا الشَّرْعُ فَارْغَبْ نَقْلَكَا

أوْ فِى رِضَا فَاسْكُنْ فَلَوْ ... شَاءَ ازْدِيَادك زَادَكَا

(173) ـ (1) الأغْيَارِ الوَارِدَةِ عَلَى قَلْبِكَ وَهِيَ ظُلُماتٌ تَحْدُثُ فِيه تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شُهُودِ المولَى وَالحُضُورِ مَعَهُ .

(2) مِنَ الأعْمَالِ التى تَتَوصَّلُ بِهَا إليْه فالمطْلُوبُ منَ المريدِ المواظَبَةُ عَلَى مَا هُوَ فيه وَمُرَاقَبَةُ رَبِّه ، وَلا يَشْتَغِلُ عَنْهُ بِظُلْمَةٍ أوْ نُورٍ أوْرَدَهُمَا عَلَى قَلْبِه ، وَلَوْ قَالَ : فَإنَّ ذَلكَ يَقطَعُكَ عَمَّا هُوَ مُقيمُكَ فيه لَكَانَ أجْمَلَ وَوَجْهُ كَوْنِه قَاطِعاً أنَّ نَفْسَهُ تَقُولُ لَهُ لَوْ كُنْتَ مُرِيداً مَا أُورِدَتْ عَلَيْكَ هَذِه الأغْيَارُ مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِكَ فَتَقَعُ فِى قَلْبِه الوَسَاوِسُ وَرُبَّمَا تَرَكَ الطَّرِيقَ وَقُلْتُ :

وَلا تَرْقُبْ فَرَاغاً مِنْ سِوَاهُ ... لِتَرْقُبَهُ وَرَاقِبْ كُلَّ آنٍ

(174) ـ (1) الموجِبَةِ للأغْيَارِ بَلِ الأغْيَارُ نَفْسُهَا أكْدَارٌ .

(2) أىْ مَا هُوَ ضَرُورِىٌّ مِنْهَا مِنْ وُجُودِ المكَارِهِ وَالمشَاقِّ فِيهَا ، وَجَعَلَهَا اللهُ كَذَلكَ لِيُزَهِّدَ فيهَا قَالَ =

(175) لا تَتَعَدّ نِيَّةُ هِمَّتِكَ إلىَ غَيْرِه ، فَالكَرِيمُ لا تَتَخَطَّاهُ الآمَالُ (1)

(176) لا تَرفَعَنَّ إلىَ غَيْرِه حَاجَة (1) هُوَ مُورِدُهَا عَلَيْكَ فَكَيفَ يَرْفَعُ غَيْرُهُ مَا كَانَ هُوَ لَهُ وَاضِعاً (2) ، مَنْ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يَرْفَعَ حَاجَةً عَنْ نَفْسِه فَكَيْفَ يَكُونُ لَهَا عَنْ غَيْرِه رَافِعاً (3)

(177) لا تَرْحَلْ مِنْ كَونٍ إلىَ كَوْنٍ (1) فَتَكُونَ كَحِمَارِ الرَّحاَ يَسِيرُ وَالذى ارْتَحَلَ

=جَعْفَرٌ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَنْ طَلَبَ مَا لَم يُوجَدْ اتعَبَ نَفَسْه وَلَمْ يُرْزَقْهُ قِيلَ لَهُ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : الرَّاحَةُ فِى الدنيا وَقُلْتُ :

أَتَعْجَبُ مِنْ وُقُوعِ الهَمِّ فِيهَا ... وَقَدْ طُبِعَتْ عَلَى هَمٍّ وَغَمٍّ

(175) ـ (1) اطلُبْ حَوَائِجَكَ كُلَّهَا مِنْهُ ، وَلا تَطلُبْ شَيْئاً مِنْ سِوَاهُ لأنَّهُ الكَرِيمُ المطلَقُ ، وَلا كَرِيمَ سِوَاهُ فالآمَالُ لا تَتَخَطَّاهُ وَالطَّلَبُ المنَافِى للعُبُودِّيَة : هُوَ الطَلبُ مِنْهُمْ مَعَ الاعتِمَادِ عَلَيْهِمْ وَالغَفْلَةُ عَنِ الله حِينَ الطَلبِ ، أمَّا الطَّلَبُ مِنهُمْ مِنْ حَيْثُ كَونُهُمْ أسبَاباً مَعَ الاعْتِمَادِ عَلَى الله فِى نَيلِ المطلَبِ وَرُؤْيَة أنَّه المعُطِى فَلا مَانِعَ مِنهُ وَقُلتُ :

أقْصِرْ عَلَيْهِ الهَمَّ فَالكَرِيمُ ... مَا جَازَهُ مَنْ عَقْلُهُ سَلِيمُ

(176) ـ (1) فَاقَةً أوْ نَازِلَةً .

(2) إذْ هُوَ الغَالِبُ الذى لا يَغْلِبُهُ شَىءٌ .

(3) لأنَّ مَنْ عَجَزَ عَنْ نفعِ نَفْسِه ـ أعْجَزُ عَنْ نَفعِ غَيْرِه وَقُلتُ : فى جَامِعَةِ الحِكَمِ أو الكَافِيَة الكُبْرَى

لاتَبْغِيَنَّ وَجَاهَةً مِنْ غَيْرِه ... فَتَحُطَّ قَدْرَكَ مِنْ عَلى سَمَاكَا

إنْ رُمْتَ كَوْنَكَ قَادِراً مِنْ عَاجِزٍ ... أطلَقْتَ سَهْمَ عِدَاكَ فِى أحْشَاكَا

إنَّ الوَجَاهَةَ لا تُعَدُّ وَجَاهَةً ... مَا لَم تَكُنْ عِندَ الذى سَوَّاكَا

(177) ـ (1) يُرِيدُ أنَّ العَمَلَ المصَاحِبَ لِلرِّيَاء غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِه فَإذَا جَاهَدَ المرءُ نَفْسَهُ حَتى خَلُصَ مِنْهُ وَلَكِنْ قَصَدَ الدَّرَجاتِ وَالمقَامَاتِ ـ فَهَو مَذْمُومٌ عِندَ العَارِفِينَ حَتّى يُخْلِصَ عَمَلَه لِرَبِّه .

إلَيه هُوَ الذّى ارْتَحلَ منهُ[1] ولَكن ارْحَلْ منَ الأكْوَانِ إلىَ المُكوِّن. [2] وأنّ إلىَ ربّكَ المنْتَهَى[3] وانْظُرْ إلى قَوْله ﷺ : فَمَنْ كَانَتْ هجْرتُهُ إلىَ الله ورَسُوله [4] فَهجرتُهُ إلى الله ورَسُوله[5]، ومَنْ كَانَتْ هجرتُهُ إلىَ دُنْيَا يُصيبُها أو امرأة يَتزوّجُها فَهجْرتُهُ إلى مَا هَاجَرَ إليْه فَافهَمْ قَوْلَهُ عَلَيْه الصّلاةُ والسّلامُ ، وتَأمّلْ هذَا الأمْرَ إنْ كُنْتَ ذَا فَهْم وَالسّلامُ .

(178) لا تَصْحَبْ مَنْ لا يُنْهضُكَ حَالُهُ ، ولا يَدُلُّكَ عَلَى الله مَقَالُهُ[1]

---

(177) ـ (1) وكَذَلكَ العَمَلُ لطَلب الجزَاء فيه الرَّحيلُ منْ كَوْن (وَهُوَ الرِّيَاءُ) إلى كَوْن وَهُوَ (طَلَبُ الجزَاء) ، وَسَبَبُه بَقَايَا النُّفُوس فَتطلبُ بعَمَلهَا رُتْبَةً عندَ الله وكُلُّ ذَلكَ منْ الأكْوان وَالأكْوانُ مُتَساويَةٌ في كَوْنهَا أغْيَاراً .

(2) بأنْ تُخْلصَ عَمَلَكَ لله وَحْدَهُ فَتكُونَ عَبْدَهُ فَمَنْ عَملَ للدَّرَجَات فَهُوَ عَبْدُهَا وَهكَذا .

(3) أىْ مَنْ عَبَدَ اللهَ لله انتهَى سَيْرُهُ إلىَ الله .

(4) بالنِّيَّة .

(5) في الوَاقع فَهىَ مُعْتَدٌّ بهَا ، وَمَوْضعُ الاعتبَار منَ الحديث فَهجْرَتُهُ إلىَ مَا هَاجرَ إليْه أىْ لا نَصيبَ لَهَ منْ الوُصُول وَالقُرْب الذى حَظىَ به مَنْ هَاجَرَ إلىَ الله وَرَسُوله . وكَأنَّهُ ﷺ نَبَّه بالدُّنْيَا والمرْأة عَلَى حُظُوظ النَّفس كَائنةً مَا كَانتَ وَقُلْتُ :

ارْحَلْ إليْه وَخَلِّ الكَوْنَ أجْمَعَهُ ... كَيْفَ الرَّحيلُ لَهُ وَالمنْتَهَى اللهُ
مَنْ سَارَ منْهُ إليْه عجْلُ سَانية ... أوْ عَيْرُ طَاحُونة أوّاهُ أوّاهُ

السَّانيَةُ : السَّاقيَةُ وَالعَيْرُ : الحمَارُ

وَقُلْتُ في الكَافية الجَامعَة :

يَا أيُّهَا الهَاوى لَنَا ولَغيْرنا ... هَلاَّ وَقَفْتَ لَنَا جَميعَ قُوَاكَا
أتُريدُ رُؤيَتَنَا وتَهْوَى غَيْرَنَا ... رُمْتَ المحَال فَلا بَلَغْتَ رَجَاكَا
مَا أنتَ بالرائى سَنَاءَ جَمَالنَا ... إلاّ إذَا وَحَّدْتَنَا بهَوَاكَا

(178) ـ (1) بأنْ لاَ تكُونَ همَّتُهُ مُتَعلّقَةً باللهِ تَعَالَى ، وَمَقَالُهُ لا يَدُلُّ عَلَيْه . فَهذَا مَنْهيٌّ عَنْ صُحْبته وَإنْ=

(179) لاَ تَتْرُكِ الذِّكْرَ[1] لعَدَمِ حُضُورِكَ[2] مَعَ الله فيه لأنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجُودِ ذِكْرِه[3] أَشَدُّ[4] مِنْ غَفْلَتِكَ فِى وُجُودِ ذِكْرِه فَعَسَى أَنْ يَرفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ يَقَظَةٍ[5] ، وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ يَقَظَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ[6] وَمِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ إلَى ذِكْرٍ مَعَ غَيبة[7] عَمَّا سِوَى المَذْكُورِ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بعَزِيزٍ[8] .

= كَانَ مِنَ العُبَّادِ وَالزهَّادِ بخلاف مَنْ همَّتُهُ مُتَعَلقَةٌ بربِّه ، مُرْتَفعَةٌ عَنْ خلقه سَقَطَ النَّاسُ مِنْ عَينه فَلا يَرَى مِنهُمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً وَسَقَطَتْ نَفْسُهُ مِنْ عَيْنِه فَلا يَرَى لَها فعلاً ، وَلا يَقْضِى لَهَا حظاً وَجَرَى فِى أعْمَاله عَلَى الشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ إفرَاط وَلا تَفْريط وَقُلْتُ :

دَعْ غَيْرَ دَاعٍ إلىَ الرحْمنَ بالحَالِ ... وَبالمقَالِ تَنَلْ غَايَاتِ آمَالِ

(179) ـ (1) فَإنَّهُ أقربُ الطُرقِ إلىَ الله ، وَعُنْوَانُ الولايَة .

(2) أىْ حُضُور قلبكَ .

(3) بأنْ تَتْرُكَهُ .

(4) لأنَّ تَرْكَ الذكْرِ فيه بُعْدٌ عَنِ الله باللِّسَانِ وَالقَلب بخلاف الذِّكْرِ فَفِيه البُعْدُ بالقَلبِ وَالقُرْبُ باللِّسَانِ .

(5) مُرَاعَاة أدَبٍ وَعَدَم اشتغَال بغَيره

(6) مُرَاقبَه .

(7) بأنْ يَفْنَى حَتَّى عَنِ الذِّكْرِ فَيَخْرُجَ مِنْهُ الذِّكْرُ مِنْ غَيْرِ قَصْد .

(8) لأنَّه قَادرٌ عَلَى كُلِّ شَىء فَعَلَى المريد القِيَامُ بالأسْبَاب ، وَمِنَ الله رَفْعُ الحجَاب وَقُلْتُ :

اذكُرْ إلَهَكَ غَابَ القَلبُ أوْ حَضرَا ... فإنَّه كُلُّ ذى ذكر لَهُ ذَكَرَا

وَغَفْلَةُ المرء عَنْهُ حِينَ يَذْكُرُهُ ... أخَفُّ مِنْهَا وَكلإذكَار قد هَجَرا

فَكَمْ ذَكُورٍ غَفُولٍ عَنْهُ أيْقظَهُ ... فَغَاب عَنْ غَيْرِه مِنْ بَعْدمَا حَضَرَا

وَقَدْ استَوفيْتُ فوَائِدِ الذِّكْرِ فِى كِتَابَىَّ : مَجَامعُ الأنوَارِ ، وصُورَةُ المجتمع الكُبْرى .

(180) لا يَعْظُمُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بالله تَعَالَى فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ اسْتَصْغَرَ فِى جَنْبِ كَرَمِه ذَنْبَهُ[1] .

(181) لا صَغِيرَةَ إذَا قَابَلَكَ عَدْلُهُ[1] وَلا كَبِيرَةَ إذَا وَاجَهَكَ فَضْلُهُ[2] .

(182) لاَ عَمَلَ أَرْجَى لِلقَبُولِ مِنْ عَمَلٍ يَغِيبُ عَنْكَ شُهُودُهُ[1] ، وَيُحتَقَرُ عِنْدَكَ وُجُودُهُ[2] .

---

(180) ـ (1) بِأَنْ تُوقِعَكَ فِى اليَأْسِ وَالقُنُوطِ فَهذِهِ عَظَمَةٌ مَذْمُومَةٌ قَادِحَةٌ فِى الإيمَانِ وَهِى شَرٌّ عَلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِكَ .

(2) فَأَىُّ ذَنْبٍ لا يَسَعُهُ عَفْوُهُ سُبْحَانَهُ . أمَّا عَظَمَةُ الذَّنْبِ التى تَحْمِلُ عَلَى التَّوبَةِ النَّصُوحِ مِنْهُ فَهِىَ مَحمُودَةٌ وَهِىَ مِنْ عَلامَاتِ الإيمَانِ ، وَيُقَالُ : إنَّ الطَّاعَةَ كُلمَّا اسْتَصْغَرَتْ كَبُرَتْ عِنْدَ الله ، وَإنَّ المَعْصِيَةَ كُلَّمَا اسْتُعظِمَتْ صَغُرَتْ عِنْدَ الله وَقُلْتُ :

مَنْ يَعْرِف اللهَ لا يَيْأَسْ بِزَلَّـتِه — مِنْ رَوحِه وَيَظُنُّ الخَيرَ بِاللَه
وَمَا اسْتَعْظَمْتَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ — صَغِـيرٌ عِنْـدِ مَـوْلاكَ الكَـبِير

وَقُلْتُ :

أنْتَ الجَوادُ ، وَمَنْ يَقِلُّ صَلاحُهُ — أوْلَـى الوَرَى بِمَنَـائِحِ الجَوّاد
إنْ كَانَ لا يَرْجُـوكَ إلاَّ مُخْلِصٌ — فَمَنِ الـذَّى يَرْجُو أخُو الإفْسَـاد
أعْطَيْتَـنَا الإيمَـانَ قَبْـلَ سُـؤالِنَا — فَاسْـتَبْقِه ذُخْـراً لِيَـومِ مَعَادِ

(181) ـ (1) وَهُوَ تَصَرُّفُه فِى مُلْكِه بِغَيْرِ حَجْرٍ عَلَيْه .

(2) وَهُوَ إعْطَاءُ الشَّىءِ بِغَيْرِ عِوَضٍ فَإذَا عَامَلَ بِالعَدْلِ مَنْ أبْغَضَهُ بَطُلَتْ حَسَنَاتُه وَانْقَلَبَتْ صَغَائِرُهُ كَبَائِرَ ، وَإذَا عَامَلَ بِالفَضْلِ مَنْ أحَبَّهُ غُفِرَتْ سَيِّئَاتُهُ وَانْقَلَبَتْ كَبَائِرُهُ صَغَائِرَ . وَقُلْتُ :

أيْنَ الصَّغِيرَةُ وَالمُقَابِلُ عَدْلُهُ ؟ — أيْنَ الكَبِيرَةُ وَالمُوَاجِهُ فَضْلُهُ ؟

(182) ـ (1) بِأنْ تَشْهَدَ أنَّ الذى وَفَّقَك لَهُ هُوَ اللهُ تَعَالَى .

(2) لِرُؤيَتِكَ التَّقْصِيرَ فِيه وَعَدَمَ سَلامَتِه مِنَ الآفَاتِ المَانِعَةِ مِنْ قَبُولِه ، وَإذْ ذَاكَ لا تَعْتَمِدُ عَلَيْه فِى الوُصُولِ إلىَ الله وَنَيْلِ المَقَامَاتِ وَالدَّرَجَاتِ وَقُلْتُ : =

(183) لا تُفْرِحْكَ الطَّاعَةُ لأَنَّهَا بَرزَتْ منْكَ(1) ، وَافْرحَ بهَا لأَنَّهَا بَرزَتْ منَ الله إلَيْكَ(2) « قُلْ بفَضْلِ الله وَبرَحْمَته فَبذَلكَ(3) فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ » .

(184) لا يُخَافُ عَلَيْكَ(1) أنْ تَلْتَبسَ الطُّرُقُ عَلَيْكَ(2) وَإنَّمَا يُخَافُ عَلَيْكَ منْ غَلَبَة الهَوى عَلَيْكَ(3) .

(185) لا تُطَالبْ رَبَّكَ بتَأخر مَطْلبكَ(1) وَلَكنْ طَالبْ نَفْسَكَ بتَأخُّر أدَبكَ(2) .

= يَا صَاحِ أرْجَى عَمَلٍ لفَيْضِ مَنْ عَبَدْتَهُ
مَا غِبْتَ عَنْ وُجُوده وَمُخْلصاً حَقَرْتَهُ

(183) ـ (1) منْ حَيْثُ صُدُورُهَا عَنْكَ باخْتيَاركَ وَحَوْلكَ فَهَذَا فَرَحٌ مُحبطٌ لها .

(2) منْ حَيْثُ شُهُودُهَا نعمَةً منَ الله وَفَضْلاً ، وَهُوَ مُقْتَضَى شُكْرِهَا .

(3) بفَضله وَرَحمته ، وَبهمَا كَانَت الطَّاعَةُ . وَقُلْتُ :

وَلا تَفْرَحَنْ بالخَير منْكَ فَيَحْبَطَنْ وَلَكنْ به افْرَحْ إذْ به قَدْ تَفَضَّلا

(184) ـ (1) إذَا كُنْتَ مُتَلَبِّساً بحَال منَ الأحْوَال كَطَاعَة أوْ مَعْصيَة أوْ نعْمَة أوْ بَليَّة .

(2) طُرُقُ العُبُوديَّة عنْدَ التَّلَبُّس بحَال منْ هَذه الأحْوَال إذْ بيَّنَتها الشَّريعَةُ فَعُبُوديَّتُكَ عنْد الطَّاعَة شُهُودُكَ تَفَضلَهُ عَلَيْكَ بهَا وَعنْدَ المعصيَة اسْتغفارُكَ منْهَا وَفى النِّعمَة شُكْرُكَ عَلَيْهَا ، وَفى البَليَّة صَبْرُكَ عَلَيْهَا .

(3) حَتَّى يُضلَّكَ عَنِ اللازمِ فَتُعْجَبَ بالطَّاعَة ، وَتُصرَّ فى المعْصيَة وَتَسْتَقلَّ النّعْمَةَ فَلا تَشْكُرَهَا وَتَجْزَعَ فى البَليَّة وَيُحتَملُ أنَّ المعْنَى لا يُخَافُ عَلَيْكَ أنْ يَلتَبسَ عَلَيْكَ الأوْلَى منَ الطُّرُق الموَصّلَة إلى الله تَعَالَى كَالصَّلاة وَالصِّيَامِ وَالذكْر فَتَعْمَلَ هَذَا تَارَةً وَذَاكَ أخرى لأنَّكَ لا تَعْرفُ الأوْلَى منْ غَيْره ، وَإنَّمَا يُخَافُ أنْ يَغْلبَكَ الهَوى فَيَصُدَّكَ عَنْ أىِّ طَريق منْهَا حَتَّى تَدَعَ تَوجُّهَكَ إلى ربِّكَ . بَلِ اشْتَغل بأيِّها حَتَّى يُقَيِّضَ لَكَ شَيخٌ فَتَسْلكَ مَا رَسَمُه لَكَ فَهُوَ أوْلَى بكَ . وَقُلْتُ :

طَريقُ اللهِ بيِّنَه وَلَكنْ إلى تَوْفيقه افْتَقَرَ السُّلُوكُ

(185) ـ (1) أىْ إذَا طَلَبْتَ منْهُ شَيئاً وَلَم يُسْرعْ بالإجَابَة فَلا تُسىءْ به ظَنَّكَ وَتَقُلْ أخَّرَ مَطْلبَى . فَإنَّه يَفعَلُ مَا يَشَاءُ سَوَاءٌ أكَانَ مَطْلبُكَ بَاطنياً كَالخصُوصيَّات أوْ ظَاهريّاً كَأغْرَاض الدُّنيَا .

(2) عَدَمِ وُجُوده حَيْثُ طَلَبْتَ منْهُ السُّرْعَةَ ، وَفى ذَلكَ منْ سُوء الأدَب مَا فيه ، وَأيضاً طَلَبُكَ الإجَابَةَ=

(186) لا يَسْتَحقرُ الورْدَ(1) إلاَّ جَهُولٌ(2) ، الوَاردُ(3) يُوجَدُ فى الدَّار الآخرَة ، وَالورْدُ يَنْطَوى بانْطوَاء هَذه الدَّار(4) وَأوْلَى مَا يُعْتَنَى به مَا لا يُخْلَفُ وَجُودُهُ(5) الورْدُ هُوَ طَالبُهُ منْكَ ، وَالوَاردُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ منْهُ ، وأيْنَ مَا هُوَ طَالبُه منْكَ مِمَّا هُوَ مَطْلُبُكَ منْهُ .

(187) لا تَطْلُب عوَضاً عَلَى عَمَلٍ لَسْتَ لَهُ فَاعلاً(1) يَكْفى منَ الجْزَاء لَكَ عَلَى العَمَل أنْ كَان لَهُ قَابلاً(2)

= دَليلٌ عَلَى أنَّكَ دَعَوْتَ لتُجَابَ فَهوَ دُعَاءٌ للإجَابَة قَادحٌ فى كَمَال العُبُودِيَّة ، وَأيْضاً منْ أيْنَ لَكَ أنَّه لم يُسْتَجَبْ وَلَيس منْ شَرْط الإجَابَة أنْ تَظْهَرَ لَكَ ، وَلا أنْ تُجَاب بنَفْس مَا طَلَبْتَ بَلْ قَد يُخْفيهَا عَنْكَ لمصَالحَ وَقَدْ يُجيبُكَ بغَيْر مَطْلبكَ لمنْفَعَتكَ وَقَدْ يَدَّخرُهَا ليَوم حَاجَتكَ وَقُلْتُ :

لا تَطْلُبَنَّ إذَا تَأخَّرَ مَطْلَبٌ تَعْجيلَهُ
فَهُوَ الحَكيمُ وَلَوْ عَقَلْتَ شَكَرْتَهُ تَأجيلَهُ

(186) ـ (1) الأعمَالَ الصَّالحَةَ التَّى تَعْمُرُ بهَا الأوْقَاتُ .

(2) لمَا فيه منَ الحُضُور وتَصْفيَة البَاطنِ وَالأنْوَار وَالوَاردَات فَالتَّطَلُّعُ إليْهَا مَعَ تَرْك سَبَبهَا جَهْلٌ ، ثُمَّ ذَكَرَ أنَّ لَهَ مَزيَّةً عَلَى الوَارد منْ وَجْهَين .

(3) مَا يَردُ عَلَى البَاطنِ منَ المعَارف وَالأسْرَار وَالمشَاهَدَات .

(4) يَفْنَى بفَنَائهَا .

(5) وَهُوَ الورْدُ لأنَّ وَقْتَهُ الدُّنْيَا وَهيَ فَانيَةٌ وقُلْتُ :

الوِرْدُ لا يَحْقرُهُ إلاَّ جَهُولٌ قَدْرَهُ
وَأنْتَ مَأمُورٌ بِه فَلا تُضَيِّعْ أمْرَهُ
وَإنْ يَفُتْكَ هَهُنَا هنَاكَ تُحْرَمْ أجْرَهُ
وَإنْ يَفُتْكَ وَاردٌ فَثَمَّ تُلْفى غَيْرَهُ

(187) ـ (1) لأنَّ اللهَ هو الفَاعلُ حَقيقَةً وَأنْتَ مَظْهَرُ فعْله .

(2) أىْ عَدَمُ مُؤاخَذَتكَ عَلَيْه مَعَ طَلبكَ الثَّوابَ القَادحَ فِى تَمْحيص العَمَلِ لَهُ وَقُلْتُ : =

(188) لا نهَايَةَ لمَذَامِّكَ إنْ أرْجَعَكَ إليْكَ [1] ، ولا تَفرَغُ مَدَائحُكَ إنْ أظْهَرَ جُودَهُ عَلَيْكَ [2]

(189) لا يكُنْ طَلَبُكَ تَسَبُّبًا إلىٰ العَطَاء منْهُ فَيَقلَّ فَهْمُكَ عَنْهُ [1] وَلْيكُنْ طَلبُك لإظْهَارِ العُبُوديَّة . وَقيَاماً بحُقُوق الرُّبُوبيَّة [2] .

(190) لا يَنْبَغى للسَّالك أنْ يُعَبِّرَ عَنْ وَاردَاته [1] فَإنَّ ذَلكَ يُقلُّ عَمَلَهَا فى قَلْبه [2] وَيَمنَعُهُ وُجُودَ الصِّدْق مَعَ رَبِّه [3] .

= أتَرْجُوهُ عَلَى عَمَلٍ جَزَاءً ... وَأوْلَى أنْ تُعَاقَبَ للرَّجَاء
يَامَظْهَرَ الخَير منْهُ كَيْفَ تَسَألُهُ ... عَلَيْه أجراً أمَا يكْفيكَ مُظْهرُهُ

(188) ـ (1) أىْ وَكَلَكَ إلىٰ نَفْسكَ فَتصرَّفَتْ فيكَ .

(2) بأنْ أعَانَكَ عَلَيْهَا وَهَذَا دَليلُ اجْتبَائكَ وَقُلْتُ :

لا مُنْتَهَى لذَمِّ مَنْ ... لنَفْسه أرْجَعَه
ولا انْتهَا لمَدْحِ مَنْ ... بفَضْله مَتَّعَهُ

(189) ـ (1) أىْ فلا تَفْهَم السِّرَّ وَالحكْمَةَ فى أمْر الله عبادَهُ بالطَّلَب ، وَهُو التَذَلّلُ للعَزيز القَادر وَهَذَا فَهْمُ العَارفينَ ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ لا يَنْقَطعُ عَن الدُّعَاء فى السَّرَّاء وَالضَّرَّاء ، ولا يَفْرقُ بيْنَ المَنْعِ وَالعَطَاء ، وَقَبيحٌ بالعَبْد أنْ يَصْرفَ وَجْهَهُ عَنْ بَاب مَوْلاهُ . إذَا أنَالَهُ مُنَاهُ . وَقُلْتُ :

لا تَسْألَنْهُ تُريدُ منْهُ عطَاءا ... فَيَقلَّ فَهْمُكَ عَنْهُ وَادْعُ ثَنَاءا
وَعبَادَةً وتَضَرُّعاً وتَذَلُّلاً ... ضَرَّاءَ كَانَ الحَالُ أمْ سَرَّاءا

(190) ـ (1) وَهيَ العُلُومُ الوَهْبيَّةُ ، وَالمشَاهَدَاتُ الرُّوحيَّةُ ، وَالوَاجبُ كتْمُهَا إلاَّ عَنْ شَيْخٍ مُرْشد .

(2) وَهُوَ تَمكُّنُهَا فى القَلْب وَتَأثُّرهُ بهَا .

(3) إذ التعبير عَنها يُحدثُ فى نَفسه لَذَّةً تَقوَى بهَا صفَاتُهَا وَقوةُ صفَاتها يَمْنَعُ منْ وُجُود الصِّدْق مَعَ رَبِّهَا وَقُلْتُ :

إيَّاكَ وَالتَّعْبيرَ عَنْ وُرَّاد ... إلاَّ لـذى الإرْشَاد للأوْرَاد
كمْ غُرَّ مُبْديهَا وكَم قَطعَتْهُ عَنْ ... إخْلاصه فَقَضَى بغَيْر مُرَاد

(191) لاَ تَمُدَّنَّ يَدَكَ إلىَ الأخْذ منَ الخَلائق إلاَّ أنْ تَرَى أنَّ المعطىَ فيهم مَوْلاك(1) فَإذَا كُنْتَ كَذَلكَ فَخُذْ مَا وَافَقَكَ العِلْمُ(2) .

(192) لا تُدْهشْكَ وَارِدَاتُ النِّعَمِ (1) عَنِ القِيَامِ بِحُقُوقِ شُكْرِهَا (2) فَإنَّ ذَلِكَ ممَّا يَحُطُّ منْ قَدْركَ(3)

---

(191) ـ (1) فَلا تَرَىَ العَطَاءَ الذى يَصلُ إليْكَ إلاَّ منْهُ وَأنَّ الخَلْقَ أسْبَابٌ وَلا يكفى أنْ يكُونَ ذَلكَ علماً وَإيمَاناً . بَلْ حَالاً وَذَوْقاً .

(2) الظَّاهرُ عَلَى أخْذه بأنْ لا تَأخُذَ إلاَّ منْ يَد مُكَلَّف رَشيد تَقىٍّ والعلمُ البَاطنُ بأنْ لا تأخُذَ إلاَّ مَا أنْتَ مُفْتَقرٌ إليْه فى الحَال لتُنْفقَهُ فى ضَرُورَتكَ بغَيْر إسْرَاف وَلا إقْتَار كَمَا كَانَ عَليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في أكْله وَشُرْبه ولبَاسه ومَسْكَنه . فَلا تَأخُذْ ما يَأتيكَ قَبْلَ وَقْتكَ وَلا مَا هُوَ زَائدٌ عَنْ حَاجَتكَ إلاَّ أنْ تكُونَ سَخياً وَلا تَأخُذ مَا تُعْطَاهُ عَلَى جهة الاخْتيَار بأنْ أعطيتَ شَهْوَةً تَرَكْتَهَا لله إذْ مَنَعَتْكَ القيَام بحَقِّه ، وَلا تَأخُذْ منْ مَنَّان وَلا فَخُور وَلا مُظْهر لعَطيته وَلا ممَّنْ يَثْقُل عَلَى قَلْبكَ قَبُولُ العَطيَّة منه وَقُلْتُ :

وَلا تَقْبَل حَبَاءً منْ أنَاسٍ إذَا لم تَشْهَد المولَى حَبَاكَا
فَإنْ شَاهدتَهُ فَاقْبَلْ إذَا مَا رَأيْتَ لأخْذه علماً دَعَاكَا

الحباءُ : العطاءُ . وَقُلْتُ :

وَلا تَأخُذْ منَ الخَلْقِ إذَا لَمْ تَشْهَد الخَالقْ
وَخُذْ مَا وَافَقَ العلْمَ وَإلاَّ كُنْتَ كَالسَّارِقْ

(192) ـ (1) أى النِّعَمُ المتَوَاردَةُ : المتَرَادفَةُ .

(2) أىْ شُكْرُ المنْعمِ عَلَيْهَا بأنْ تَرَى نَفْسَكَ عَاجزاً عَنِ الشُّكْر فَتَتْرُكَهُ .

(3) يَنْقُصُ منْ قيمتكَ وَقُلْتُ :

لا تُدْهشَنَّكَ نعْمَةٌ عَنْ أنْ تَقُومَ بشُكْرِهَا
فَتَحُطَّ قَدْركَ عنْدَهُ وَتَزُولَ عَنْكَ بكُفْرِهَا

(193) لا يُخرِجُ الشَّهْوَةَ مِنَ القَلْبِ إلاَّ خَوْفٌ مُزْعِجٌ [1] أوْ شَوْقٌ مُقْلِقٌ [2] .

(194) لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ [1] ، وَلا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ [2] وَإِنَّمَا أمَرَكَ بِهَذِهِ وَنَهَاكَ عَنْ هذه لِمَا يَعُودُ عَلَيْكَ .

(195) لايَزِيدُ فِي عِزِّهِ إقْبَالُ مَنْ أقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّهِ إدْبَارُ مَنْ أدْبَرَ عَنْهُ [1] .

---

(193) ـ (1) يَرِدُ عَلَى القَلْبِ مِنْ شُهُودِ صِفَاتِ الجلال . وَمَنْشَؤُهُ مُلاحَظَةُ مَا أُعِدَّ لِلعُصَاةِ مِنَ العَذَابِ الأليمِ وَتَذَكُّرُ الموْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أهْوَالِ الحَشْرِ وَالمعَادِ وَالنَّارِ .

(2) يَرِدُ عَلَى القَلْبِ مِنْ شُهُودِ صِفَاتِ الجَمَالِ ، وَمَا أعِدَّ لِلطَّائعينَ مِنَ النَّعيمِ المقيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعيمِ وَمَا أعْظَمَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ وَالتذْكيرِ فِي إيجَادِ الخَوْفِ وَالشَّوقِ وَقُلْتُ :

إنْ تَسْكُنِ الشَّهْوَةُ فِي ... قَلْبٍ فَلا يُخْرِجُهَا
إلاَّ اشْتِيَاقٌ مُقْلِقٌ ... أوْ خِيفَةٌ تُزْعِجُهَا

(194) ـ (1) لأنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهَا وَعَنِ العَالَمِينَ .

(2) إذْ لا يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ مِنْهَا وإنَّمَا أمَرَكَ وَنَهَاكَ لِمَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَاكَ وَقُلْتُ :

وَكَمْ فِي أمْرِهِ خَيْرٌ ... وَكَمْ فِي النَّهْيِ إحْسَانُ
فَلا تُجْدِيهِ طَاعَاتٌ ... وَلا يُؤْذِيهِ عِصْيَانُ

(195) ـ (1) لأنَّ عِزَّهُ صِفَةٌ إلهيَّةٌ جَامِعَةٌ كَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ وَصِفَاتُهُ كَامِلَةٌ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَقُلْتُ :

وَلا يَزْدَادُ بِالإقْبَالِ عِزّاً ... وَلا يَعْرُوهُ بِالإدْبَارِ ذُلُّ

(196) لا تَيْأسْ منْ قَبُول عَمَلٍ لمْ تَجدْ فيه وُجُودَ الحْضُور [1] فَرُبّمَا قُبلَ منَ العَمَلِ مَالم تُدْركْ ثمرَتُهُ عَاجلاً [2] .

(197) لا تُزكّيَنَّ وَارداً لا تَعْلَمُ ثَمرَتَهُ . فَلَيسَ المَرَادَ منَ السَّحَابة الإمْطَارُ ، وإنَّمَا المرَادُ منهَا وُجُودُ الإثمَار [1] .

(198) لا تَطلُبَنَّ بَقَاءَ الوَاردَات [1] بَعْدَ أنْ بَسَطَتْ أنْوَارهَا [2] وأوْدَعَتْ أسْرَارهَا [3] فَلَكَ في الله غنيً عَنْ كُلِّ شَيءٍ وليْس يُغنيكَ عَنْهُ شيءٌ [4] .

---

(196) ـ (1) بقَلبكَ مَعَ الله حَالَ فعْله بأنْ تُشَاهدَ أنه يرَاكَ أوْ ترَاهُ فإنَّهُ عَلامَةُ القبُول ودَليلُهُ ولا يَلزَمُ منْ فَقْد الدليل فَقدُ المدْلُول .

(2) ثَمرَةُ قَبُوله أيْ عَلامَتُهُ (عَاجلاً) أثْنَاءَ فعله ومنْ عَلامَة القَبُول وُجْدَانُ حَلاوَة العَمَلِ وَاستلذَاذُ القَلْب له وقُلْتُ :

لا تَيْأسَنَّ منَ الأعْمَال تَعْمَلُهَا ... أنْ لا تُرَى حَاضراً فيهَا مَعَ الله

(197) ـ (1) إذَا وَرَدَ عَلَيْكَ وَاردٌ إلَهيٌ أيْ تَجلٌ إلهيٌ ومَلكَ عَلَيْكَ قَلْبَكَ ولَم يَتَأثَّرْ به بحَيْثُ يُحبُّ الإقْبَالَ عَلَى المولَى ويَقُومُ بحُقُوقه . فَلاَ تَفرحْ بهَذَا الوَارد ولاتُزكّه لأنَّ ثَمرَةَ الوَارد طَهَارَةُ القَلْب وإقْبَالُهُ عَلَى الربِّ ولَم يُحْدثْ هَذَا الأثَرَ ولَيس المرادُ منَ السَّحَاب المطَرَ بَل الثَّمرَ ، وكَثيرٌ ممَّنْ يَجدُونَ الأحْوَالَ القَلبيَّةَ يَترُكُونَ العمَلَ ، مَعَ وُجُود العَقْل وهَذَا خَبَلٌ وقُلْتُ :

لا تَمدَحَنْ وَارداً منْ غَير إثْمَار ... فَمَا السَّحَابُ تُرَجيه لإمْطَار

(198) ـ (1) التَّجَلّيَات وَالأحْوَال القَلبيَّة .

(2) تَكَيَّفَ ظَاهركَ وبَاطنُكَ بكَيْفيَّات العُبُوديَّة .

(3) وَهيَ مَا لاحَ في قَلْبكَ مَنْ عَظَمَة الرُّبُوبيَّة وقُلتُ :

إنْ فَاتَ غَيْرٌ فَكَمْ في الله منْ خَلَف ... وإنْ يَفُتْكَ تَعَالى فَاتَكَ الخَلَف

فَاللهُ أوْرَدَ عَلَيْكَ الحَالَ لتأخُذَ منْهَا لا لتَأخُذَ منكَ لمَا فيهَا منَ التَعرُّف منَ الله إلَيْكَ فإذَا بَلَّغَتْهُ=

(199) لا يُخْرِجُكَ عَنِ الوَصْفِ [1] إلاَّ شُهُودُ الوَصْفِ [2] .

(200) لا يَلْزَمُ منْ ثُبُوتِ الخُصُوصيَّةِ [1] عَدَمُ وَصْفِ البَشَرِيَّةِ . [2] إنَّمَا مَثَلُ الخُصُوصيَّةِ كَإشْرَاقِ شَمْسِ النَّهَارِ [3] ظَهَرَتْ فِي الأفُقِ [4] ولَيْسَتْ منْهُ . [5] تَارَةً

= إليْكَ لا مَعْنَى لطَلَب بقَائهَا إذْ لا يُطْلَبُ بَقَاءُ الرَّسُول بَعْدَ أداء رِسَالته وَمَنْ طَلَبَ بَقَاءَهَا كَانَ عَبْداً لَهَا ، لا عَبْدَ رَبِّه وَقُلْتُ :

لا تَطْـلُبَنَّ بَقَـاءَ الـوَارِدَات إذَا ... مَـلأنَ قَلْبَـكَ إيقَـاناً بمَـوْلاكَـا
يُغْنيكَ عَنْهَا وَعنْ كُلِّ الوُجُود ، وَمَنْ ... يُغْنيكَ عَنْـهُ ، تَعَـالَى اللهُ قَوَّاكَا

(199) ـ (1) أيْ وَصْفُ نَفْسكَ كَالكبْر وَالعُجْب .

(2) أي شُهُودُ وَصْف رَبِّكَ كَكبْرِيَائه وَعَظَمَته ، فَالوَصْفُ الأوَّلُ للعَبْد ، وَالثَّاني للرَّبِّ . وَهَذه قَاعدةٌ كليةٌ . فَلا خُرُوجَ للعَبْد منْ صفَات نَفْسه إلاَّ بشُهُوده صفَات رَبِّه فَمَنْ شَهدَ كبْرِيَاءَ رَبِّه زَال كبْرُهُ ، وَمَنْ شَهدَ قُدْرَةَ رَبِّه زَالَتْ قُدْرَتُهُ . فَيَبْقَى برَبِّه لا بنَفْسه . وَقُلْتُ :

إذَا شَـاهَدْتَ وَصْـفَ اللـه زَالَـتْ عَنْـكَ أوْصَـافُكْ

وَقُلْتُ في الكَافية الكبرى :

قُلْ للَّـذى تَخـذَ التَّكَـبُّر خُـلَّةً ... هَيْهَاتَ أنْ يَلجَ القُلُوبَ هَوَاكَا
الكـبْرِيَاءُ رداءُ رَبِّـكَ وحـده ... فَـإذَا ارتديـت به فقـد أرداكا
لا تتخذه لداء نقصـك بلسماً ... تاللـه إن الكـبرَ أكـبر داكا
أرأيتَ من شرَ ولـم يك جامعاً ... أينـالُ خـيراً من قلا مولاكا

(200) ـ (1) مَا يَخُصُّ اللهُ به العَبْدَ كَالمُكَاشَفَات وَالعُلُوم اللَّدُنِّيَّة وَغَيْرهَا .

(2) كَفَقْر وَعَجْز وَجَهْل . لأنَّ الأمْرَ الذاتيَّ لازمٌ للعَبْد وَالأمُورُ اللازمَةُ للعَبْد يَسْتَحيلُ عَدَمُهَا .

(3) شَمْسِ النَّهَارِ المُشْرقَة .

(4) نَوَاحي السَّمَاء .

(5) منْ ذَاتيَّـاته فَكَمَـا أنَّ شَـمْسَ النَّهَـار إذَا ظَهَـرَتْ عَلَى الآفَـاق المُظلمَـة أنَارَتْ ، وَإذَا غَـرَبَتْ رَجعَتْ إلَى حَالهَا لأنَّ النُّورَ عَارضٌ لَهَا كَذَلكَ الأوْصَافُ البَشَرِيَّةُ القَائمَةُ بذَاتكَ كَالجَهل =

تُشْرِقُ شَمْسُ (6) أَوْصَافِهِ عَلَى لَيْلِ (7) وُجُودِكَ ، وَتَارَةً يَقْبِضُ ذَلِكَ عَنْكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى حُدُودِكَ (8) . فَالنَّهَارُ (9) لَيْسَ مِنْكَ (10) وَإِلَيْكَ . وَلَكِنَّهُ وَارِدٌ عَلَيْكَ (11) .

=وَالفَقْرِ وَالعَجْزِ ، شَبِيهَةٌ بِاللَّيْلِ فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا شَمْسُ التَّجَلِّى بِأَنْ تَجَلَّى اللهُ بِالغِنَى عَلَيْكَ اسْتَنَارَتْ ذَاتُكَ أَىْ حَصَلَ لَهَا نُورٌ بِالغِنَى وَالقُدْرَةِ ، وَإِذَا قَبَضَ عَنْهَا ذَلِكَ رَجَعَتْ إِلَى حَالِهَا .

(6) أَىْ أَوْصَافِهِ الشَّبِيهَةِ بِالشُّمُوسِ .

(7) أَىْ عَلَى أَوْصَافِكَ الذَّاتِيَّةِ الشَّبِهَةِ بِاللَّيْلِ فَتَظْهَرُ خُصُوصِيَّتُكَ فَتَكُونَ قَادِراً بِاللهِ قَوِياً بِهِ وَهَكَذَا فَإِذَا تَجَلَّى عَلَيْكَ بِصِفَةِ القُدْرَةِ حَدَثَت فِيكَ قُوَّةٌ غَطَّتْ عَجْزَكَ وَبِصِفَةِ العِلْمِ حَدَثَ فِيكَ عِلْمٌ غَطَّى جَهْلَكَ وَهَكَذَا .

(8) مِنَ العَجْزِ وَالضَّعْفِ وَالجَهْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلا تَظْهرُ خُصُوصِيَّتُكَ وَلِذَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ تَارَةً يَظْهَرُ عَلَيْهِ وَصْفُ القُوَّةِ والقُدْرَةِ فَيُطْعِمُ أَلفاً مِنْ صَاعٍ ، وَتَارَةً يَظْهَرُ عَلَيْهِ وَصْفُ العَجْزِ فَيَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الجُوعِ . وَكَذَا وَرَثَتُهُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ .

(9) وَهُوَ تِلْكَ الخُصُوصِيَّاتُ الَّتِى ظَهَرَتْ عَلَيْكَ .

(10) لَيْسَ مِنْ أَوْصَافِكَ الذَّاتِيَّةِ .

(11) مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِنْ شَاءَ أَبْقَاهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَالَهُ . وَلِذَا تَرَى بَعْضَ الأَوْلِيَاءِ فِى بَعْضِ الأَحْيَانِ عِنْدَهُمْ قُوَّةُ بَطْشٍ ، وَفِى بَعْضِهَا يَكُونُونَ عَاجِزِينَ . وَمَعَ هَذَا شُمُوسُ أَنْوَارِ قُلُوبِهِمْ وَهِىَ المَعَارِفُ وَالأَسْرَارُ لا تَغِيبُ وَلا تَغْرُبُ وَإِنَّمَا الَّذِى يَغِيبُ هُوَ الخُصُوصِيَّاتُ الَّتِى تَظْهَرُ عَلَى ظَوَاهِرِهِمْ . وَهِىَ الشُّمُوسُ المُرَادَةُ هُنَا فَلا تَعَارُضَ . وَقُلْتُ :

مَنْ ذَا يُخَصِّصُهُ وَعَنْهُ زَالَ وَصْفُ البَشَرِ ؟

وَسِرُّهُ كَالشَّمْسِ فِى	أُفْقٍ بَدَتْ لِلنَّظَرِ
فَإِنْ عَلَيْكَ أَشْرَقَتْ	فَأَنْتَ جِدُّ مُبْصِرِ
وَإِنْ تَغِبْ فَعَبْدُهُ	وَلَسْتَ بِالمُقَصِّرِ

(201) لا يُعْلَمُ قَدْرُ أنْوَارِ القُلُوبِ والأَسْرَارِ [1] إلاَّ فِى غَيْبِ المَلَكُوتِ [2] كَمَا لا تَظْهَرُ أنْوَارُ السَّمَاءِ [3] إلاَّ فِى شَهَادَةِ المُلْكِ .

« حـــرف الميـــم »

(202) مِنْ عَلامَاتِ الاعتِمادِ عَلَى العَمَلِ [1] نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزلَلِ .

---

(201) ـ (1) السَّـرائرُ أى الأنوارُ المُشْرِقَـةُ عَلَيْـهَـا . وَهِىَ العُلُومُ وَالمعَـارِفُ اللَّدُنِّيَّـةُ وَالحقَـائقُ الإلهيَّةُ .

(2) أى الملكُوت الغَائب عَنَّا وَهُوَ عَالَمُ الآخرَة . فَمَنْ آمَنَ بالغَيْب وَسَعَى فى تَهْذيب نَفْسه حَتَّى حَصَلَتْ عندَهُ هَذه الأنْوَارُ شَاهَدَ الحظَّ الأوْفَرَ هُنَاكَ وَإنْ كَانَ مُهَاناً فى الدنيا غَيْرَ مُعْتَنًى به فيهَا .

(3) وَهِىَ أنْوَارُ الكَوَاكب إلاَّ فِى شَهَادَةِ المُلك أى الملك المشاهَد وَهُوَ عَالمُ الدنيا لحُصول المنَاسَبَة بَيْنَ هَذه الأشيَاء . وَقُلْتُ :

وَنُورُ القَلبِ فِى الملكُوت يَبْدُو وَأنْـوَارُ السَّـماء بَدَتْ بمُـلك

(202) ـ (1) عَـمَل الجَـوَارِح مِنْ صَلَوات وَأذْكَار وَغَـيرهمـا ، وَالمعْـتَـمـدُ عَلَى ذلكَ العُبَّادُ ، وَالمُريدونَ فَـالأوَّلونَ فى دُخُـول الجنة وَالنَّجَـاة منَ النَّار وَالآخـرُونَ فى الوُصُــول إلى الله وَالمكَاشَفَات ونَحْوهَا وكلاهُمَا نَاشِىءٌ مَنْ رُؤيَة العَمَل وَنسبَته إلىَ النَّفْس حَتَّى يُنْتجَ مَا ذَكَرَهُ أمَّا العَارِفُونَ فلاَ يَرَوْن لأنفُسهمْ عملاً يَعْتَمدُونَ عَلَيْه وَعَلامَةُ كَون المرء مَنَ القسْمَين الأوَّلَيْن نُقْصَانُ رَجَائه فى الله أنْ يُوَصِّلَه إلىَ الجَنة إنْ كَانَ عَابداً ، وَإليْـه إنْ كَـانَ مُريداً ـ عنْدَ وُجُـود الزلَل أى المعْصيَة منْهُ كَزناً وَغَفْلَة وَتَرْك أوْرَاد ، وَمنْ عَلامَة كَوْن العَبْد عارفاً شُهُودُهُ تَصْريفَ الحَقِّ فيه فَلا يَنْقُصُ رَجَاؤُهُ بالمعْصيَة ، وَلا يَزيدُ خَوْفُهُ بالعصْيَان بَلْ رَجَاؤُهُ وَخَوفُهُ سيَّان ، وَمُرَادُ المصنِّف بهَذه الحكَمَة تَنْشيطُ السَّالك وَرَفْعُ همته عَن الاعتمَاد عَلَى شَىء سوَى مَوْلاهُ ، لا التَزهيدُ فى الأعْمَال لأنَّها سَبَبٌ عَادىٌّ فى الوُصُول إلى الله تَعَالى ، وَلا تَحْقيرُ مَا تَنْتجُهُ منَ الأحْوَال وَغَيْرهَا لأنَّ ذَلكَ منَّةٌ منَ الله تَعَالَى لا يَنْبَغى رَدُّهُ وَقُلْتُ : =

(203) مَا نَفَعَ القَلْبَ مِثْلُ عُزْلَةٍ[1] يَدْخُلُ بِهَا مِيْدَانَ فِكْرَةٍ[2] .

(204) مِمَّا يَدُلُّكَ[1] عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ[2] .

(205) مَا تَرَكَ مِنَ الجَهلِ شَيْئاً مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْدُثَ فِي الوَقْتِ غَيْرُ مَا أَظْهَرَهُ اللهُ فِيهِ[1]

= نَقْصُ رَجَاءِ العَبْدِ عِنْدَ الزَّلَلِ عَلامَــةُ اسْــتِنَادِهِ لِلعَمَلِ

(203) ـ (1) اعْتِزَال عَنِ النَّاسِ .

(2) أَيْ فِكْرَةٌ شَبِيهَةٌ بِالمِيدَانِ لِتَرَدُّدِ القَلْبِ فِيهَا كَتَرَدُّدِ الخُيُولِ فِي المِيدَانِ . فَالمُرِيدُ إِذَا كَانَ مُخَالِطاً لِلنَّاسِ اشْتَغَلَ نَظَرُهُ بِالمَحْسُوسَاتِ فَلا يَتَفَكَّرُ قَلْبُهُ إِلاَّ فِيهَا . وَلا يَزَالُ نَاظِراً لِعَالَمِ الشَّهَادَةِ فَإِذَا اعْتَزَلَهُم انْعَكَسَ الحَالُ ، وَجَالَ قَلْبُهُ فِي عَالَمِ الغَيْبِ ، وَفِي الخَبَرِ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً . وَقُلْتُ :

وَلَم يَنفَعْ فُؤَادَكَ مِثْلُ عُزْلَةْ لَهُ فِيهَا إِلَى مَوْلاهُ رِحْلَةْ

(204) ـ (1) الخِطَابُ لِلعَامَّةِ .

(2) وَمَعَ كَوْنِ مَا ذُكِرَ عَدَماً فَهُوَ حِجَابٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ النَّاسَ لا يَشْهَدُونَ عِنْدَ نَظَرِهِمْ إِلاَّ الأَكْوَانَ لا المُكَوِّنَ مَعَ أَنَّهَا لا وُجُودَ لَهَا حَقِيقَةً بَلِ الوُجُودُ لَهُ . وَقُلْتُ :

مِنْ قَهْــرِهِ سُــبْحَانَهُ حِجَــابُهُ بِالعَــدَمِ

(205) ـ (1) إِذَا كَانَ المُرِيدُ فِي حَالٍ بَدَنِيٍّ أَوْ قَلْبِيٍّ لا يَذُمُّهُ الشَّرْعُ لَزِمَهُ حُسْنُ الأَدَبِ فِي اخْتِيَارِ بَقَائِهِ عَلَيْهِ وَرِضَاهُ بِهِ حَتَّى يَنْقُلَهُ اللهُ عَنْهُ . فَإِذَا كَانَ مُتَجَرِّداً وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالتَّكَسُّبِ أَوْ كَانَ فِي صَنْعَةٍ وَأَرَادَ الانْتِقَالَ عَنْهَا لِغَيْرِهَا كَانَ قَلِيلَ الأَدَبِ مَعَ مَوْلاهُ جَاهِلاً بِمَا يُنَاسِبُ حَضْرَتَهُ . وَكَذَا إِنْ كَانَ فِي قَبْضٍ وَأَرَادَ الانْتِقَالَ عَنْهُ إِلَى حَالِ بَسْطٍ ، وَهَذَا مِنْ مُعَارَضَةِ حُكْمِ الوَقْتِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ الصُّوفِيَّةُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ ذُنُوبِ الخَاصَّةِ وَقُلْتُ :

وَمَنْ يَبْتَغِي فِي الوَقْتِ غَيْرَ الَّذِي بِهِ فَذَلِكَ كُــلَّ الجَهْــلِ بِاللــهِ يَجْهَلُ

(206) مَا أرَادَتْ همَّةُ سَالك (1) أنْ تَقفَ عنْدَ مَا كُشفَ لهَا (2) إلاَّ ونَادَتْهُ هوَاتفُ الحَقيقَة (3) الذى تَطلُبُهُ أمَامَكَ (4) ولاَ تبَرَّجَتْ (5) لَه ظَوَاهرُ المُكَوَّنَات إلاَّ ونَادَتْهُ حقَائقُهَا (6) إنَّمَا نَحْنُ فتْنَةٌ (7) فَلا تكْفُرْ (8)

(207) مَا منْ نَفَسٍ تُبْديه إلاَّ ولَهُ قَدَرٌ (1) فيكَ يُمْضيه .

---

(206) ـ (1) سَائر إلى الله .

(2) اثنَاءَ السَّيْر منَ المعَارف وَالأسْرَار وَالأنْوَار بأنْ يَرَى أنَّ مَا وَصَلَ إليْه هُوَ الغَايةُ . فَتَقفَ هَمَّتُهُ عنْدهُ . أوْ يَرَى أنّ مَا فَوْقَهُ أعظَمُ مِنْهُ لكنَّهُ يَقْنَعُ بذَلكَ فَلاَ يَرقَى بهمَّته أوْ يَرَى قُصُورَ همَّته عَن الرُّقىِّ لمَا فَوْقَهُ .

(3) أىَ الهوَاتفُ التَى تَهْتفُ عَنْ قَلْبه منْ جهَة الحَقيقَة الإلهيَّة .

(4) وَهُوَ وُصُولُكَ إلىَ المَوْلَى فَجدَّ فِى المسير ولا تَقفْ عنْد مَا كُشفَ لَكَ .

(5) أظْهَرَتْ مَحَاسنَهَا له كَتَسْخير الخَلْق وَظُهُور خَوَارق العَادَات كَالمشْى عَلَى المَاء وَتَكثير القَليل منَ الطَّعَام ، وَطَىِّ الأرْض .

(6) بوَاطنُهَا نداءً مَعْنَويّاً .

(7) ابْتلاءً وَاخْتبَاراً .

(8) أى فَلا تُفْتَتَنْ بنَا فَتَقفَ عنْدَنَا فَتُحجَبَ عَن الله لأنَّ ذَلكَ كُفْرٌ لحقِّ المُنعم عَلَى نعَمه إذْ حَقُّهُ الشُّكْرُ وَقَدْ وَقَفَ عنْدَهَا ولَمْ يَشكُرْهُ وَقُلْتُ :

هَوَاتفُ الحَقِّ نَادَتْ لسَالك ذى وُقُوف
هَيْهَاتَ أيْنَ وصَالٌ وَاحْذَرْ خداعَ الكُشُوف

(207) ـ (1) منْ طَاعَة أوْ مَعْصيَة أو نَعمَة أوْ بَليَّة فَيَنْبَغى لَكَ الأدَبُ مَعَهُ فى كُلِّ نَفَس . وَقُلْتُ :

مَا نَفَسٌ منْكَ صَدَرْ إلاَّ لَهُ فيكَ قَدَرْ

(208) مَا تَوَقَّفَ (1) مَطْلَبٌ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ (2) وَلا تَيَسَّرَ مَطْلَبٌ أَنْتَ طَالِبُهُ بِنَفْسِكَ (3) .

(209) مِنْ عَلامَاتِ النُّجْحِ فِي النِّهَايَاتِ ـ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ فِي البِدَايَاتِ (1) .

(210) مَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُ (1) أَشْرَقَتْ نِهَايَتُهُ (2) .

---

(208) ـ (1) تَعَسَّرَ .

(2) مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ فِي تَيْسِيرِ ذَلِكَ المطلَب أَكَانَ دُنْيَوِيًّا أَمْ أُخْرَوِيًّا .

(3) بِأَن اعْتَمَدْتَ عَلَى قُوَّتِكَ . فَمَنْ أَنْزَلَ حَوَائِجَهُ بِاللهِ وَتَوَكَّلَ فِي أَمْرِهِ عَلَيْهِ كَفَاهُ كُلَّ مُؤْنَة . وَقَرَّبَ عَلَيْهِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَمَنْ سَكَنَ إِلَى عِلْمِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ وَخَذَلَهُ فَلَمْ يُنْجِحْ مَطْلَبَهُ وَقُلْتُ :

مُتَيَسِّرٌ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ بِهِ ... وَمُعَسَّرٌ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ بِكَا

وَقُلْتُ فِي الكَافِيَةِ الكُبْرَى :

مَلِّكْ فُؤَادَكَ مِنْ مُقَدَّرِهِ الرِّضَا ... فَالخَيرُ فِيمَا اخْتَارَهُ مَوْلاكَا

مُتَعَسِّرٌ مَا قَدْ رَجَوْتَ بِغَيْرِهِ ... وَمُيَسَّرٌ مَا كَانَ فِيهِ رَجَاكَا

(209) ـ (1) بِدَايَةُ المريد : حَالُ سُلُوكِهِ . وَنِهَايَتُهُ حَالُ وُصُولِهِ ، فَمَنْ صَحَّحَ بِدَايَتَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ لاَ عَلَى أَعْمَالِهِ المعْلُولَةِ ـ نَجَحَ فِي نِهَايَتِهِ أَيْ حَصَلَ لَهُ الوُصُولُ ، وَأَمِنَ عَلَيْهِ مِنَ الرُّجُوعِ مِنَ الطَّرِيقِ ، وَمَنْ لَمْ يُصَحِّحْ بِدَايَتَهُ بِمَا ذُكِرَ انْقَطَعَ وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ وَقُلْتُ :

مِنْ آيِ نُجْحِ العَبْدِ فِي النِّهَايَهْ ... رُجُوعُهُ لِلَّهِ فِي البِدَايَهْ

(210) ـ (1) بِأَنْ عَمَّرَ أَوْقَاتَهُ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالأَوْرَادِ وَثَابَرَ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ المثَابَرَة .

(2) بِإِفَاضَةِ الأَنْوَارِ وَالمعَارِفِ عَلَيْهِ ، وَزَوَالِ كُدُورَاتِ النَّفْسِ الحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلاهُ عَلَى وَجْهٍ أَتَمَّ ، وَعَكْسُهُ بِعَكْسِهِ فَمَنْ كَانَ قَلِيلَ الاجْتِهَادِ فِي بِدَايَتِهِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ إِشْرَاقٌ فِي نِهَايَتِهِ وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ فُتِحَ عَلَيْهِ كَانَ عَلَى وَجْهٍ أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهِ . وَقُلْتُ :

مَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهْ ... مُشْرِقَةٌ نِهَايَتُهْ

(211) مَا اسْتُودِعَ فِي غَيْبِ السَرَائِرِ (1) ظَهَرَ فِي شَهَادَة الظَّوَاهِرِ(2) .

(212) مَا قَلَّ عَمَلٌ بَرَزَ مِنْ قَلْبِ زَاهِد (1) وَلا كَثُرَ عَمَلٌ بَرَزَ مِنْ قَلْبِ رَاغِب(2)

(213) مِنْ عَلامَات مَوْت القَلْب (1) عَدَمُ الحُزنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ المُوَافَقَات(2) وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَعَلتَهُ مِنَ الزَّلاَّت .

---

(211) ـ (1) أيْ فِي القُلُوبِ الغَائِبَة أيْ غَيْرِ المُشَاهَدَة بالأبصَار مِنَ العُلُومِ وَالمعَارِف الإلهيَّة .

(2) أيْ فِي الظَّوَاهِرِ الشَّاهِدَة أي الحَاضِرَة . قَالَ أبُو حَفْص رضي الله عنه : حُسْنُ أدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ أدَبِ البَاطِنِ قَال ﷺ : (لَو خَشَعَ قَلْبُ هذَا لخشعت جوارحُهُ) أهـ .

وَمِمَا أنشأتُه فِي النَّوْمِ :

وَتَأدَّبْ حِساً وَمَعْنَى وَهَذّبْ ... لِهَوَى النَّفْسِ كَيْ تَسِيرَ وَرَاكَا

وَقُلْتُ :

وَيَلمَحُ أرْبَابُ البَصَائِرِ كُلَّ مَا ... بِقَلبِكَ مكْنُونٌ عَلَى القَسَمَاتِ

وَقُلْتُ :

وَمَا اسْتَودعَتْهُ غَيْبَ السَّرَائِرِ ... تبَيِّنُهُ شَهَادَاتُ الظَّوَاهِرْ

وَقلت :

مَا أودِعَ القَلبَ مِنْ مَعْنى تُبَيِّنُهُ ... آثَارُهُ فَاعتَبِرْ مَا فِيه بِالأثَرِ

(212) ـ (1) أيْ غَيْرِ مُتَعَلِّق بالدُّنيا .

(2) أيْ رَاغِب فيهَا ، وَحَاصِلُ المعنَى مَقَادِيرُ الأعْمَال عَلَى حَسَبُ قُلُوب العُمَّال ، فَالنَّاشِيءُ مِنَ القلب المتعَلِّقِ بالدنيا قَلِيلُ مَعْنىً ، وَإنْ كَثُر حساً ، وَالنَّاشِيءُ مِنَ الزَّاهِدِ فيهَا وَإن قَلَّ حساً كَثُرَ مَعْنى وَقُلْتُ :

مَا قَلَّ مِنْ زَاهِد فِي خَلقه عَمَلُ ... وَلا كَثِيرَ لِمَنْ فِيهِ لَهُ أمَلُ

(213) ـ (1) أيْ مَوْت قَلْبِ المريد .

(2) الطَّاعَات ، وَعَلامَةُ حَيَاة القَلْبِ الحزْنُ عَلَى حُصُولِ المعصية ، وَالفَرَحُ بالطَّاعَة ، فَإذا =

(214) مَا بَسَقَتْ أغْصَانُ ذُلٍّ إلا على بَذْرِ طَمَعٍ[1] .

(215) مَا قَادَكَ شَىءٌ مِثْلُ الوَهْمِ[1] .

(216) مَنْ لَم يُقْبِلْ عَلَى اللهِ بِمُلاطَفَاتِ الإحْسَانِ قِيدَ إليه بِسَلاسِلِ الامتِحَانِ[1] .

=سَرَّتْكَ الحَسَنَةُ ، وأحْزَنَتْكَ السَّيئةُ فَأنْتَ مُرَادٌ فَلا تَكْسَلْ فَإذَا كَسِلْتَ فَأنتَ مَرِيضٌ فَداوِ قَلْبَكَ وَقُلْتُ :

إذا القَلْبُ لم يَحْزَنْ على فَوْت طَاعَة وَفِعْــلِ مَعَــاصٍ كَــانَ واللــه مَيِّتَا

(214) ـ (1) بَسَقَتْ : طَالَتْ . وَالمعْنَى : لا تَغْرِسْ بَذْرَ الطَمَعِ فِى قَلْبِكَ فَتَخرجَ مِنْهُ شَجرةُ الذُّلِّ وَتتشعَّبَ أغْصَانُهَا وَفُروعُهَا ، فَالطَمَعُ أصْلُ الآفات لأنَّهُ تَعَلقٌ بالنَّاسِ وَالتجاءٌ إلَيْهِمْ ، وَعُبُودِيةٌ لَهُمْ ، وَفى ذَلكَ منَ الإهَانَة مَا فيه ، وَسَبَبُهُ الشَّكُّ فى المقْدُور ، وَيُقَابِلُ الطَّمَعَ وَرَعُ الخَاصَّة ، وَهُوَ صحَّةُ اليَقينَ وَكَمَالُ التَّعلّق برَبِّ العَالمينَ ، والسكُونُ إليْه لا وَرَعُ العَامة وَهُو تَرْكُ الشُّبُهَات وَعَلَى هَذا يُقَالُ : مَا بَسَقَتْ أغْصَانُ عِزٍّ إلاَّ عَلَى بَذْرِ وَرَعٍ .

(215) ـ (1) الوَهمُ : عبَارةٌ عَنِ التَّخَيُّلِ وَالحُسْبَان التَّقْديرِىّ ، وَالمعْنَى أنَّ تَوَهُّمَ النَّفعِ فى النَّاس حَاملٌ عَلَى الطَّمَع فيهم ، وَذَلكَ أنَّ النُّفُوسَ تَنْقَادُ لأوْهَامهَا أكْثَرُ منَ انقيَادهَا لعقُولهَا ألاَ تَرَى أنَّ الطَّبْعَ يَنْفرُ منَ الحيَّة خيفَةَ ضَرَرهَا المتوهَّم بَل منَ الحَبلِ المُرَقَّش لشَبهه بهَا ، وَلَو انْقَادَت للعقْلِ لَمَا نَفَرتْ لأنَّ مَا قُدِّرَ يَكُونُ ، وَمَا لم يُقَدَّرْ لم يكَنْ ، وَلاَ يَسْلَمُ منَ الطمع فى الخَلق وَالرغبَة فيهم إلاَّ مَنْ نَارت بَصَائرُهُمْ وَاعتَمَدُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَعَلمُوا علْمَ اليَقين أنَّه لا يُصيبُهمْ إلاَّ مَا كُتبَ لَهُم وَفى هَذه الحكمَة وَالتى قَبلَهَا قُلْتُ :

وَمَا بَسقَتْ غُصُونُ الذُّلِّ إلاَّ عَلَى بَذْرِ المطَامعِ فَاحْسمَنْهَا
وَمَا قَادَ الفتَى كَالوَهمِ شَىءٌ لأطمَــاعٍ فَدَعْــهُ تأمَنَنْــهَا

(216) أىْ بالامتحَانَات وَالمصَائب الشَّبيهَة بالسَّلاسل ، يُريدُ أنَّ سَبَبَ الإقبَال عَلى الله أمْرَان الأوَّلُ إيرادُ النِّعَم عليه فَيَشْكُرُ اللهَ عَلَيْهَا وَيُقبلُ عَلَى خدمَته وَالثَّانى إنْزَالُ المصَائب عَلَيْه فى بَدَنه أوْ مَاله فَيَرجعَ إلَى الرَّبِّ وَيَتَضرَّعَ إلَيْه فى دَفعهَا ، وَمُرَادُ الرَّبِّ منَ العَبْد رُجُوعُهُ إليه طَوْعاً أوْ كَرْهاً وَقُلْتُ :

(217) مَنْ لـمَ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَـدْ تَعـرَّضَ لِزَوَالِهـا ، وَمَنْ شَكَرهَا فَقَـدْ قَيَّـدَهَا بِعقَالِهَا [1] .

(218) منْ جَهْلِ المريد أنْ يُسيءَ الأدَبَ [1] فَتُؤخَّرُ العُقُوبَةُ عَنْهُ [2] فَيَقُولُ : لَوْ كَانَ هَذَا سُوءَ أَدَبٍ لَقَطَعَ الإمْدَادَ ، وأوْجَبَ الإبعَادَ ، فقَدْ يُقْطَـعُ المـدَدُ عَنْهُ منْ حَيث لا يَشْعُرُ ، ولَو لمَ يكُنْ إلاَّ مَنْعُ المزيد[3] ، وَقدَ يُقَامُ مَقَامَ البُعدِ ، وَهُوَ لا يَدْرِى ولـو لَم يكُنْ [4] إلاَّ أنْ يُخَليكَ وَمَا تُريدُ [5] .

إذَا أنْتَ لمَ تُقْبِلْ عليَه بفَضْله ... يَقُدكَ إليْه بالَّذى أنْتَ كَارهُ

(217) ـ (1) شُكْرُ النِّعَمِ مُوجِبٌ لبَقَائهَا ، وَالزيَادَة منْهَا قَالَ تَعَالىَ : ﴿ لئِن شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ ﴾ وَكُفْرَانُهَا ، وَعَدَمُ شُكْرهَا مُوجِبٌ لزَوَالها قَالَ تَعَالىَ : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بأَنفُسِهِمْ ﴾ أىْ إذَا غَيَّروا مَا بأنفُسهمْ منَ الطَّاعَات وَهىَ شُكْرُ النِّعَمِ ـ غَيَّرَ اللهُ مَا منَهُ منَ الإحْسَان وَالكَرَمِ ـ وَالشُّكْرُ إمَّا بالقَلْب بِأَنْ تَعْلَمَ أنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا منَ الله تَعَالَى وَإمَّا بـاللِّسَان بأنْ تَتَـحدّثَ بنعمَة الله تَعَالى قَالَ تَعَالىَ : وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدّثْ ـ وَإمَّا بالجَوَارِحِ بأنْ تَصْرفَهَا فِى طاعة الله وَتَكُفَّهَا عَمَّا لاَ يُرضيه . وَقُلْتُ :

قَيِّـدِ النعـــمَاءَ بِالشُّكْرِ فَـإنْ ... فَـاتَكَ الشُّكْرُ فَقَـدْ أطْلَقْـتهَا

وَقُلْتُ :

وَصِدْ أنْعماً بالشُّكْرِ منْكَ لمُنعمٍ ... وَقَيِّدْ لمَـا أوتيتَ منْها بشُكْرِه

(218) ـ (1) إمَّـا مَعَ الله كَـالاعْـتـرَاض عليْـه أوْ مَعَ المَشَايخ كالاعـتـرَاضِ عَلَيهمْ وَعَـدمِ قَبُـولِ إشَارَتهمْ وَإمَّا مَعَ بَعْضِ النَّاسِ بالإعترَاضِ عليَهم . وَإمَّا مَعَ نَفْسه كأن يَستَرسلَ فى شَهَوَاتهَا .

(2) بأنْ لا يُعَاقبَ فِى ظَاهره بالأسْقَام وَلا فى بَاطنه بحَسَبِ زعمه .

(3) وَلو لم يَكُنْ منْ قَطع المَدَد إلا مَنْعُ الزِّيَادة منْهُ لَكَانَ ذَلكَ كَـافـيـاً فى قطعـه ، وَقطعُـهُ مَـبْـدَأ الحجَاب فَإذَا بُدىءَ به المريدُ وَلَم يَلْطفْ به الله حَالاً سقَطَ منْ عَيْنِ رَبِّه ، وَوَقَعَ الحجَابُ عَلى قَلبه

(4) منْ إقَامَته مَقَام البُعْد .

(5) بأنْ يُسَـلِّطَ نَفْسَكَ عَلَيْكَ ، وَيَكلكَ إليـــهَا ، وَكَفَى بِهذَا سُـقُوطاً لمنْزلتـكَ عَـنْدَ رَبِّـكَ=

(219) مَنْ رَأَيْتَهُ(1) مُجيباً عَنْ كُلِّ مَا سئلَ(2) ، وَمُعَبِّراً عَنْ كُلِّ مَا شَهِدَ(3) ، وَذَاكِرًا كُلَّ مَا عَلِمَ(4) فَاسْتَدِلَّ بِذلكَ عَلَى وُجُودِ جَهْلِه(5) .

= وبُعداً عَنْهُ . وَقُلْتُ :

يَا مَنْ جَهِلْتَ وَقَدْ تَأَخَّرَ عَنْكَ مَا تُجزَى بِهِ
فَتَقُولَ لَوْ كُنْتُ المسيءَ لَنِلْتُ شَرَّ عِقَابِه
أَوَ مَا كَفَاكَ مِنَ العقَابِ الذَّوْدُ عَنْ أَبْوابِه
وَهَوىَ حشَاشَتَكَ الهَوَى وَهُوَ الذِى تَهْوِى به

وَقُلْتُ :

وَلَقَدْ يُطيلُ لكَ العنَانَ مُخَالفاً لِيَزِيدَ مِنْ إيذَاكَ فِى عُقْبَاكَا

(219) ـ (1) منَ المريدينَ وَالعَارفينَ .

(2) عَمَّا يُفيضُهُ اللهُ عَلَيهِمْ منَ العُلُومِ وَالموَاهب .

(3) أى شَهِدَهُ وَذَاقَهُ وَهِىَ تَلكَ العُلُومُ وَالموَاهِبُ .

(4) منْ تلكَ العُلُوم .

(5) لأنَّ إجَابَتَهُ عَنْ كُلِّ سُؤَال دَليلُ عَدَمِ تَأدُّبه بآدَاب القَومْ ، وَفَهْم مَشَاربهمْ ، وَادّعاؤُهُ كَثْرَةَ العلم وَعَدَمُ تَفرقَته بينَ منْ تحسُنُ إجَابَةُ سُؤاله لأنَّهُ مُنَاسبٌ أوْ لا يُجَابُ عَنهُ لأنَّ جَوَابَهُ فتنةٌ عَلَيْه وَلأنَّ تَعبيرَهُ عَنْ كُلِّ مَشهوده نَوعٌ من إفشَاء السِّرِّ الذْى يجبُ كَتْمُهُ ، وَلأنَّ الأمُورَ المشْهُودَةَ يُشارُ إليها وَلا يُعَبَّرُ عَنْهَا لمَا فى التَّعبيرَ عَنْهَا منَ ابتذَالهَا عَلَى أن العبَارةَ لا تَزيدُهَا إلاَّ غُمُوضاً لأنَّ الذُّوقيات مُحَالٌ إدرَاكُهَا بالعبَارَات ، وَذكْرُهُ لكلِّ مَعْلوم لَهُ دَليلٌ علىَ عَدَم تفرقَته بينْ المعلومَات وَقَدْ يَكُونُ فيهَا مَا لا يَصحُّ ذكْرُهُ لمَا يَلزَمُ عَلَيه منَ الضَّرر وَإنْكَار النَّاس لَهُ ـ قال ﷺ : (إنَّ منَ العلم كَهيئَة المَكنُون لا يعرفُهُ إلاَّ العُلمَاءُ بالله ـ فإذَا أظْهَرُوهُ أنكَرهُ أهْلُ الغرَّة بالله) وَقَال أبو هُرَيْرَةَ رَضىَ اللهُ عَنْهُ : حَفظتُ منْ رَسُول الله ﷺ جرَابَيْن منْ العلم أمَّا أحدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ للنَّاس وأمّا الآخرُ فَلَوْ بَثَثْتُه لَقَطَعْتُم منىِّ هَذَا الحُلْقُومَ . وَمَصْدُوقُ (مَا سُئلَ وَمَا شَهدَ وَمَا عَلمَ) وَاحدٌ . وَإنَّمَا يختَلفُ باعتبَار السُّؤَال عَنْهُ ، وَإفشَائه بالعبَارَة وَعُمُوم ذكره وَقُلْتُ :

وَمَنْ يُفْش أسرارَ السُّلُوك لغير مَنْ يَسيرُ بِهِ للهِ فَهْوَ جَهُولُ =

(220) مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةَ عَمَله (1) عَاجِلاً (2) فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ القَبُول آجلاً (3) .

(221) مَتَى رَزَقَكَ الطَّاعَةَ (1) وَالغنَى بِهِ عَنْهَا(2) فَاعْلَم أنَّه قَدْ أسْبَغَ عَلَيكَ نعمَهُ ظَاهِرَةً (3) وبَاطِنَةً (4) .

(222) مَا العَارِفُ مَن إذَا أشَارَ (1) ـ وَجَدَ الحَقَ أقْرَبَ إلَيْه منْ إشَارَته (2) بَل

= وَقُلْتُ :

مَنْ كَانَ عَنْ كل سُؤال مُخْبِرا وَعَنْ جَمِيعِ مَا رَأى مُعَبِّرَا
وَذَاكِراً كُلَّ الذى قَدْ علِمَا فَإنَّهُ مِنْ جَهْله مَا سَلِمَا

(220) ـ (1) أىْ لَذَّتَهُ وَانْشِرَاحَهُ لَهُ .

(2) فى الدُّنيَا .

(3) قَالَ أبُو تُرَاب : إذَا صَدَقَ العَبْدُ فى العَمَلِ وَجَدَ حَلاوتَهُ قَبْلَ أنْ يَعْمَلَهُ وَإذَا أخْلصَ فيه وَجَدَ حَلاوتَهُ وَقْتَ مُبَاشرَةِ العَمَل . وَإذَا وَجَدَ تلكَ الحلاوَةَ فَالوَاجبُ أنْ لا يَسكُنَ إليْهَا وَلا يَقِفَ عِنْدَهَا وَلا يَقْصدَ بعَمَله حُصُولَهَا فَإنَّ ذَلكَ قَادحٌ فى إخْلاصِ عِبَادَته . وَليَكُنِ اعْتِنَاؤُهُ بِهَا لِتَكُونَ مِيزَاناً لأعْمَاله ، وَتَصحيحاً لأحوَاله ، وَقُلْتُ :

نتيجَةُ فعلكَ فى العَاجلِ دليلُ قَبُولكَ فى الآجلِ

(221) ـ (1) امْتِثَالَ الأوَامر وَاجتنَابَ النوَاهى فى الظَّاهر .

(2) بأنْ لا تَرْكَنَ إليْهَا فى نَيْلِ مَطلُوبَاتكَ بَلْ تَغيبَ عَمَّا سوَاهُ .

(3) وَهىَ تلكَ الطاعَةُ .

(4) وَهىَ مَعْرِفتُكَ التى غَيَّبتْكَ عَنْهَا وَقُلْتُ :

ومنْ يُرْزَقْ لطَاعَته وَيَغْنَى به عَنْهَا فَقَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَا

(222) ـ(1) إلىَ شَىْء منَ الأسْرَار الربَّانِيَّة كَالمَوَاجِيد وَالأذْوَاق .

(2) بأنْ كَانَ مَعَه وَلَم يَغبْ عَنْهُ وَإنَّمَا لمَ يَكُنْ عَارِفاً لأنَّه لَم يَفْنَ عَنْ نَفْسه إذْ لاحَظَ أنَّ هُنَاكَ مُشيراً وَمُشَاراً إليْه وَمُشَاراً به فلم يَزَلْ مَعَ الأغْيَارِ .

العَارِفُ مَنْ لا إشَارَةَ[1] لَهُ لفَنَائه في وُجُوده وَانطوَائه في شُهُوده .

(223) مَطْلَبُ العَارِفِينَ مِنَ الله الصِّدْقُ فِى العُبُودِيَّة[1] وَالقِيَامُ بحُقُوقِ الرُّبُوبِيَّةِ[2] .

(224) مَتَى فَتَحَ لَكَ بَابَ الفَهْمِ فِى المَنْعِ عَادَ المَنْعُ عَيْنَ العَطَاءِ[1]

---

(222) ـ (1) أىْ مَنْ لا يَشْهَدُ أنّ له إشَارَةً وَإنْ وَقَعَتْ مِنْهُ ، لفَنَائه عَنْ وُجُود نَفْسه ، وَانطوَائه عَنْ شُهُودهَا وسُئِل بَعْضُهُمْ عَن الفَنَاء فَقَالَ : هُوَ أنْ تَبْدُوَ العَظَمَةُ وَالجَلالُ عَلَى العَبْد فَتُنسيَهُ الدنيا والآخرَة والدَّرَجَات والأذْكَارَ ، وتُفْنيه عَنِ الأشْيَاء وَعَنْ فناء عَنِ الفَنَاء فَيَغْرَقَ فِى التعظيم أهـ بتَصرُّف وَقُلْتُ :

إنَّ الفَنَاء فَنَــاءُ العَــارِفِينَ بهِ ... عَنْ غَيْرِه ، وَفَنَاهُمْ عَنْ فَنَى فيه

وَقُلْتُ :

وَمَا عَـارِفٌ بالله رَبُّ إشَارَة ... وَإنْ كَانَ مِنْهُ الحَقُّ أدنَى وَأقْرَبَا
وَلكنَّهُ مَنْ غَـابَ عَنْهَـا بربِّه ... وَعَـنْ أنَّهُ قَدْ غَـابَ عَنْهَا تغَيُّبًا

(223) ـ (1) صِدْقُ العُبُودِيَّة التِزَامُ آدابهَا ، وَالقيَامُ بحُقُوق الله فيهَا كَالشُّكْر عَلَى مَا أوْلاهُ ، وَالصَّبْر عَلَى مَا ابْتَلاهُ ، وَمُعَادَاة مَنْ عَادَاهُ ، وَمُوَالاة مَنْ وَالاهُ ، وَتَرك الاخْتيَار عليه ، وَالتدْبير مَعَهُ وَدَوام المرَاقبَة لَهُ ـ إلى غَيْر ذَلكَ فَمَنْ صَدَقَ فى ذَلكَ كَانَ مُوفياً بمَا عَاهَدَ اللهَ عليه .

(2) فى ظَاهرهمْ بالطَّاعة ، وَفى بَاطنهم بدَوَام المرَاقَبَة لَهُ وَالحُضُور مَعَهُ وَلا شَكَّ أنَّ مطلَبَهُمْ هَذَا أعْلَى منْ مَطَالب العُبَّادَ وَالزُّهَّاد وَالعُلَمَاء قَالَ أبو مَدْين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ همَّتُهُ الحورُ وَالقُصُورُ ، وَبينَ مَنْ هَمَّتُه رَفْعُ السُّتُور وَدَوَامُ الحُضُور وَقُلْتُ :

لا يَبْتَـغِى عَـارِفٌ بالله منْـهُ سِـوَى ... صدْق العبَادَة وَالإخلاص فى العمَل

(224) ـ (1) بأن فَهمْتَ أنْ ذَلكَ المَنْعَ رَحمَةٌ بكَ منْهُ ، ولَو لَمْ يَعْلَمْ أنه خَيْرٌ لَكَ مَا أنْزَلهُ بكَ وَقُلْتُ :

وَمَنْ يَفْتَحْ لَهُ فِى المنعِ فهماً ... رَآى فِى مَنْعه عَيْنَ العَطَاء

(225) مَنْ عَبَدَهُ لشَىءٍ يرْجُوهُ منهُ . أوْ ليَدفَعَ بطَاعَته وُرُوردَ العُقُوبَة عَنْهُ فَمَا قَامَ بحقِّ أوْصَافه[1] .

(226) مَتَى أعْطَاكَ أشْهَدَكَ برَّهُ[1] وَمَتَى مَنَعَكَ أشْهَدَكَ قَهْرَهُ[2] فَهُوَ فى كُلِّ ذَلكَ مُتَعَرِّفٌ إليْكَ[3] ومُقْبلٌ بوُجُود لُطفه عَلَيْكَ .

---

(225) ـ (1) ـ بَلْ هُوَ قَائمٌ بحظِّ نَفْسه منْ جَلْب الثَّوَاب أوْ دَفْع العقَاب بخَلاف مَا إذَا عَبَدَهُ لجلاله ، وبَديع صفَاته ، وَمَنْ كَانَ كَذَلكَ فَحقُّهُ أنْ يُعْبَدَ فَإنَّه يكُونُ قَائماً بحَقّ أوْصَافه مُوفياً لهَا فَقَد أوْحَى الله إلَى دَاوُدَ عليه السلام : أنَّ أوَدَّ الأوِدَّاء إلىَّ مَنْ عَبَدَنى لغَيْرِ نَوَال لكنْ ليُعْطِىَ الرُّبُوبيَّةَ حَقَّهَا وقُلْتُ :

وَأحَبُّ العبَاد لله عَبْدٌ عَبَدَ اللهَ إذْ لهَا كَانَ أهْلاً

وَفى الحديث لا يكُنْ أحَدُكُمْ كَالعَبْد السُّوء إنْ خَافَ عَملَ ، وَلا كَالأجيرِ السُّوء إنْ لم يُعطَ الأجْرَةَ لم يَعْمَلْ . وَقُلتُ :

وَمَا أدَّى حُقُوقَ الله عَبْدٌ عبَادتُهُ لَجلْب أوْ لدَفْع

(226) ـ (1) صفَات برِّه منَ الكَرَم وَالإحْسَان وَغَيْرهمَا .

(2) صفَاته القَهْريَّة : التى تَقْتَضى القَهْرَ وَالغَلَبَةَ كَالكبْريَاء وَالعزَّة .

(3) مُقْبلٌ عَلَيكَ فَإنَّ الوَاحدَ منَّا إذَا أرَادَ أنْ يَعْرفَهُ غَيْرُهُ فَإمَّا أنْ يُنْعمَ عَلَيه وَإمَّا أنْ يُعَاقبَهُ . وَالحَاصلُ أنَّ المطلُوبَ منَ العبَاد أنْ يَعْرفُوا مَوْلاهُمْ بمَا هُوَ عَلَيْه منَ الأسْمَاء الحُسْنَى ، ولا سَبيلَ إلى ذَلكَ إلا بتَعرُّفه إليهمْ بمَا ينْزلُهُ بهمْ منَ النَّوَازل ، وَيُوردُهُ عليهم منَ الأحْكَام سَواءٌ أكَانَ الحُكْمُ مُوافقاً لطَبْعهمْ كَالإعْطَاء أوْ مُخَالفاً له كَالمنْع فَالعَارفُ بربِّه لا يَفرقُ بيْنَ المنْع وَالعطَاء لأنَّ كُلاًّ منْهُمَا طَريقٌ إليْه جَلَّ شَأنُه وَقُلْتُ :

إذَا شَاهَدْتَ برى فى عَطَائى وَمَنْعى عندَ قَهْرى كُنْتَ عَبْدى
وَيَشْهَدُ برَّهُ ، وَالقَهْرَ مَنْعاً وَإعْطَاءً وَفى كُلٍّ لَطيفُ

(227) مَتَى أوْحَشَكَ (1) مِنْ خَلقِهِ فَاعْلَمْ أنَّهُ يُرِيدُ أنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ الأنْسِ بِهِ(2)

(228) مَتَى أطلَقَ لِسَانَكَ بِالطَّلَبِ(1) فَاعلَمْ أنَّهُ يُرِيدُ أنْ يُعطِيَكَ (2) .

(229) مَنْ ظَنَّ انفِكَاكَ لُطفِهِ عَنْ قَدَرِهِ (1) فَذلِكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ(2) .

---

(227) ـ (1) بِأنْ تَشْمَئِزَّ مِنهُم بِقَلبِكَ ، وتَنقَبِضَ عَنْهُمْ بِسِرِّكَ ، وَلا يَكُونُ لِلأشْيَاءِ وَقْعٌ عِنْدَكَ ، وَلا تَجِدُ فِيهَا غِنىً عَنْ مَوْلاكَ .

(2) وَإذَا فَتَحَهُ لكَ صِرتَ لَه وَحْدَهُ وَغِبتَ عَنْ سِوَاهُ وَقُلتُ :

إذَا اللهُ ألقَى فِي فُؤَادِكَ وَحْشَةً ... مِنَ الخَلقِ فَاعْلمْ أنهُ رَامَ أنْسَكَا

(228) ـ (1) أيْ مَتَى أشْهَدَكَ حَاجَتَكَ فَدَعَوتَهُ .

(2) لِصِدْقِ الوَعْدِ بِإجَابَتِهِ دُعَاءَ المُضْطَرِّ ، قَالَ عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : مَنْ أُعطِيَ الدُّعَاءَ لم يُحْرَمِ الإجَابَةَ . إمَّا بِعَينِ المطْلُوبِ أوْ بِغَيْرِهِ عَاجِلاً أوْ آجِلاً . هَذَا إذَا كَانَ الدُّعاءُ صَادِراً عَنِ اخْتِيَارٍ وَقَصْدٍ أمَّا إذَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ مِنْ غَيرِ قَصْدٍ فَالإجَابَةُ بِعَينِ المطْلُوبِ لا تَكَادُ تَتَخلَّفُ، وَقُلتُ :

وَمَنْ يَرزُقْهُ مُضطَراً دُعَاءً ... يُجِبْهُ مَتَى أرَادَ كَمَا أرَادَا

وَمَنْ يَدْعُوهُ مُضْطَراً يُجِبْهُ ... بِمَا يُجْدِيهِ فِي الدَّارَيْنِ عِزّاً

(229) ـ (1) أيْ عَمَّا قَدَّرَهُ عَليهِ مِنَ البَلايَا وَالمِحَنِ .

(2) إذْ لَوْ كَمُلَ نَظَرُهُ لَوَجَدَ فِي البَلايا ألطَافاً كَثِيرةً مِنْهَا . إقْبَالُه عَلَى مَوْلاهُ بِتِلكَ البَلِيَّةِ ، وَالتجَاؤُهُ إليْهِ ، وَهَذَا أعظَمُ فَوائِدِهَا وَمِنْهَا ضَعفُ النَّفْسِ التِي بِقُوتِهَا تَقوَى عَلَى المعَاصِي . وَمِنْهَا حُصُولُ طَاعَةِ القُلُوبِ غَالِباً كَالزُّهْدِ وَالرِّضَا ، وَلَذرَّةٌ مِنْ أعْمَالِ القُلُوبِ خَيْرٌ مِنْ أمْثَالِ الجِبَالِ مِنْ أعْمَالِ الجَوارِحِ وَقُلتُ :

وَمَنْ ظَنَّ أنَّ اللهَ يَنفَكُّ لُطفُهُ ... عَنِ العَبْدِ فِي أقْدَارِهِ فَجَهُولُ

(230) مَتَى جَعَلَكَ فِى الظَّاهِرِ مُمْتثلاً لأمْرِه [1]، وَرَزَقَكَ فِى البَاطِنِ الاستسْلامَ لِقَهرِه [2] فَقَدْ أعْظَمَ المنَّةَ عَلَيكَ [3]

(231) مَتَى طَلَبْتَ عِوَضاً عَلَى عَمَلٍ [1] طُولِبْتَ بِوُجُودِ الصِّدقِ [2] فِيه وَيَكفِى [3] المُرِيبَ وِجْدَانُ السَّلامَةِ .

(232) مَنَعَكَ [1] أنْ تَدَّعِى مَا لَيس لَكَ مِمَّا للمَخْلُوقِينَ [2] أفَيبِيحُ لَكَ أنْ تَدَّعِى وَصْفَهُ [3] وَهُوَ رَبُّ العَالمينَ ؟

---

(230) - (1) مُطِيعًا لَهُ

(2) الرِّضَا بِمَا يُجْرِيه عَلَيْكَ

(3) حَيْثُ جَمَعَ لَكَ بَيْنَ عُبُودِيَّةِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَمَاذَا تَطلُبُ بَعْدَ حُصُولِهِمَا إنْ كُنْتَ لَهُ عَبْداً ؟ وَقُلتُ :

إذَا استَسلمْتَ لِى سِراً وَجَهْراً   فَأنتَ العَبْدُ لا خَوفٌ عَلَيكَا

(231) - (1) أيًا كَانَ العَمَلُ آجلاً كَانَ الثَّوَابُ كَالجَزاءِ عليه فى الآخرَةِ أوْ عَاجلاً كَالإمْدَادِ فى الدنيا .

(2) أىْ قِيلَ لَكَ : إنَّكَ لَمْ تُخلصْ هَذَا لِوَجْهِه تَعَالَى إذْ عَمِلتَهُ لِلعِوضِ وَحَظِّ نَفْسِكَ .

(3) يَكفِى غَيْرَ المخلصِ عَمَلَهُ لِربِّه سَلامَتُه مِنْ مُعَاقَبَتِه . وَهَذَا تَقْبِيحٌ لِلعَمَلِ لأجْلِ الجَزَاءِ بَلِ العَمَلُ الكَامِلُ مَا كَانَ لأجْلِ مَا عَلَيْه مِنْ عَظَمَةِ الألوهِيَّةِ وَنُعُوتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَقُلْتُ :

وَمَنْ يَطْلُبْ عَلَى عَمَلٍ نَوَالاً   يُطَالَبْ بِالخَلاصِ مِنَ الطِّلابِ

(232) - (1) حَرَّمَ عَلَيْكَ .

(2) مِنَ الأمْوَالِ وَسَمَّاهُ ظُلماً .

(3) مِنَ الغِنَى وَالعِزَّةِ وَالقُوَّةِ فإذَا ادَّعَيتَ وَاحِداً مِنهَا كَانَ ذَلكَ مِنْ كَبَائرِ مَعَاصِى القَلْبِ ، وَمُشَارَكَةَ المرْبُوبِ لِلرَّبِّ ، وَأفْحَشُ الفَوَاحِشِ عِنْدَ العَارِفِ وُجُودُ الشَّرِكَةِ فِى قَلْبِ العَبْدِ . بادِّعَائه وَصْفَ رَبِّه فِعلاً أوْ قَولاً لأنَّ ذَلكَ تَكَبُّرٌ عَلَيْه . وفى الحَدِيث «الكِبْرِيَاءُ رِدائى ، وَالعظَمَةُ إزَارِى فَمَنْ نَازعَنى وَاحِدَةً مِنْهمَا ألقيتُهُ فِى النَّارِ » وَقُلْتُ :

اللّهُ يَمْنَعُ عَبْدَهُ أنْ يَدَّعِى   حَقَّ العِبَادِ فَكَيْفَ مَا هُوَ حَقُّهُ

(233) مَا الشَّأنُ وُجُودُ الطَّلَبِ [1] إنَّمَا الشَّأنُ أنْ تُرْزَقَ حُسْنَ الأدَبِ [2] .

(234) مَا طُلِبَ [1] لكَ شَيءٌ مِثْلُ الاضطِرَارِ . وَلاَ أسْرَعَ [2] بِالمواهِبِ إلَيْكَ مِثْلُ الذِّلَّةِ وَالافتقَارِ .

(235) مَنْ أكْرَمَكَ [1] إنَّمَا أكْرَمَ فيكَ جَمِيلَ سَتْرِهِ [2] فَالحَمدُ لِمَنْ سَتَرَكَ . لَيسَ الحَمدُ لِمَنْ أكْرَمَكَ وَشَكَرَكَ .

(236) مَا صَحِبَكَ إلاَّ مَنْ صَحِبَكَ وَهُوَ بِعَيبِكَ عَلِيمٌ ، [1] وكَيس ذَلكَ إلاَّ

---

(233) - (1) الدُّعَاءُ أي ليس المعتَبَرُ عِنْدَ المحَقِّقينَ طَلَبَكَ حَوائجَكَ مِنْ مَوْلاكَ دُونَ سواهُ .

(2) إنَّمَا المعْتَبَرُ عِندَهُمْ أنْ تَطلُبَهَا مِنْهُ لا لِنَيْلِ حَظِّكَ بَلْ إظهَاراً لِلعُبُودِيَّةِ ، وَقِيَاماً بِحُقُوقِ الرُّبُوبيَّةِ وَبِذَلِكَ يَحْسُنُ أدبُكَ وَقُلْتُ :

وَلَيْسَ الشَّأنُ فِي الطَّلَب وَكُلُّ الشَّأن فِي الأدَب

(234) - (1) أيْ إنَّ أحْسَنَ الطَّالِبينَ لَكَ هُوَ الاضْطِرَارُ . وَالاضطِرارُ : إظهَارُ غَايَةِ الفَاقَةِ فلا تَرَى سَبَباً تَعتَمِدُ عَلَيْهِ سِوَاهُ كَالغَرِيقِ فِي البَحْرِ وَالضَّالُّ فِي التيه القفر .

(2) هذه الجملةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى سَابِقَتِهَا عَطفَ لازِمٍ عَلَى مَلزُومٍ لأنَّ الذِّلَّةَ وَالافتِقَارَ لازِمَانِ لِلمضْطَرِّ مُوجِبَانِ لإسْرَاعِ مَوَاهِبِ اللهِ تَعَالَى لِمَنِ اتَّصَفَ بِهِمَا . وَقُلْتُ :

وَمَا اسْتَدْعَى لِعَبْدٍ كَاضْطِرَارٍ وَلَمْ يُسْرِعْ بِفَتْحٍ كَافْتِقَارٍ .

(235) ـ(1) أقبَلَ عَلَيْكَ بِإعطَاءٍ أوْ مَحَبَّةٍ أوْ شُكْرٍ .

(2) أيْ سَتْرَهُ الجَمِيلَ عَلَيْكَ إذْ لَو اطَّلَعُوا عَلَى حَقِيقَتِكَ لاَسْتَقذَرُوكَ ، فَالحمدُ لِلسَّاتِرِ وَلَيْسَ الحمدُ لِلشَّاكِرِ المُكرِمِ إلاَّ مِنْ جِهَةِ إجْرَاءِ النِّعَمِ عَلَى يَدِهِ وَقُلْتُ :

وَمَنْ يُكْرِمْكَ لَمْ يُكْرِمْكَ إلاَّ لِسَتْرٍ مِنْهُ فَاحْمَدْهُ تَعَالَى

(236) ـ (1) أيْ مَا صَحِبَكَ حَقِيقَةً إلاَّ مَنْ صَحِبَكَ عَالِماً بِعُيُوبِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ إلاَّ رَبُّكَ . أمَّا مَنْ صَحِبَكَ جَاهِلاً بِهَا فَلا يَبْقَى إذَا ظَهَرَتْ . وَإنْ عَزَمَ فَلَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ الصَّبْرُ عَلَيْهِ وَإنْ صَبَرَ فَلابُدَّ مِنْ تَأثُّرٍ يَلحَقُهُ .

مَـوْلاكَ الكَـريمُ . خَيْـرُ مَـنْ تَصْـحَـبُ مَـنْ يَطـلُبُـكَ لَكَ لا لِشَـيء يَعُـودُ مِنْكَ إليْه (1).

(237) مَا حَجَبَكَ (1) عَنِ الله وُجُودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ وَلكِنْ حَجَبَكَ عَنْهُ تَوَهُّمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ (2)

(238) مَتَى كُنْتَ إذَا أُعْطِيتَ بَسَطَكَ العَطَاءُ ، وإذَا مُنِعْتَ قَبَضَكَ المنْعُ فَاسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى ثُبُوتِ طُفَيلِيَّتِكَ (1) وَعَدمِ صِدْقِكَ فِي عُبُودِيَّتِكَ (2)

---

(236) ـ (1) وَخَيْرُ مَنْ يَصْحَبُكَ مَنْ يَنْفعُكَ لا لِيَنْتَفِعَ مِنْكَ ، وَلَيسَ إلاَّ رَبَّكَ فَاتَّخِذْهُ صَاحِباً ، وَدَعِ الخَلْقَ جَانباً وَقُلْتُ :

وَلَمْ يَصْحَبْكَ فِي التَّحْقِيقِ إلاَّ ... عَلِيمٌ مَا جَنَيْتَ وَلَيسَ غَيْرَهْ

وَخَيْرُ الصَّحْبِ مُقْتَدِرٌ غَنِيٌّ ... بِهِ استَمسِكْ وَخَفْهُ وَرَجِّ خَيْرَهْ

(237) ـ (1) المخَاطَبُ المريدُ المحْجُوبُ .

(2) مَعَ الله مِنَ الأكْوَانِ الدُّنيَوِيَّة وَالأخرَوِيَّة إذْ لا وُجُودَ لهَا عَلَى التَّحقِيقِ .

(3) أيْ حَجَبَكَ تَوَهُّم مَوْجُودٍ مَعَهُ مَعَ أنَّه فِي ذَاتِه عَدَمٌ مَحْضٌ وَوُجُودُهُ كَوُجُودِ ظِلالِ الأشْجَارِ عَلَى الماءِ لا يَمنَعُ سَيْرَ السُّفُنِ وَقُلْتُ :

وَمَا حَجَبَ المحْجُوبَ كَوْنٌ مُحقَّقٌ ... وَلَكِنَّـهُ الكَونُ الـذِي قَدْ تَوَهَّمَا

(238) ـ (1) تَطَفُّلُكَ عَلَى أهْلِ الله وَلَسْتَ مِنهُمْ كَمَا أنَّ الطَفَيلِيَّ يَدْخُلُ مَعَ الأضْيَافِ وَلا يَسْتحِقُّ الدُّخُولَ مَعَهُمْ نِسبَةً إلَى طُفَيلٍ رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الكُوفَةِ كَانَ يأتِي الوَلائمَ دُونَ دَعْوة .

(2) لأنَّ القَبْضَ عِنْدَ المنع وَالبَسْطَ عِنْدَ العَطَاءِ دَلِيلُ بَقَاءِ الحظِّ والعَمَلِ عَلَى نَيلِه ، وَهُوَ مُنَاقِضٌ للعُبُودِيَّةِ عِنْدَ العَارِفِينَ . وَقُلْتُ :

وَمَـنْ يَبْسُـطْهُ أوْ يَقْبِضْـهُ مَنْـعٌ ... وَإعْطَـاءٌ فَـذُو حَظٍّ طُفَـيْلِي

(239) مَطَالِعُ الأَنْوَارِ(1) القُلُوبُ (2) وَالأَسْرَارُ .

(240) مَن اطَّلَعَ عَلَى أَسْرَارِ(1) العِبَادِ ولَم يَتَخَلَّقْ بالرَّحْمَةِ (2) الإلهيَّةِ كَانَ اطِّلاعُهُ فتنةً عَلَيْهِ (3) وَسَبَباً لجرِّ الوَبالِ إلَيْهِ (4) .

---

(239) ـ (1) أىْ مَوَاضِعُ ظُهورِ الأنوارِ المعْنَويَّةِ ، وَهِيَ نُجُومُ العِلمِ وَأقمَارُ المعرفَةِ وَشُموسُ التَّوْحيد .

(2) قُلُوبُ العَارِفينَ وَأَسْرَارُهُمْ ، وَتِلْكَ الأنْوَارُ أشدُّ إشْرَاقاً منْ أنْوارِ الكوَاكِبِ ، قَالَ الشَّاذُلىُّ قُدِّسَ سِرُّهُ لَوْ كُشِفَ عَنْ نُورِ المؤمنِ العَاصِى لَطَبقَ مَا بيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ ، فَمَا ظَنُّكَ بنُورِ المؤمنِ الطَّائعِ . فَمِنْ لُطفِ الله عَدَمُ الاطِّلاعِ عَلَى أنوَارِ العَارفينَ فقَدْ قَالَ المرْسى قُدِّسَ سِرُّهُ : لَوْ كُشِفَ عَنْ حقيقةِ الوَلِيِّ لَعُبِدَ لأنَّ أوْصَافَهُ مِنْ أوْصَافِه وَنُعُوتَهُ مِنْ نُعُوتِه . وَقُلْتُ :

مَطَالِعُ الأَنْوَارِ فِى القَلْبِ وَالأَسْرَارِ
نَجْمُ العُلُومِ ، وَبَدْرُ الوَصْلِ مَا بَدَرَا كَشَمسِ تَوحِيدِهِ إلاَّ مِنَ القَلْبِ

(240) ـ (1) بِأن يُكَاشَفَ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ .

(2) بِأنْ يَسْتُرَ عَلَى المذْنِبينَ ، وَيَحلُمَ عَلَى الظَّالمينَ وَيَصفحَ عَنِ الجَاهلينَ وَيُحْسِنَ إلىَ المسيئينَ ، وَيَرأفَ بعبَادِ الله أجْمَعينَ .

(3) لأنَّ ذَلكَ يُؤدِّيه إلىَ العُجْبِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى سِوَاهُ وَذَلكَ مُحبِطٌ لعَمَله .

(4) منَ ادِّعَائه صِفَاتِ ربِّه وَمُنَازَعَتِه لعَظَمَتِه رُوِىَ أنَّ إبْراهيمَ عليه السلام لَمَّا أرَاهُ اللهُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أشْرَفَ رَجُلٌ عَلَى مَعْصيَة فَدَعَا عَلَيْه فَهَلَكَ وَعَلَى آخَرِينَ فَهَلَكُوا فَأوحَى اللهُ إليه أنْ يَا إبْرَاهيمُ إنكَ رَجُلٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ فَلا تَدْعُوَنَّ عَلىَ عِبَادى فَإنَّهُمْ مِنِّى عَلَى ثَلاثِ خِصَالٍ إمَّا أنْ يَتُوبَ العَبْدُ مِنْهُمْ إلىَّ فَأتُوبَ عَلَيه . وَإمَّا انْ أُخرِجَ مِنْهُ نَسَمَةً تُسَبِّحُ اللهَ تَعَالى وَإمَّا أنْ يُبْعَثَ إلىَّ فَإنْ شِئْتُ عَفَوتُ وَإنْ شِئْتَ عَاقَبْتُ . وَقُلْتُ :

وَمَنْ عَدِمَ الإحْسَانَ فِى حَالِ كَشْفِه غَدَا فِتنَةً تُردِى وَصَارَ وَبَالاً

(241) مَنْ عَرَفَ الحَقَّ شَهِدهُ فِى كُلِّ شَىءٍ [1] وَمَنْ فَنِىَ بِهِ غَابَ عَنْ كُلِّ شَىءٍ [2] وَمَنْ أحَبَّهُ لَمْ يُؤْثِر عَلَيهِ شَيْئاً [3]

(242) منْ عَلاَمَاتِ إقَامَةِ الحَقِّ [1] لَكَ فِى الشَّىءِ [2] إقَامَتُه إيَّاكَ فِيهِ [3] مَعَ حُصُولِ النَّتَائِجِ [1] .

(243) مَنْ عَبَّرَ مِنْ بِسَاطِ إحْسَانِهِ أصْمَتَتْهُ الإسَاءَةُ [1] وَمَنْ عَبَّرَ مِنْ

---

(241) ـ (1) العَارِفُ يَشْهَدُ اللهَ ظَاهِراً فِى أعْيَانِ الموْجُودَاتِ فَلا يَسْتَوحِشُ مِن شَىءٍ ، وَيأنَسُ بِكُلِّ شَىءٍ .

(2) وَالفَانِى به يَغيبُ عَنْ كُلِّ شَىءٍ فَلا يَرَى فِى الوُجُود ظَاهِراً إلاَّ اللهَ وَيَغيبُ هُوَ عَنْ نَفْسِه وَحِسِّه فَلا يَشْهَدُ لَه وُجُوداً وَلا تَحَقُّقاً بخلافِ العَارِف فَإنَّه مُتَحقِّقٌ فِى مَقَامِ البَقَاءِ فَيَرَى الخَلْقَ وَالحَقَّ ، وَيَرَى الحقَّ ظَاهِراً فِى كُلِّ الأشْيَاءِ وَقَائِماً بهَا مَعَ عَدَمِ غَيبته عَنْ نَفْسه وحسه .

(3) والمحبُّ : لا يُؤثِرُ عَلَى الله شَيئاً مِنْ إرَادَاته وَشَهَوَاته ، وَهَذه العَلامَاتُ الثَّلاثُ يُعْرَفُ بهَا حَالُ مُدَّعِى هَذه المقَامَات . وَقُلْتُ :

وَمَنْ يَعْرِفْهُ فِى كُلٍّ رَآهُ   وَمَنْ يَفْنَى بِه يُفنى سِوَاهُ
وَمَنْ يَهْوَاهُ لَمْ يُؤثِرْ عَلَيْهِ   وَآثَرَهُ ، وَغَايَتُهُ رِضَاهُ

(242) ـ (1) اللهُ .

(2) كَالاكْتِسَاب ، وَالتَّجْرِيد .

(3) أى تَيَسُّرُ أسْبَابه لكَ وَإدامَتُه عَلَيْكَ .

(4) ثَمرات ذَلكَ الشَّىءِ كَسَلامَةِ الدِّين وَوُجُود الرِّبح منَ الكَسْب . وَقُلْتُ :

وَمَنْ يَقُمِ الإلهُ لَهُ بأمْرٍ   فَآيَتُهُ تَحَصُّلُ مَا أرَادَا

(243) ـ (1) مَنْ شَاهَدَ إحْسَانَ نَفْسه وَعَملَ بطَاعَة رَبِّه انْبَسَطَ لسَانُهُ بالنَّصِيحَة وَالموعظَة لعبَاد الله . فَإنْ وَقَعتْ منهُ إسَاءَةٌ وَمُخَالفَةٌ انْقَبَضَ عَنْ ذَلكَ وَصَمَتَ لمَا يَعْتَريه منَ الخجَلِ وَالحَيَاءِ ، وَهَذه طَرِيقَةُ أهْلِ التَّكليفِ الذّين يَنْظُرُونَ مَا منهُمْ إلىَ الله منْ عَمَلٍ صَالحٍ أوْ طَالحٍ .

بسَاطِ إحْسَانِ اللهِ إليْهِ لمَ يَصْمُتْ إذَا أسَاءَ[1] .

(244) مَنْ أُذنَ لَه فِى التَّعْبيرِ[1] فُهِمَتْ فِى مَسَامِعِ الخَلقِ[2] عِبَارَتُهُ ، وَجُلّيَتْ إليْهِمْ إشَارَتُهُ[3] .

(245) منْ عَلامَةِ اتّبَاعِ الهَوَى المسَارَعَةُ إلى نَوَافِلِ الخَيْرَاتِ[1] وَالتّكَاسُلُ عَنِ القيَامِ بالوَاجبَاتِ .

---

(243) ـ (1) وَمَنْ شَاهَدَ إحْسَانَ الله إليْه وَغَابَ عَنْ رُؤيَةِ إحْسَانه هُوَ انْبَسَطَ لسَانُهُ فِى الحَالَيْنِ منْ غَيْرِ فَرْقٍ لأنَّ غَيبَتَهُ عَنْ نَفْسه وَمُشَاهَدَتَهُ لوَحدَانيَّة رَبّه وَقَيُّوميَّته أوْجَبَتْ جُرأتَهُ عَلَى ذَلكَ . وكَذا قيلَ : جَرْاءَةُ الجَنَان تُنْطقُ اللسَانَ وَتُطلقُ العنانَ . وَقُلْتُ :

وَمَنْ يرَ نَفْسَهُ يَصْمُتْ مُسيئاً وَمَنْ يَرَهُ تكَلَّمَ كَيْفَ كَانَا

(244) ـ (1) أيْ مَنْ أُذنَ له منَ العَارفينَ فِى التَّعبير عَنِ الحَقَائق وَعُلُومِ القَومِ الوَهْبيَّة .

(2) فَلمَ يَفْتَقرُوا إلىَ مُعَاوَدَة وَتَكْرَار .

(3) وَظَهَرَتْ إشَارَتُه لَهم فلَم يَحْتَاجُوا إلىَ إكْثَار . وَالإشَارَةُ : ألطفُ منَ العبَارَة يَسْتَعملُهَا أهْلُ الطَّريقِ فِى العُلُومِ البَاطنَة . وَقُلْتُ :

وَمَنْ يُؤذَنْ لَهُ بالقَوْلِ فيمَا أفيضَ عَلَى سَرَائره أفَادَا

(245) ـ (1) العبَادَات . فَهَذه منَ الصُّوَرِ التى يَخفُّ فيهَا البَاطلُ وَيَثقُلُ الحَقُّ . وَإنَّمَا خَفّت النَّوَافلُ وَثَقُلَت الفَرَائضُ لأنَّ الفَرَائضَ لا مَزيَّة فى إقَامَتهَا لاسْتوَاء النَّاس فى فعْلهَا بخلاف النَّوافلِ فإنَّهَا تُذْكَرُ بهَا وَتُعطيهَا جَاهاً وَمَنزلَةً فى القُلُوب فَتَجدُ الرَّجُلَ إذَا صَمَّمَ عَلَى التَّوبَة يُكْثرُ منْ نَوَافلِ الصّيَامِ وَالقيَامِ وَالصَّدَقَات ، وَلاَ يَتَدَارَكُ مَا فَرَّطَ فيه منَ الوَاجَبات ، وَلا يَتحَلَّلُ ممَّا لَزمَ ذمَّتَهُ منَ الظُّلامَات وَالتَّبعَات وَمَا ذَاكَ إلاَّ لأنَّهُم لمَ يَشْتَغلُوا برِيَاضَة نفُوسهمُ التى خَدَعَتْهُمْ وَلا بمُجَاهَدَة أهْوَائهمْ التى مَلَكَتهمُ وَقُلْتُ :

وَمَنْ يُبْطيء بِمَفْرُوضٍ وَيُسْرِعْ لنَافلَة فَمُتَّبعٌ هَوَاهُ

(246) مَن استغرب أنْ يُنقذَهُ اللهُ منْ شَهْوَته ، وأنْ يُخرجَهُ منْ وُجُود غَفْلَته . فَقَد استعجزَ القُدْرَةَ الإلهيَّةَ . وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيء مُقْتَدراً [1]

(247) مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَم بوُجْدَانهَا ـ عَرَفَهَا بوُجُود فُقْدَانهَا [1]

(248) مَا فَاتَ مِنْ عُمرِكَ لا عِوضَ لَهُ [1] . ومَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لا قيمَةَ لَهُ [2]

---

(246) ـ (1) مَن استرَقَّتْهُ الشَّهْوَةُ واسْتَولَتْ عَلَيه الغَفْلَةُ لا يَحقُّ لَهُ أنْ يَستَبْعدَ إخْرَاجَ الله لَهُ منهمَا وإلا كَان كَأنَّهُ مُسْتَعجزٌ لقُدرَته واللهُ مُقْتَدرٌ عَلَى كُلِّ شَيء وهُمَا منْ جُمْلَة الأشْيَاء وليَعتَبر بالحكَايَات التى تُؤثَرُ عَمَّنْ سَبَقَتْ لَهُمْ هَفَوَاتٌ ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيهم فكَانُوا أئمةً فِى الخَيرات تَتَنَزَّلُ بذكرهمُ الرَّحمَاتُ . وقُلْتُ :

وَمَـنْ يَسْتَبـعد الإنْقَاذَ ممَّـا ... عَلَيْه منَ الهَوَى جَهلَ القَدِيرا

(247) ـ (1) لأنَّ الأشْيَاءَ تُتَبيَّن بأضْدَادهَا . والضِّدُّ يُظْهِرُ فَضْلَهُ الضِّدُّ ولا يَعْرِفُ قَدْرَ نِعْمَة البَصَر إلاَّ مَنْ عَمِيَ وقَدْ قِيلَ : إنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَ المَاء مَن ابْتُلِيَ بعَطَش البَاديَة لا مَنْ كَان عَلَى شَوَاطِىء الأنْهَارِ الجَارِيَة ، وَهَذه الجملةُ كَالتعْليل لجملة قَبْلَهَا فِى الأصْلِ وَهِيَ . ربَّمَا وَرَدَت الظُّلَمُ عَلَيكَ ليُعَرِّفَكَ قَدْرَ مَا مَنَّ به عَلَيكَ وقُلْتُ :

سَـيَعْرِفُ قَـدْرَ أنعُمـه بفَقْد ... جَهُولٌ قَـدْرَهَا عنْدَ الوُجُـود

(248) ـ (1) أىْ لا رُجُوعَ لَهَ فَإذَا أخْلَيْتَهُ مِنَ العَمَل الصَّالحِ الذّى هُوَ وَظيفَتُه فَاتَكَ مِنَ السَّعَادَة بقَدره ولا يُمكنُكَ تَدَارُكُهُ .

(2) أىْ لا يُمكنُ أنْ يُقَوَّمَ بشَيء لعظَمِ قَدْره لأنَّكَ إذَا شَغَلْتَهُ بالطَّاعَة تَوَصَّلْتَ به إلى مُلك كَبير دَائم لا يَفنَى وَفى الحَديث مَا منْ سَاعَة تَأتى عَلَى العَبْد لا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إلاَّ كَانَتْ عَلَيْه حَسْرَةً وَنَدَامَةً . وَقَالَ الإمَامُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنه : (بقِيَّةُ عُمْرِ المرْء مَا لَهَا ثَمَنٌ ، يُدرِكُ فيهَا مَا فَاتَ ، ويُحْيِى مَا أمَاتَ) وقُلْتُ :

وَلَيسَ لفَائتِ العُمْرِ ارْتجَاعٌ ... وَلَيْـس لمَـا تَبَقَّى منْهُ قيمَهْ

(249) مَعْصِيَةٌ أوْرَثَتْ ذُلاً وافْتِقَاراً خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أوْرَثَتْ عِزّاً وَاسْتِكْبَارًا .

---

(249) وَفِىْ رِوَايَةٍ : «مَعْصِيَةٌ أوْرَثَتْ ذُلاً وَانْكِسَارًا . . . . . » إلخ .

إنما كَانَتْ المعْصِيةُ التِىْ تُوجِبُ الانكِسَارَ أفْضَلُ مِنَ الطَّاعَة التِىْ تُوجِبُ الاسْتِكْبَارَ لأنَّ المقْصُودَ مِنَ الطَّاعَة هُوَ الخضُوعُ وَالخُشُوعُ وَالانقيَادُ لله تَعَالى وَالتَّذَلُّلُ لهُ ، وَالانكسَارُ لعظَمَته جَلَّ شَأنُهُ وَتَعَالى جَدُّهُ . وَقَدْ وَرَدَ فِىْ الحديْثِ القُدُسِىِّ : « أنَا عِنْد المنْكَسِرَةِ قُلوبُهُمْ مِنْ أجْلِىْ » .

فإذَا خَلَتْ الطَّاعَةُ مِنَ الخُضُوعِ لله وَالخُشُوع وَالانْقِيَاد وَالتَّذَلُّلِ لَهُ تَبَاركَ وَتَعَالىْ فَإنَّ المعْصِيَةَ التِىْ تُورِثُ فِىْ النَّفْس هَذِه المعَانِىْ الكَرِيمة تكُوْنُ أفْضَلَ مِنْهَا .

وَقَال أبُو مَدْيَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « انْكِسَارُ العَاصِىْ خَيرٌ مِنْ صَوْلَة المطِيْع » فَثَمَرةُ الطَّاعَة هِىَ الذُّلُّ والانكِسَارُ وثمَرةُ المعْصِيَة هِىَ القَسْوَةُ والاسْتِكْبَارُ . فَإذَا انْقَلَبَتْ الثَّمرَاتُ انْقَلَبَتْ الحقَائقُ، وَصَارَتْ الطَّاعةُ مَعْصيَةً وَالمعْصيةُ طَاعَةً .

وَقَال رَسُوْلُ الله ﷺ : «لَوْ لَمْ تُذْنبُوا لخَشِيْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أشَدُّ : العُجْب » كَذَا فِيْ الصَّحِيْحَيْن .

وَكَانَ الشَّيْخُ أبُو العَبَّاسِ المرْسِىُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْخُلُ عَلَيْه الرَّجُلان ، هَذَا طَائعٌ مُفتخرٌ بمَا فَعَلَ مِنَ الطَّاعَات مُتكبِّرٌ بِعَملِه ، وَالآخَرُ مُذْنبٌ عَاصٍ شَعَر بذنبه فَانكسَرَ قَلْبُهُ وَذَلَّ لربِّه خَوْفاً مِنْ عِقَابِهِ . فَيُعْرِضُ عَنْ الأوَّل الطَّائعِ المتكبِّرِ ، وَيُقْبلُ عَلَى العَاصِىْ المنكَسِرْ .

(250) مَا أَحْبَبْتَ شَيْئاً (1) إلاَّ كُنْتَ لَهُ عَبْداً (2) وَهُوَ لا يُحبُّ أنْ تَكُونَ لِغَيْرِه عَبْداً (3).

(251) مَتَى وَرَدَت الوَارِدَاتُ (1) الإلهيَّةُ عَلَيْكَ ـ هَدَمَت (2) العَوَائدَ (3) عَلَيْكَ : إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا (4)

(252) مَا تَجِدُهُ القُلُوبُ مِنَ الهُمُومِ وَالأحْزَانِ ، فَلأجْلِ مَا مُنِعَتْ مِنْ وُجُودِ العِيَانِ (1)

---

(250) ـ (1) منْ أمُوُرِ الدّنيَا .

(2) مُنْقَاداً كَمَا قِيلَ : حُبُّك للشّىء يُعْمِى ويُصِمُّ .

(3) وَاللهُ لا يُحبّ أنْ تكُونَ عَبْدَ غَيْرِه ، وفى الحَديث « تعس عَبْدُ الدّينَار تعس عَبْدُ الدّرْهَم والزَّوْجَة والخميصة (ثَوْبٌ أسْودُ مَربّعٌ لَه أعْلامٌ وَخُطُوطٌ) تعسَ وَانتكس »وقَالَ الجُنَيْدُ : إنَّكَ لَن تَصلَ إلى صَريحِ الحُريَّةِوعَلَيْكَ منْ حُقُوق عُبُوديَّته بَقيَّةٌ والمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقىَ عليْه درْهَمٌ وَقُلْتُ

تَعَبَّدَكَ الذَّى تَهوَاهُ منْهَا ويَكْرهُ أنْ تُرَى عَبْداً لغَيْرهْ

(251) ـ (1) الوَارِدَاتُ الإلهيّةُ : تَجلّيَاتُ الله عَلَى القَلْب وَيُعَبَّرُ عَنْهَا بالأحْوَال .

(2) أزَالَتْ .

(3) الأمُورَ التى كَنْتَ تَعْتَادُهَا ، وَهىَ رُعُونَاتُ نَفْسكَ لأنَّ لَهَا سَلْطَنَةً عَظيمَةً فإذَا وَرَدَتْ عَلَى قَلْب مَشْحُون بأنْوَاعِ الخَبَائث وَالرَّذَائل أزَالَتْهَا وَأحْدَثَتْ فيه أحْوَالاً مَرْضيَةً .

(4) جَاءَ بهَذه الآيَة رَدّاً عَلَى اعْتَرَاض حَاصلُهُ أنَّ العَوَائدَ لَهَا ثَبَاتٌ فى النَّفس وتَمكُّنٌ فكيَف تُزيلُهَا الوَارِدَاتُ ، وَحَاصلُ الجَواب أنَّ الوَاردَ لَه القَهْرُ كَجُنْد الملك . وَالمرادُ بالمُلوك جُنُودُهُم . وقُلْتُ :

إذَا وَرَدَتْ كرَامُ الوَارِدَات هَدَمْنَ عَوَائداً لَكَ سَالفَات

(252) ـ (1) الهَمُّ : مُتَعلقٌ بمَا يَكُونُ فى المستقبل ، والحُزْنُ بمَا كَانَ فى المَاضى ، وَالمعنَى أنَّ مَنْ عَرَفَ ربَّهُ لا يَلجُ الهمُّ وَالحزنُ قَلبَهُ ، وَالهُمُومُ وَالأحْزَانُ التى تَجدُهَا القُلُوبُ ، لعَدَمِ مُعَاينَة عَلاّمِ الغُيُوب ، وَالعيَانُ ـ واللهُ أعلَم ـ درجةٌ فَوْقَ دَرَجَة اليَقين : =

(253) مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرْزُقَكَ مَا يَكْفِيكَ[1]، وَيَمْنَعَكَ مَا يُطْغِيكَ[2]

(254) مَتَى آلمك عدمُ إقْبَال النّاس عليك ، أو تَوجهُّهم بالذم إلَيْكَ . فَارجع[1] إلى علم الله فيّك فَإن كَان لا يُقْنِعُكَ[2] علمُه فمصيبتُك بعدَم قَناعتك بعلمه أشدُّ مِن مُصيبَتِكَ بِوجودِ الأذَى منهم[3]

= كَبُرَ العيَانُ عَلَيَّ حتَّى إنَّهُ ... صَارَ اليَقينُ منَ العيَان تَوَهُّمَا

وَقُلْتُ :

لَقَدْ عَظُمَ العيَانُ عَلَيَّ حتَّى ... تَلاَشَى فى جَوَانبه اليقينُ

إذَا مُنعَ الشُّهُودَ فُؤَادُ عَبْد ... عَرَاهُ الهَمُّ وَالحُزْنُ الشَّديدُ

(253) ـ (1) منْ غَيْر زيَادَة وَلا نُقْصَان .

(2) يُوقعُكَ فى الطُّغْيَان وَهُوَ كَثْرَةُ المَال قَالَ تَعَالىَ : ﴿ كَلاَّ إنَّ الإنسَانَ لَيطْغَىٰ ۝٦ أن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ وَفى الحَديث « ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كثُرَ وألهى » . أمَّا مَا نَقَصَ عَنِ الكفَايَة فَليسَ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَة لأَنَّه قَد يَشْغَلُ عَنْ طَاعَة الرَّبِّ وَقُلْتُ :

وَتَمَامُ نعمَته عَلَيْكَ كفَايَةٌ ... وَزَوَالُ مَا يُطغيكَ منْ أمْوَال

(254) ـ (1) اقنع بعلمه واكتف به عن علمهم بحالك المقتضى لإقبالهم عليك ، وعدم ذمهم فإن كنت عنده مقبولاً فأىّ شىء يضرك من عدم قبول الناس لك ، وإن كنت ممقوتاً عنده فما يفيدك حبهم ؟

(2) بأن أحببت أن تُدْخلَ مع علمه علم غيره حتى يَطّلِعَ على إخلاصكَ فيُقبلَ عليك .

(3) لأن عدم القناعة بعلمه تعالى يردك إليهم فهو مصيبة ولابد . وأذاهم يردك إليه فهو فائدة فى الواقع وإن كان مصيبة فى الظاهر . فعلى المريد أن لا ينظر إلى المخلوقين فى إقبال ولا إعراض ولا مدح ولا ذم ، فإنهم لا يغنون عنه من الله شيئاً . وقلت :

على نفسه فليبكِ من علمُ ربه ... بحالته أضحى له غير مقنِع

وقلت :

إذا آلمكَ الصَّدُّ ... أو الذَّمُّ منَ النَّاسِ =

(255) مَن أثبتَ لنَفسه [1] تَواضعاً فَهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة [2] فمتَى أثبتَّ لنفسكَ تواضعاً فأنت المتكبر حقاً [3].

(256) مَا كَان ظَاهرُ ذِكْر [1] إلا عن باطنِ شهود [2] وَفكر .

(257) من بُورك له فى عمره [1] ـ أدرك فى اليسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة [2] ولا تلحقه الإشارة [3].

= فَلا تَنْظُرْ لَهُمْ وَانظُرْ ... لعلم اللـه ذى الباس
فَإنْ كُنتَ التَّقىَّ فكُنْ ... لَشَرٍّ النَّاسَ بالنَّاسى
وَإنْ كُنتَ المُسىءَ فَتُبْ ... وَأكثرْ دَمْعَةَ الآسى
وَقُلْ مَا وَزْنُ ذَمِّ النَّاسِ فِى جَانِبِ إفْلاسى

(255) ـ (1) بأن خطر بباله أنه متواضع .

(2) كان يستحقها ، وأنه تنازل عنها إلى ما دونها .

(3) ولا ينتفى عنك التكبر إلا بوجود الصفة حقيقة بأن لا ترى لنفسك مرتبة ولا قيمة . وقلت :

تواضع وقل من أين منى تواضع ... مَتَى ساغ للصلصال أن يتكبّرا ؟

(256) ـ (1) ذكر ظاهر .

(2) إلا عن شهود للمولى باطناً وفكر فيه . فكل من المجذوب والسالك لم يذكر ظاهراً إلا بعد مشاهدة الرب باطناً وفكر فيه . وإن كان المجذوب يدرك ذلك . والسالك قد لا يدركه لغلظ بشريته . فلم يفقد النور السابق بالكلية . وإلا لما أمكن منه الذكر . وقلت :

وَمَا ظاهر الأذكار إلا بفكرة ... لقلبك فى آلائه وشهودِ

(257) ـ (1) بأن رزق الإقبال على مولاه .

(2) تحت العبارة الشبيهة بالدوائر بجامع الإحاطة بما يحويه .

(3) أى لا تصل إليه ، والمعنى إذا أراد الله تعالى أن يبارك فى عمر ولى من أوليائه رزقه من الفطنة ، واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته . فيبادر إلى الأعمال الصالحة فى جميع ساعاته ، فيدرك فى يسير من الزمان ، مما يمتن به المولى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة أى ما لا تحيط =

« حــرف النـــون »

(258) نعمتان ما خرج موجودٌ عنهما [1] ولا بُدَّ لكل مكوَّن منهما [2] نعمةُ الإيجادِ . ونعمةُ الإَمداد [3] .

(259) نور مســتــودعٌ فى القلوب [1] مــددُه [2] من النور الوارد من خــزائن الغيوب [3] .

(260) نور يكشف لك به عن آثاره [1] ، ونور يكشفُ لك به عن أوصافه [2] .

=به العبارة لكثرته وشرفه فتعجز عنه ، ولا تلحقه الإشارة أى لا تصل إليه لرقته وغاية صفائه ، فيرتفع له فى شهر مثلاً ما لا يرتفع لغيره فى ألف شهر ، بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل فى ألف شهر . قال بعضهم : كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان أبو العباس المرسى قدّس سره يقول : أوقاتنا كلها ليلة القدر . وهذا معنى ما روى : البر يزيد فى العمر . وقلت :

ومن يُبارِكْ ربُّهُ فى عُمْرِه   لا يُحْصَ مَا يَنَالهُ مِنْ بِرِّهِ

(258) ـ (1) أى هما عامَّتان لكل موجود .

(2) أى هما لازمتان لكل موجود .

(3) الإضافة فيهما للبيان . فكل موجود فى ذاته معدوم فنعمة الإيجاد أزالت العدم السابق . ونعمة الإمداد أزالت العدم اللاحق . إذا لو لم يمد الموجود بما يجلب إليه المنافع ، ويدفع المضار لتلاشى وكأنه لم يكن . وقلت :

رأى الإيجادَ والإمدادَ منه   خليقته فيا نعم الإلهُ

(259) ـ (1) وهو نور اليقين المودع فى قلب العارفين .

(2) امتداده وزيادة ضيائه .

(3) وهو نور الأوصاف الأزلية ، فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل فى قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم، قال فى لطائف المنن : واعلم أن الله سبحانه وتعالى =

« حـــرف الـــواو »

(261) وُرُودُ الإِمْدَادِ (1) بِحَسَبِ الاسْتِعْدَادِ(2) وَشُرُوقُ الأَنْوَارِ عَلَى حَسَبِ صَفَاءِ الأَسْرَارِ (3) .

(262) وُرُودُ الفَاقَاتِ . أَعْيَادُ المرِيدِينَ(1) .

= إذا تولى ولياً صان قلبه من الأغيار ، وحرسه بدوام الأنوار . وقلت :

نـــورُ القـــلوبِ يمـــدُّهُ   نـــــورُ الغيـــــوبِ

(260) ـ تشير هذه الحكمة إلى أن النور المستودع فى القلوب قسمان .

(1) أى عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء وما تحت الأرض ، وهذا كشف صورى غير معتنى به عند المحققين .

(2) أى أوصاف جلاله وجماله ، وذلك النور لا يحصل إلا من تجلى الأوصاف عليه ويسمى كشفاً معنوياً وهو المعتد به عندهُمْ وَقُلْتُ :

وكَـــمْ أثرٍ يُجـــليّه بِنُـــورِ   وكَم وَصْـفٍ لَهُ بالنُّـــورِ بَانَـا

(261) ـ (1) منَ الله على عَبْده .

(2) أىْ بحَسَبِ اسْتعْداد العَبْد بتَطهير قَلْبه ، ومُلازَمَته لورْده .كذَا قَالَ : طَهِّر قَلْبَكَ منَ الأغْيَار يَمْلأهُ بالمعَارف وَالأسْرَار فَالوَاردُ تَابعٌ للورْد كَيْفاً وكَمَّاً وَدوَاماً فَإنْ كَانَ الوردُ كَاملاً بأنْ برَزَ منْ قَلْب صَاف كَانَ الوَاردُ مثله أوْ نَاقصاً كَانَ مثْلَهُ ، وَإنْ كَانَ كَثيراً كانْ الوَارِدُ كثيراً وَإلاً فَبحَسَبه ، وَإنْ كَانَ دَائماً كان الإمْدَادُ دَائماً فَالموَاظَبَةُ عَلَى الورْد مُهمَّةٌ .

(3) شُرُوقُ أنْوَار اليَقين وَالعرْفَان وَهىَ الإمْدَادَاتُ المذْكُورَةُ على حَسَب صَفَاء الأسْرَار منْ كَدَر التَّعَلُّق بِالآثَار . وَالرُّكُون إلى الأغْيَار . وَلا يَكُونُ صَفَاؤُهَا غَالباً إلا بمُلازَمَة الأوْرَاد قُلْتُ :

عَلَى قَدْر ورْد العَبْد يَأتيه وَاردٌ   وَيُشْرقُ منْهُ النُّورُ إشْرَاقَ سرِّه

(262) ـ (1) الأعْيَادُ جَمْعُ عيد ، وَهِىَ الأوْقَاتُ العَائدَةُ عَلَى النَّاس بالمسَرَّات وَالأفْرَاحِ ، فَالمريدون يُسَرُّونَ بِالفَاقَاتِ لأنَّهَا تُسْرِعُ بِوُصُولِهِم لمقْصُودهِمْ لمَا فيهَا منَ الذُّلِّ وَقَهْرِ النَّفْسِ =

(263) وُصُولُكَ إلىَ اللهِ ، وُصُولُكَ إلىَ العِلْمِ بِهِ . وَإلاَّ فَجَلَّ رَبُّنَا أنْ يَتَّصِلَ بِهِ شَىءٌ أوْ يَتَّصِلَ هُوَ بِشَىءٍ .

=كَمَا تُسَرُّ العَوَامُّ بِالأعْيَادِ لِمَا فِيهَا مِنْ نَيْلِ شَهَوَاتِهِمْ مِنْ مَلابِسَ وَغَيْرِهَا . وَقُلْتُ :

إنَّمَا الفَاقَاتُ أعْيَادُ المُرِيدْ   فَاغْتَنِمْهَا وَاحْمَدِ اللهَ الحَمِيدْ

(263) ـ (1) الوُصُولُ : هُوَ العِلْمُ الحَقِيقِيُّ بِاللهِ تَعَالَى أىْ مُشَاهَدَتُهُ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ مُشَاهَدَةً تُغْنِى عَنِ الدَّلِيلِ وَالبُرْهَانِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ بِالمُشَاهَدَةِ وَبِعِلْمِ اليَقِينِ ، وَبِالتَّجَلِّى ، وَبِالفَيْضِ الرَّحْمَانِىِّ وَالتَّعَرُّفِ العِيَانِى ، وَالذَّوقِ الوِجْدَانِىِّ ، وَأهْلُ الشُّهُودِ مُتَفَاوِتُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَحصُلُ لَه تَجَلِّى الأفْعَالِ وَهُوَ أوَّلُ التَّجَلِيَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَفْنَى فِعْلُه وَفِعْلُ غَيْرِه فِى فِعلِ اللهِ تَعَالَى فَلا يَرَى فَاعِلاً إلاَّ هُوَ وَيَخْرُجُ فِى هَذِه الحَالَةِ عَنِ التَّدْبِيرِ وَالاخْتِيَارِ وَهَذه أوَّلُ مَرَاتِبِ الوُصُولِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْصُلُ لَهُ تَجَلِّى الصِّفَاتِ ، فَيَقِفُ فِى مَقَامِ الهِيبَةِ وَالأنْسِ بِمَا يُشَاهِدُهُ قَلْبُهُ مِنَ الجَمَالِ وَالجَلالِ ، وَهَذه رُتْبَةٌ ثَانِيةٌ مِنْ رُتَبِ الوُصُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْقَى إلىَ مَقَامِ الفَنَاءِ مُشْتَمِلاً عَلَى بَاطِنه أنْوَارُ اليَقِينِ وَالمُشَاهَدَةِ فَيَغِيبُ فِى شُهُودِه عَنْ وُجُودِه وَهَذَا ضَرْبٌ مِنْ تَجَلِّى الذَّاتِ ، لِخَوَاصِّ المُقَرَّبِينَ وَهُوَ أيضاً رُتبةٌ فِى الوُصُولِ ، وَفَوقَ هَذَا رُتْبَةُ حَقِّ اليَقِينِ ، وَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ فِى الدنيا لَمحٌ وَهُوَ سَرَيَانُ نُورِ المُشَاهَدَةِ فِى كُليةِ العَبْدِ حَتَّى تَحظَى بِهُ رُوحُهُ وَقَلْبُه وَنَفْسُهُ حَتَّى قَالِبُهُ وَهُوَ مِنْ أعْلَى رُتَبِ الوُصُولِ فَإذَا تَحَقَّقَتِ الحَقَائِقُ يَعْلَمُ العَبْدُ مَعَ هَذه الأحْوالِ الشَّرِيفَةِ أنَّه فِى أوَّلِ المَنْزِلِ فَأيْنَ الوُصُولُ، هَيهَاتَ مَنَازِلُ طَرِيقِ الوُصُولِ لاَ تَنْقَطِعُ أبَدَ الآبَادِ فِى عُمْرِ الآخِرَةِ الأبَدِىِّ فَكيفَ فِى العُمْرِ القَصِيرِ الدُّنْيَوِىِّ وَإلاَّ تُرِدْ بِالوُصُولِ: العِلْمَ الحَقِيقِىَّ بِطَرِيقِ الذَّوْقِ . بِأنْ أرَدْتَ الوُصُولَ الجِسْمِىَّ فَلا يَصِحُّ ، فَجَلَّ رَبُّنَا أنْ يَتَصِلَ بِه شَىءٌ أوْ يَتَّصِلَ هُوَ بِشَىءٍ لاحِساً وَلا مَعْنىً إذْ كَيْفَ يَتَّصِلُ كَامِلٌ عَلىَ الإطْلاقِ بِنَاقِصٍ عَلَى الإطْلاقِ ، وَشَرطُ الاتِصَالِ المُدَانَاةُ فِى الوَصْفِ؟ وَاللهُ أعْلَمُ ، وَقُلْتُ :

لَقَدْ وَصَلْتَ لَهُ يَا مَنْ عَلِمْتَ بِهِ   بُشْرَاكَ يَا مَنْ إلى عِلْمٍ بِهِ تَصِلُ

(264) وُجْدَانُ ثَمرَاتِ (1) الطَّاعَاتِ عَاجِلاً (2) بَشَائرُ العَامِلينَ بوُجُودِ الجَزَاءِ عَلَيْهَا آجِلاً (3) .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ممَّا كَتَبَ به لبَعضِ إخْوَانه

أمَّا بَعْدُ فَإنَّ البدَايَات ـ مَجلاَّتُ النِّهَايَات (1) وَإنَّ مَنْ كَانَتْ بالله بدَايَتُهُ ، كَانَتْ إليْه نهَايَتُهُ (2) وَالمشْتَغَلُ به هُوَ الذى أَحْبَبْتَهُ وَسَارعَتْ إليْه(3) وَالمشْتَغَلُ عَنْهُ هُوَ المؤثَرُ علَيْه(4) وَإنَّ مَنْ أيقَنَ أنَّ اللهَ يَطلُبُهُ (5) صَدَقَ الطَّلَبَ إليْه (6) وَمَنْ علمَ أنَّ الأمُورَ بيَد

---

(264) ـ (1) هِى الأنوارُ التى تحصَلُ فِى قُلوبهم . وتُشْرقُ عَلى ظَواهِرهم وتَلَذُّذُهُمْ بهَا حَالَ فعلْها .

(2) فى الدنيا .

(3) أىْ بَشَائرُ منَ الله عَاجلَةٌ بوُجُود الجزَاء عليهَا فى الدَّار الآخرَة وَأنَّهَا مَقبولَةٌ عندَهُ وَقُلتُ :

يَا وَاجداً ثمرَ الطَّاعَات دُنيَاكَا ... أبْشرْ فَهُنَّ بَشيرُ الخَيرِ أخرَاكَا

وَهَذه الحكَمُ الغَرَّاءُ قَدْ كَمُلَتْ ... مَتْناً وَشَرحاً فَكَمِّلْ رَبِّ نُعْمَاكَا

(1) المجلاَّتُ جَمْع مَجلَة : مَحلُّ تَجلِّى الشَّىء وَظُهُوره كَالمرآة والمعنَى : إنَّ بَدَايَات الأمُور يَظْهَرُ فيهَا حَالُ نَهايَتهَا فَمَنْ جَدَّ فى بدَايَته انْتَهَى إلى فَتْحٍ عَظِيمٍ قَرِيبٍ وَمَنْ تَكَاسَلَ كَانَ فَتْحُهُ وَوُصُولُهُ عَلَى حَسَبِ حَاله وَنَظمَتُ هَذَا المعنَى فَقُلْتُ

نهايه الأمر تُبْديهَا بدَايَتُهُ ... إنَّ البدَايَات مَجْلاةُ النِّهَايَات

(2) مَنْ اسْتَعَانَ بِاللّه فى مُجَاهَدَته وَصَلَ إلى مَعْرِفَته . فَمنْ عَلاَمَاتِ النُّجحِ فِى النِّهَايَاتِ الرُّجُوعُ إلَى اللّه فى البدَايَات

(3) وَهُوَ الأعْمَالُ الصَّالحَةُ .

(4) شَهَوَاتُكَ وحُظُوظُكَ .

(5) لخدْمَته

(6) تَوَجَّهَ إليه بِاجْتِهَادٍ لأنَّ الثمرةَ رَاجعَةٌ إلَيْه .

اللهِ انجَمعَ بالتَّوكُّلِ عَلَيْه وإنَّهُ لأبُدَّ لبنَاء هَذَا الوُجُود أنْ تَنهَدمَ دعَائمُه [7] وأنْ تُسْلَبَ كرَائمُه [8] فَالعَاقلُ مَنْ كَانَ بمَا هُوَ أبْقَى [9] أفْرحَ منْهُ بمَا هُوَ يَفْنَى [10] قَدَ أشْرَقَ نُورهُ وَظَهَرتْ تَبَاشيرُهُ [11] فَانصَرَفَ عَنْ هَذه الدَّار مُغْضياً [12] وأعْرَضَ عَنْهَا مُولياً فَلَمْ يَتَّخذْهَا وَطَناً ، وَلا جعَلهَا سكَناً ، بَلْ أنْهَضَ الهمَّةَ فيهَا إلى الله وَسَارَ فيهَا مُسْتَعيناً به في القُدُوم عَلَيْه [13] فَمَا زَالَتْ مَطيةُ عَزْمه [14] لا يَقَرُّ قَرَارُهَا [15] دَائما تَسْيَارُهَا [16] إلَى أنْ أنَاخَتْ [17] بحَضْرة القُدْس [18] وَبسَاطِ الأنْس [19] مَحَلُّ المفَاتَحَة [20]

---

(7) أرْكَانُهُ

(8) نَفَائسُهُ .

(9) وَهُوَ الآخرَةُ

(10) وَهُوَ الدنيا .

(11) أىْ نُورُ زُهْد العَاقلِ في قَلْبه وَظَهَرَتْ دَلاَئلُهُ عَلَى وَجْهه وَذَلكَ مُبَشِّرٌ بنُجْحه .

(12) غَيرَ مُلْتَفت إلَيْهَا بقَلْبه .

(13) في الوُصُول إلَى حَضْرَته

(14) عَزْمه الشَّبيه بالمطيَّة .

(15) القَرَار : مَوْضعُ الاسْتقْرَار أى أذا نزلت همته فى موضع ترتحل عنه سريعا الى سواه ، فلا يسكن قَلْبُهُ إلَى شَيْءٍ كَمَا هُوَمقْتَضَى مَقَامِ الزُّهْد

(16) مَسيرُهَا .

(17) نَزَلَتْ .

(18) التَّنْزيهُ وَهىَ حَضْرَتُهُ سُبْحَانَهُ .

(19) المحَلُّ الذى كُلُّ مَنْ جَلَسَ عَلَيْه حَصَلَ له الأنْسُ .

(20) الفَتْحُ عَلَى القُلُوب .

وَالمواجَهَة [21] وَالمجَالسَة[22] وَالمحادَثة . والمشاهَدَة [23] وَالمطَالعَة [24] فَصَارت الحَضَرةُ مُعَشْعَش قُلُوبهم[25] إليْهَا يَأوُونَ ، وَفيهَا يَسْكُنُونَ ، فَإذَا نَزَلُوا إلى سَمَاء الْحُقُوق [26] أوْ أرْض الحُظُوظ [27] فَبالإذْن والتَّمْكين [28] وَالرُّسُوخ فى اليَقين فلَم يَنْزلُوا إلَى الحُقُوق بسُوء الأَدَب والْغَفْلَة [29] وَلاَ إلَى الحُظُوظ بالشَّهْوَة والمتْعَة [30] بَلْ دَخَلُوا فى ذَلكَ [31] كُلّه باللّه [32] وللّه [33]

---

(21) الإقْبَالُ منَ اللّه سُبْحَانَهُ .

(22) بأنْ يَصيرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ حَاضراً معَهُ. بأنْ يُكَلّمَهُ اللّهُ فى سرّه بالمَعَارف والأسْرَار .

(23) بأنْ يُشَاهدَهُ ببَاطنه بَعْدَ غَيبَتَه عَنْ حسّه

(24) التَّمكُّنُ منَ المشَاهَدَة والاطّلاَع عَلَى عُلُوم الغَيْب عَنْ حسّه .

(25) الموْضعُ الذى تَسْكُنُ فيهُ قُلوبُهُمْ كَعُشّ الطَّير .

(26) أى الحقُوقُ الوَاجبَةُ عَلَيْهمْ عنْدَ مُخَالَطَة الخلْق الشَّبيهَة بالسَّمَاء بجَامع صُعُوبَة الارتقَاء إلَى كُلّ .

(27) حُظُوظ أنفُسهم الشَّبيهَة بالأرْض بجَامع سُهُولَة الاسْتقْرَار عَلَى كُلّ .

(28) لا بشَهْوَتهمْ ولذَلكَ لَماَّ أمرَ اللّهُ أبَا يَزيدَ بمخَالَطَة النَّاس صاحَ صَيْحَةً عَظيمةً فقَالَ اللّهُ تَعَالَى : لَملاَ ئكَته رُدُّوا عَلَيَّ عَبْدى فَإنَّهُ لاَ طَاقَةَ له عَلى مُفَارَقَتى . وكَان أبو يَزيدَ إذْ ذَاكَ غَيْرَ مُتَمكّن فى مَقَام الفَرْق أى البقَاء حَتَّى تَحْصُلَ له القُوَّةُ عَلَى مُخَالَطَة الخَلْق وتَحَمُّل أذَاهمْ . ثُمَّ قوَّاهُ وأخْرَجَهُ بَعْدُ

(29) أىْ خَالَطُوا الخَلقَ بأدَب تَامٍّ ويَقَظَة كَاملَة فَإذَا آذَاهم أحَدٌ تحَمَّلُوهُ ورَأوْا أنَّ الذى سَلَّطَهُ عَلَيهمْ موْلاَهُمْ لذَنْب فَعَلُوهُ لاَيليقُ بهمْ، وَإذَا أكْرَمَهمْ شكَرُوهُ ورَأوْا أنَّ الذى حرَّكَهُ لإكْرَامهمْ مَوْلاَهُمْ

(30) التَّمتُّعُ

(31) منَ الحُقوق والحظُوظ

(32) مسْتَعينينَ به

(33) لا لحظّ أنفُسهمْ .

وَمِـنَ اللّـه [34]، وَإلَـى اللّه [35] (وَقُلْ رَبِّ أدْخِلْنِى مُـدْخَلَ صِـدْقٍ وَأَخْـرِجْنِى مُـخْـرَجَ صِـدْقٍ) [36] لِيَكُونَ نَظَرِى إلَى حَـوْلِكَ وَقُـوَّتِـكَ إذَا أدْخَلْتَـنِى [37] وَاسْتِسْلاَمِى [38] وَانْقِيَادِى إلَيْكَ إذَا أخْرَجْتَنِى (وَاجْعَلْ لِى مِن لَدُنْكَ سُـلْطَاناً نَصِيراً) [39] يَنْصُرُنِى [40] وَيَنْصُرُ بِى [41] وَلاَ يَنْصُرُ عَلَىَّ [42] يَنْصُرُنِى عَلَى شُـهُودِ نَفْسِى [43]، وَيُفْنِينِى عَنْ دَائِرَةِ حِسِّى [44]

(34) مِنْ عِنْده

(35) مُتَوَسِّلِينَ إلَيْه فِى نَيْلِ مُرَادِهِمْ «تَنْبِيهٌ» السَّيْرُ إلىَ حَضْرَةِ المولَى يُقَالُ له سَفَرُ التَرقّى . والعَوْدَةُ مِنْهُ إلىَ مُخَالَطَة الخَلْقِ يُقَالُ لَهُ : سَفَرُ التَّدَلِّى . وَإلَيْهِماَ الإشَارَةُ بالآيَة .

(36) فالمدْخَلُ هُوَ سَفَرُ الَترقِىَّ لأنَّه دُخُولٌ ، عَلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ فى حَالَةِ فَنائه عَنْ رُؤْيَة غَيْره . والمخْرجُ هُوَ سَفَرُ التَدلِّى لأنّه خُرُوجٌ إلَى الخليقَة لفَائدَتَى الإرْشَاد وَالهدَاية ، فى حَالَة بَقَائه بربِّه، وتَحقُّقه فِى هَذَيْنِ المقَامَيْنِ أعْنى مَقَامَ الفَنَاء وَالبقَاء هُومَعْنَى صدْقيَّة مُدْخَله وَمُخْرَجه

(37) فَفِى المدْخَلِ أُشَاهدُ حَوْلَكَ وقُوَّتَكَ فَتَنْتَفى عَنِّى بذَلكَ النِّسْبَةُ إلَى نَفْسِى .

(38) وفِى المخْرَجِ أستَسْلمُ إلَيْكَ فَيَنْتَفِى عَنِّى بذَلكَ مُرَاعَاةُ حَظِّى

(39) مَدَدٌ إلهَىٌّ لا يُصَادمُهُ شَىءٌ إلاَّ دَمَغَهُ

(40) عَلَى نَفْسِى

(41) أحْبَابِى

(42) نَفْسِى ولا أعْدَائى .

(43) هذا تَفْسيرٌ للنُّصْرَة المطْلُوبة فِى حَقِّ نَفْسِـه أىْ يَنْصُـرُهُ عَلَيْهَا حَتَّى لا يُشَـاهدَ لهَـا فعْـلاً وَلا حَرَكَةً وَلا سُكُوناً بَلِ المحَركَ المسكِّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(44) أىْ عَمَّا يَدُورُ به حِسِّى وَيُدْرِكُهُ وَهُوَ المكَوَّنَاتُ فَلاَ أتَعلَقَ بهَا وَلا أشَاهدُ منْهَا نَفْعاً وَلا ضَراً بَلْ أشَاهدُ أنَّ النَّافعَ الضَّارَّ هُوَ أنْتَ وَهَؤلاء الذّين نَصرَهُمُ اللهُ وَنَصرَبِهِمْ هُمُ الضَّنَائنُ ، الذينَ إذَا ظَهَرَ وَاحدٌ منْهُمْ فِى عَصْرٍ حَصَلَ به النَّفْعُ التَّامُ لأهْله وَأمَدَّهُمُ اللهُ بسَبَبِه ، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّا كَتَبَ بِهِ لإِخْوَانِه

إنْ كَانَتْ عَيْنُ القَلْبِ(1) تَنْظُرُ أنَّ اللهَ وَاحِدٌ فِى مِنَّتِه (2) فَالشَّرِيعَةُ تَقْتَضِى أَنَّهُ لابُدَّ مِنْ شُكْرِ خَلِيقَتِه (3)، وَأَنَّ النَّاسَ فِى ذَلِكَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَام غَافِلٌ مُنْهَمِكٌ (4) فِى غَفْلَتِه قَوِيَتْ دَائِرَةُ حِسِّه (5) وَانطَمَسَتْ حَضْرَةُ قُدْسِه (6) فَنَظَرَ الإِحْسَانَ مِنَ المخْلُوقِينَ وَلَمْ يَشْهَدْهُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ . إِمَّا اعْتِقَاداً (7) فَشِرْكُهُ جلِىٌّ (8) وَإِمَّا اسْتِنَاداً (9) فَشِرْكُهُ خَفِىٌّ. (10) وَصَاحِبُ حَقِيقَةٍ غَابَ عَنِ الخَلْقِ (11) بِشُهُودِ المَلِكِ الحَقِّ وَفَنِى

(1) البَصِيرَةُ .

(2) نعْمته .

(3) فَإِذَا أَوْصَلَ اللهُ إِلَيْكَ نِعْمَةً أَيًّا كَانَتْ عَلَى يَدِ مَنْ كَانَ فَعَلَيْكَ مُرَاعَاةُ الحقِيقَةِ بِأَنْ تَرَى أَنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ الذى وَصَلَتْ إِلَيْكَ عَلَى يَدِه مَجْبُورٌ عَلَى ذَلِكَ فَتَحْمَدُ رَبَّكَ تَعَالَى وَمُرَاعَاةُ الشَّرِيعَةِ فَتَشْكُرُ مَنْ جَرَتْ لكَ عَلَى يَدِه، فَفِى الحَدِيث مَنْ لَم يَشْكُرِ النَّاسَ لَم يَشْكُرِ اللهَ

(4) مُتَنَاه .

(5) فَلا يَنْظُرُ سِوَى الكَائِنَات ، وَغَفَلَ عَنِ الله .

(6) أىْ بَصِيرَتُهُ التى هِىَ مَنْبَعُ التَّنزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ .

(7) بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ المعْطِى هُوَ العَبْدُ حَقِيقَةً .

(8) يُخْرِجُهُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَى الكُفْرِ .

(9) بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ المعطِى هُوَ اللهُ تَعَالى . وَلكِنْ أَسْنَدَ ذَلِكَ إِلىَ المخْلُوقَات عَلَى جِهة كَوْنِهَا أَسْبَاباً غَيْرَ مُؤَثِّرَة ، وَلَوْلاهُمْ لم يَحْصُلِ الإِعْطَاءُ . فَإِذَا قِيلَ لَهُ : مَنْ اعْطَاكَ ؟ فَيَقُولُ: اللهُ ، وَالسَّبَبُ فُلانٌ وَلَوْلاهُ مَا كَانَ .

(10) لأنّه أشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ وَهُوَ المخلُوقُ، ولمَ يَغبْ عَنِ اللهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ لكِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ الكُفْرُ .

(11) فلَمَ يَشْعُر بِهِمْ .

عَن الأسْبَاب بشُهُود مُسبِّب الأسْبَاب [12] فَهُوَ عَبْدٌ مُوَاجَةٌ بالحَقيقَة [13] ظَاهِرٌ عَلَيْه سنَاهَا سَالكٌ للطَّرِيقَة قَد اسْتَوْلَى عَلَى مَدَاهَا [14] غَيْرَ أَنَّهُ غَرِيقُ الأَنْوَار . مَطْمُوسُ الآثَار [15] قَدْ غَلَبَ سُكْرُهُ [16] عَلَى صَحْوه [17] وَجَمعُهُ [18] عَلَى فَرْقه [19] وَفَنَاؤُهُ [20] عَلَى بَقَائه [21] وَغَيبَتُهُ عَلَى حُضُوره . [22] وأكْمَلُ منْهُ عَبْدٌ شَربَ [23] فَازْدَادَ صَحْواً ، وَغَابَ [24] فَازْدَادَ حُضُوراً . فَلاَ جَمعُهُ بحَجبُهُ عَنْ فَرْقه . وَلا فَرْقُهُ يَحجبُهُ عَنْ جَمْعه . وَلا فَنَاؤهُ يَصُدُّهُ عَنْ بَقَائه . وَلاَ بَقَاؤُهُ يَصُدهُ عَنْ فَنَائه يُعْطى كُلَّ ذى قسْط قسْطَهُ [25] وَيُوفى كُلَّ ذى حَقٍّ حَقَّهُ . وَقَدْ قَالَ أَبُو بكْر الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءتُهَا منَ الإفْكَ عَلَى لسَان رَسُول الله ﷺ : يَا عَائشَةُ

---

(12) وَهُوَ اللهُ تَعَالَى .

(13) هيَ حَضْرَةُ الرَّبِّ تَعَالَى . باعْتبَارِ الأصْلِ وَإلاَّ فَمُوَاجَهَتُهُ بالحَقيقة لا تَكونُ إلاَّ بَعْدَ سُلُوكه طَريقَ القَوم .

(14) غَايَتهَا . وَهُوَ وَإنْ كَمُلَ بالنّسبَة للغَافلِ لكنَّه نَاقصٌ بالنسْبَة للعَارف، ولَذَا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ غَرِيقُ الأَنْوَار أىْ غَرِيقٌ فى بحَار التَّوحيد .

(15) غَائبٌ عَنْ رُؤْيَتهَا .

(16) عَدَمُ إحْسَاسه بالآثَار .

(17) وَهُوَ وُجُودُ إحْسَاسه بهَا .

(18) وَهُوَ رُؤْيَةُ الحقِّ وَحْدَهُ .

(19) وَهُوَ وَجُودُ إحْسَاسه بهَا .

(20) وَهُوَ رُؤْيَةُ الحقِّ وَحْدَهُ .

(21) وَهُو شعُورُه بالخَلْق فَهُوَ فى مَقَامِ الفَنَاء الذّى هُوَ مَقَامُ الجَمع لا البَقَاء الذى هُوَ مَقَامُ الفَرْق

(22) هَذه الجملةُ كَالتَّفسير لَما قَبْلهَا .

(23) منَ المدَد الإلهىِّ وَمنْ كُؤوسِ التَّوْحيد .

(24) عَنْ رُؤيَة الأغْيَار .

(25) فَيشْكُرُ الحَقَّ وَالخَلْقَ وَلاَ يَغيبُ عَنْ الربِّ فى حَالِ مُخَالطَة الخَلقِ . وَهَؤلاء هُمْ خَاصَّةُ=

اشْكُرِى رَسُولَ الله ﷺ (26) فَقَالَتْ : وَالله لا أَشْكُرُ إلا اللهَ (27) دَلَّهَا أَبُو بَكْر رضي الله عنه عَلَى المقَامِ الأكْمَلِ مَقَامِ البَقَاء المقْتَضى لإثْبَاتِ الآثَار (28) وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ وَقَالَ ﷺ : « لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ » وكَانَتْ هِىَ فِى ذَلِكَ الوَقْتِ مُصْطَلَمَةً (29) عَنْ شَاهِدِهَا غَائِبَةً عَنْ الآثَارِ فَلَمْ تَشْهَدْ إلاَّ الوَاحِدَ القَهَّارَ .

« قرة العين فى الصلاة »

وَقَالَ رضي الله عنه لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِه صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْه (وَجُعِلَتْ قُرَةُ عَيْنِى فِى الصَّلاةِ) هَلْ ذَلِكَ خَاصٌّ به أمْ لِغَيْرِه مِنْهُ شِرْبٌ (1) وَنَصِيبٌ ؟فَأَجَابَ : إنَّ قُرَّةَ العَيْنِ بِالشُّهُودِ (2) عَلَى قَدْرِ المعْرِفَةِ بِالمَشْهُودِ (3) فَالرَّسُولُ صَلَوَاتُ الله عَلَيْه وَسَلامُهُ

= الخَلق الذين حَازُوا رُتْبَةَ الأكْملية وتَمكّنوا فِى المقَامَاتِ ، وَمَلَكُوا أحْوَالَهُمْ . وَمِنْهُمْ أُبُوبَكْر رضي الله عنه .

(26) لأنَّ بَرَاءَتَك مِنْ تُهمَة الكَذب عَلَيْك كَانَتْ بِبَركته ﷺ فيَسْتَحِقُّ الشكْرَ مِنْك .

(27) لأنَّهَا كَانَتْ مُنْغَمسَةً فِى الأنْوَار مُجتمعَةً عَلَى حَضْرَةِ القَهَّارِ . فَلَم تَرَ شَيْئاً مِنَ الأغْيَارِ .

(28) النَّظَرُ للخَلْق وَمِنْ جُمْلَتهِمْ ﷺ .

(29) غَائِبَةً عَنْ حُكْم بَشَرِيَّتِهَا مَأخُوذَةً عَنْ إحْسَاسِهَا . وَالاصْطلامُ حَالَةٌ تَعْتَرِى العَبْدَ مِنْ تَجلى الله عَلَيْه بِصفة القَهْر فَتُغَيِّبُهُ عَنْ إحْسَاسه ، وَفِى قَوْلِه : وكَانَتَ فِى ذَلكَ الوَقْت إشَارَةٌ إلى أنَّهَا لَمْ تَكُنِ الغَيْبَةُ لازمَةً لَهَا بَلْ تَرَقَّتْ عَنْهَا إلَى مَقَامِ الفَرْقِ ، وَهُوَ رُؤْيَةُ الحَقِّ مَعَ الخَلْقِ .

(1) الشِّرْبُ : الحَظُّ .

(2) قُرَّةُ العَين : كنَايَةٌ عَنْ غَايَة السُّرُور وَالفَرَحِ واللَّذَّة .

(3) اللهُ سُبْحَانَهُ وَحَاصلُ الجَوَاب أنَّ قُرَّةَ العَين لَيْسَتْ خَاصَّةً بِه بَلْ كَمَا تَكُونُ لَهُ ﷺ تَكُونُ لغَيْره لكنَّ قُرَّةَ عَيْنِه أعْظَمُ . وَمَعْلومٌ أنَّ قُرَّةَ العَيْنِ لا تَكُونُ إلاَّ مِنَ الذين ذَهَبَتْ عَنْهمُ الوَسَاوِسُ النَّفْسيَّةُ وَالشَّيْطَانِيَّةُ . أمَّا مَنْ كَانَ مَغمُوراً فِيهَا فَقَلَّ أنْ تَحْصُلَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ أو حُضُورُ قَلْب بَيْنَ يَدَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

لَيسَ مَعرفَةُ غَيْره كَمَعْرفَته ولَيس قُرَّةُ عَين غَيْره كَقُرَّته ، وإنَّمَا قُلْنَا : إنَّ قرةَ عَيْنه فى صَلاته بشُهُودِه جَلاَلَ مَشْهُوده لأنَّهُ قَدْ أشَارَ إلَى ذَلكَ بقَوله فى الصَّلاة ، ولَم يَقُل بالصَّلاَة إذْ هُوَ صَلَواتُ الله عليه وسَلامُهُ لا تَقرُّ عَيْنُهُ بغَير ربِّه[4] وكَيفَ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى هَذَا المَقام ويَأمُرُ به سواه بقَوْله : صَلَوَاتُ الله عَلَيه وَسَلامُهُ : « اعْبد اللهَ كَأنَّك تَراه » ومُحَالٌ أن يَرَاهُ وَيَشْهَدَ مَعَهُ سواهُ[5] فَإنْ قَالَ قَائلٌ قَدْ تكُونُ قُرَّةُ العَيْن بالصَّلاة لأنَّهَا منْ فَضْل الله وبَارزَةٌ منْ عَيْن منَّة الله[6] فكَيْفَ لَا يَفْرحُ بهَا وكَيْفَ لا تَكُونُ قُرَّةُ العَيْن بهَا وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللهِ وبرَحْمَته فَبذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ الآية ، فَاعلَمْ أنَّ الآية قَدْ أوْمَاتْ إلى الجَوَاب لمنْ تَدَبَّرَ سرَّ الخطَاب . إذْ قَالَ فَبذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا ومَا قَالَ فَبذَلكَ فَافْرَحْ يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُمْ فَلْيَفْرَحُوا بالإحْسَان وَالتَّفَضُّل ولْيَكُنْ فَرَحُكَ أنْتَ بالمتَفَضِّلِ[7] كَمَا قَالَ فى الآيَة الآخْرَى ﴿ قُلِ اللهُ[8] ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[9] ﴾

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيمَا كَتَبَ به لبَعْض إخْوَانه

النَّاسُ فِى وُرُودِ المنَنِ عَلَى ثَلاثَة أقْسَامٍ فَرِحٌ بالمنَنِ[1] لا منْ حَيْثُ مُهْديهَا

---

(4) وَمنَ الغَيْر الصَّلاةُ .

(5) وَمنَ السّوَى صَلاتُهُ فَيَغيبُ عَنْ نَفْسه وَحسه وَعَنْ أفعَاله ، وَلاَ يَرَاهَا صَادرَةً منْهُ بَلْ منَ الله تَعَالَى .

(6) جَعَلَهَا بَارزَةً منْ منَّة الله مُبَالغَةً وَإلاَّ فَهِىَ بَارزَةٌ منْهُ بمنَّته لاَ لعلَّة .

(7) وَهُوَ اللهُ .

(8) مَعنَاهُ المُطَابقىُّ قُل : اللهُ أنزَلَهُ أى القُرآنَ وَمَعنَاهُ الإشَارىُّ المرادُ هُنَا قُلِ اللهُ أىْ افرَحْ به لا بغَيْره .

(9) وَهُوَ فَرَحُهُمْ بغَيْر الله تَعَالَى . وَيُؤخَذُ منْهُ أنَّ قُرَّةَ العَين قَدْ تَكُونُ لغَيره بالصَّلاة للعلَّة السَّابقَة وَأمَّا هُوَ ﷺ فَإنَّمَا بمُشَاهَدَة مَحبُوبه وَغَيْرُهُ يُشَاركُهُ فِى ذَلكَ عَلَى حَسَب مَقَامه .

(1) النِّعَم .

وَمُنشئُهَا [2] ولَكنْ بوُجُود مُتْعَته [3] فيهَا . فَهَذَا منَ الغَافلينَ يَصْدُقُ عَلَيْه قَوْلُه تَعَالَى حَتَّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإذَا هُمْ مُبْلسُونَ)[4] وَفَرِحٌ بالمَنن منْ حَيْثُ إنّه شَهِدَهَا منَّةً ممَّنْ أرسَلَهَا . ونعمَةً ممَّنْ أوْصَلَهَا يَصْدُقُ عليه قولُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللَّهِ وَبرَحْمَته فَبذَلكَ فَليَفرَحُوا هُوَ خَيرٌ مّمَّا يَجمَعُونَ ﴾ [5] وَفَرِحٌ بالله ما شَغَلَهُ منَ المَنن ظَاهرُ نعْمتهَا ، وَلا بَاطنُ منَّتهَا [6] بَلْ شغلَهُ النَّظَرُ إلى الله عَمَّا سوَاهُ . والجَمْعُ عَلَيْه[7] فَلاَ يَشْهَدُ إلاَّ إيَّاهُ يَصْدُقُ عَلَيْه قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وَقَدْ أوْحَى اللهُ إلى دَاوُدَ : يَا دَاوُدُ قُلْ للصِّدِّيقينَ [8] بى فَلْيَفْرَحُوا [9]

---

(2) وَهُوَ اللهُ .

(3) تَمتُّعه وَقَضَاء وَطَره بهَا .

(4) يَعْنى أنَّهَ رُبَّمَا كَان تَوَارُدُ النِّعَمِ اسْتدرَاجاً منَ الله تَعَالَى كُلمَا أعْطى نعْمَةً زَادَ غَفْلَةً ولَمَ يَشْكر ربَّه عَليهَا حَتى يَأخُذَهُ أخذَ عَزيز مُقْتَدرٍ .

(5) فيَشكره سبْحَانه عليْهَا لَكنَّهُ نَاقصٌ حَالُهُ إذ التَفَتَ إليْهَا وَفرِحَ بهَا وَإنْ كَان ذَلكَ منْ حَيْثُ بُرُوزُهَا عَنِ الله .

(6) أىْ لمَ يَلتَفتُوا إلىَ ظَاهرِ النِّعَمِ منْ أجْلِ أنَّ فيهَا لَذَّتَهُمْ ، وَلاَ إلىَ بَاطنِهَا منْ حَيْثُ كَوْنهَا دَلائل عَلَى عنَايَة الله بهمْ بَلْ حَيْثُ مَنَّ بِهَا عَلَيْهِمْ .

(7) أىْ جَمْعيَّةُ قَلْبه عَلَيْه .

(8) كَثيرى الصِّدْق فى أقْوَالهمْ وَأفعَالهمْ وَأحْوَالهمْ .

(9) لا بغَيْرى لأنّى ربُّهُمْ وَهُمْ عَبيدٌ مُخلصُونَ قيلَ إنَّ عُتْبَةَ الغُلامَ دَخَلَ عَلَى رَابعَةَ العَدَوِيَّةَ يَتَبْخْتَر فى قَميصٍ جَديد فَقَالتْ : مَا هَذَا التِّيهُ الذى لم أرَهُ فيكَ قَبْلَ اليَومِ فَقَالَ : وَمَنْ أوْلَى بهَذَا التِّيه منِّى وَقَدْ أصْبَحَ لى مَوْلىً وَأصْبَحْتُ له عَبْداً .

وَبذكْرى فَلْيَتَمتَّعُوا (10) وَاللهُ تَعَالَى يجعل فَرَحَنَا وَإِيَّاكُمْ به ، وَبالرِّضَا عَنْهُ وَأَنْ يَجْعَلَنَا منْ أَهْلِ الفَهْم عَنْهُ . وَأَنْ لا يَجعلَنَا منَ الغَافلينَ ، وَأَنْ يَسْلُكَ بنَا مسْلكَ المتَّقينَ بمَنِّه وكَرَمه آمينَ .

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في دُعَائه المعروف (بالمناجاة) وتقرأ سَحَراً

(1) إلهي أَنَا الفَقيرُ في غنَايَ ، فَكَيفَ لا أَكُونُ فَقيراً في فَقْرى (1) ؟

(2) إلهي أَنَا الجَاهلُ في علْمي (2) ، فَكَيفَ لا أَكُونُ جَهُولاً (3) في جَهْلى ؟

---

(10) فَإنَّ المشْتَغلَ بالذِّكْرِ يَحْصُلُ عنْدَهُ منَ اللذَّة وَالأنس بالله مَالاَ تُوَازيه لَذَّةٌ منْ مَلَذَّات الدنيا وَقُلْتُ في مَجَامعِ الأنْوَار :

وَالذِّكْرُ ذكْرُ الذَّاكرينَ وَحَيثُمَا ... كَانُوا فَفي أَسْرَاره وَسَنَاهُ
وَرِيَاضُ جَنَّات مَجَالسُهُ وكَمْ ... غَفَرَ الإلَهُ لمنْ بهَا أَخْطَاهُ
اللهُ أَكبَرُ حينَ يَدْخُلُ ضَاحكاً ... جَنَّاته مُسْتَبْشراً بلقَاهُ
هَذَا ـ وكَمْ للذِّكْر منْ أَثَر سَمَا ... فَوْقَ الكَلام فَمَا اسْتَطَاعَ أَدَاهُ
إنْ قيلَ مَنْ أَهْنَا الوَرَى عَيْشاً فَقُل ... مَنْ هَامَ بالأذْكَارِ هُمْ أَهْنَاهُ
أَيْنَ الملُوكُ وَعزُّهُمْ منْ عزِّه ... بَلْ منْ نَعيم فُؤاده وَصَفَاهُ
مَلكٌ بلاَ مُلْك يُدَبِّرُ أَمْرَهُ ... بَلْ أَمْرَهُ لمليكه أَلقَاهُ
أَنَّى يُسَاويه مُدَبِّرُ غَيْره ... وَبه يُلاقي كُلَّ مَا عَنَّاهُ
وَلَرُبَّمَا حَدَثَ الذى منْ أَجْله ... لَمْ تَكْتَحلْ بمَنَامها عَينَاهُ
وَلَطَالمَا يَنْسَى مَصَالحَ نَفْسه ... إذْ فيه قَدْ نَسيَ الذى سَوَّاهُ

(1) يَعْني أَنَّ صفَتي الذاتية الفَقْرُ ، وَالغنَى عَارضٌ ، وَالعَارضُ بصَدَد الزوَال .

(2) لأنَّ مَا عنْدى منَ العلْم قَليلٌ فَهُوَ في حُكْم العَدَم .

(3) كَثيرُ الجَهْل وَإنَّمَا قَدَّمَ هَذَا التَّضَرُّعَ بَيْنَ يَدَى دُعَائه ليكُونَ أَرْجَى للإجَابَة قَال سَهْلُ بْنُ عَبْد الله : مَا أَظْهَرَ عَبْدٌ فَقْرَهُ إلىَ الله في وَقْت الدُّعَاء في شَىء يَحُلُّ به إلاَّ قَالَ لمَلائكَته : لَوْلاَ أَنَّه لا يَحْتَملُ كَلامي لأجَبْتُهُ لبَيْكَ .

(3) إلهى إنَّ اختلافَ تَدْبيركَ[4] ، وَسُرْعَةَ حُلُول مَقَاديركَ مَنَعَا عبادَكَ العَارفينَ بكَ منَ السُّكُون إلى عَطَاء[5] وَاليَأس منْكَ فى بَلاء[6] .

(4) إلهى منِّى مَا يَليقُ[7] بلُؤمى . وَمنْكَ مَا يَليقُ[8] بكَرَمكَ .

(5) إلهى وَصَفْتَ نَفْسَكَ باللُّطف ، وَالرأفة[9] بى قَبْلَ وُجُود ضَعْفى[10] أفَتَمْنَعُنى منْهُمَا بَعْدَ وُجُود ضَعْفى[11] ؟

(6) إلهى إنْ ظَهَرَت المحَاسنُ[12] منِّى فَبفَضْلكَ[13] ولَكَ المنَّةُ عَلَىَّ وإنْ ظَهَرَت المسَاوِئُ[14] منِّى فَبعَدْلكَ[15] وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَىَّ[16] .

---

(4) التَّدْبيرُ : المدَبَّرُ أى المقَدَّرُ وقَوْلُهُ وَسُرْعَةَ حُلُول مَقَاديركَ : مُقَدَّرَاتكَ عَطفُ تَفْسير عَلَى التَّدْبير .

(5) دُنَيَوىٌّ أوْ دينىٌّ فَلا يَلتَفتُونَ إليْه لأنَّهُ بصَدَد الزَّوَال . كَمَا وَقَع لكثير فبَقَاؤُهُ وزَوَالُه عنْدَهُم عَلَى حَدٍّ سَوَاء .

(6) لأنَّهُ بصَدَد الزَّوَال أيْضاً .

(7) وَهُوَ العصْيَانُ .

(8) وَهُوَ العَفْوَ وَالغُفْرَانُ .

(9) شدَّةُ الرَّحْمَة .

(10) قَبْلَ خَلقى أزَلاً

(11) بَعْدَ خَلقى فَاللُّطفُ والرَّأفَةُ اتَّصفَ اللهُ بهمَا أزلاً قَبْلَ وُجُود العَبد ، وَظَهَرَ أثَرُهُمَا عَلَيْه بَعْدَ وُجُوده وَهُوَ تَرَادُفُ نعَم الله عَلَيْه .

(12) الطَّاعَاتُ ، وَحَميدُ الصِّفَات .

(13) لا بقُوَّتى .

(14) الصِّفَاتُ المذْمُومَةُ .

(15) لأنَّكَ مَالكٌ وَالمالكُ يَفعَلُ فى ملكه مَا يَشَاءُ .

(16) بأنْ تَقُولَ : لمَ فَعَلتَ . ولَيس لى حُجَّةٌ اقيمُهَا عَلَيكَ بأنْ أقوُلَ بتَقْديركَ لأنَّ ذَلك شَأنُ الجَاهل .

(7) إلهى كَيْفَ تكلُنى إلىَ نَفْسى وَقَدْ تَوَكّلْتَ لى[17] ، وكَيْفَ أُضَامُ[18] وأنْتَ النَّاصرُ لى ، أم كَيْفَ أخيبُ[19]، وأنْتَ الحفىُّ بى[20] هَا أنَا أتَوَسَّلُ إليْكَ[21] بفَقْرى إليْكَ ، وكَيْفَ أتَوسَّلُ إليْكَ بمَا هُوَ مُحَالٌ أنْ يَصلَ[22] إليْكَ أمْ كَيْفَ أشْكُو إليْكَ حَالى ، وَهىَ لا تَخْفَى عَلَيْكَ[23] أمْ كَيْفَ أتَرجمُ لكَ بمَقَالى ، وَهُوَ منْكَ بَرزَ إليْكَ ، أمْ كَيْفَ تَخيبُ آمَالى ، وَهىَ قَدْ وَفَدَت عَلَيْكَ

---

(17) وَمَنْ كُنْتَ وكيلَهُ لا يَحتَاجُ لغَيْرِكَ .

(18) أذلُّ .

(19) لا أظفرُ .

(20) اللطيفُ ، ولُطفُهُ بعَبْده : عَلمُه بدَقَائق مَصَالحه ، وإيصَالها إليْه برفْق .

(21) أتَشَفَّعُ ، والوَسيلةُ : مَا يَتَقرَّبُ به العَبْدُ إلىَ الرَّبِّ ، وأعْظَمُها فَقْرُ العَبْد واضطرَارُهُ إلىَ ربّه فى كُلِّ حَال قَالَ أبو يَزيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نُوديتُ فى سرِّى فَقيلَ لى خَزَائنُنَا مَمْلُوءَةٌ منَ الخدْمَة فَإنْ أرَدْتَنَا فَعلَيْكَ بالذلّة وَالافْتقَار .

(22) وَهُوَ الفَقْرُ المذكُورُ فكَأنَّهَ يَقُولُ : إنْ كَانَ الفَقرُ يُتَوسَّلُ به إليكَ فَأنَا أتَوَسَّلُ به لكنَّهُ لا يُتَوسَّلُ به إليْكَ لأنَّ المتَوسَّلَ به يكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المتَوسَّل إليْه عَلَقَةٌ وَمُنَاسَبَةٌ كَالوَزير وَالسُّلطَان وَلا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الفَقْر الذى هُوَ نَعْتُ العَبْد ، وبَيْنَ الرَّبِّ الذى لَهُ الغنَى الأكْبَرُ . وَأيضاً تَوسُّلُ العَبْد بفَقْره يَقتَضى اعتمَادَهُ عَليه فَيكُونُ حَالاً مَعْلولاً لا يَقْبَلُهُ اللهُ فَإذَنْ لا وَسيلَةَ إلىَ الله غَيْرُهُ .

(23) وَلذَا قَالَ الخَليلُ عليه السلام : حَسْبى منْ سُؤَالى علمُه بحَالى . وَقَولُهُمْ لاَ شكْوىَ إلاَّ لله شَأنُ الغَافلينَ المحْجُوبينَ .

أَمْ كَيْفَ لا تَحْسُنُ أَحْوَالى(24) وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ(25)

(8) إلهِى مَا أَلْطَفَكَ(1) بِى مَعَ عَظِيمِ جَهلِى . وَمَا أَرْحَمَكَ(2) بِى مَعَ قَبِيحِ فعلِى(3) .

(9) إلهِى مَا أَقْرَبَكَ مِنِّى(4) ، وَمَا أَبْعَدَنِى عَنْكَ(5)

(10) إلهِى مَا أَرْأَفَكَ بِى فَمَا الذى يَحْجُبُنِى عَنْكَ(6) .

(11) إلهِى قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثَارِ ، وَتَنَقُّلاتِ الأَطْوَارِ(7) أَنَّ مُرَادَكَ مِنِّى(8) أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَىَّ فِى كُلِّ شَىءٍ . حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِى شَىءٍ(9)

---

(24) لَمَّا كَانَت التَّعَجُّبَاتُ الماضِيَةُ تَقْتَضِى اسْتِنقَاصِ نَفْسِه ، وَهُوَ غَيْرُ لائق بالعَارِفِينَ لِمَا فيه مِنْ مُلاحَظَتِهَا وَالبَقَاءِ مَعَهَا ، والعَارِفُ لا يَرَى غَيْرَ رَبِّه ، وَالأَحْوَالُ كُلُّها حَسَنَة مِنْ حَيْثُ نِسبَتُهَا إِلَيْه ذَكَرَ قَوْلَهُ (أَمْ كَيفَ لا تَحْسُنُ أَحْوَالى) البَاطِنيَّةُ وَالظَّاهِرِيَّةُ وَهِيَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ .

(25) أىْ صَدَرَتْ مِنْكَ وَرَجَعَتْ إِلَيْكَ لأَنَّكَ المَقْصُودُ بِهَا .

(1) أَكْثَرَ رِفْقَكَ .

(2) أَكْثَرَ إِحْسَانَكَ .

(3) أَفْعَالِى القَبِيحَة المُقْتَضِيَة عَدَمَ الإِحْسَان فَهَذَا أَمْرٌ يُتَعَجَّبُ مِنهُ .

(4) بِذَاتِكَ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ المَعْرِفة والشُّهُودِ أو بِعِلْمِكَ كَما يَقُول غَيرهم .

(5) بِصِفَاتِى التَّى اقْتَضَتْ عَدَمَ شُهُودِى إِيَّاكَ وَهَذَا تَوَاضُعٌ مِنْهُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ .

(6) فَإِنَّ مَنْ شَاهَدَ رَأْفَةَ رَبِّه غَابَ بِهَذَا الشُّهُودِ عَنْ نَفْسِه وَصِفَاتِهَا فَلِذَلِكَ لَمْ يَظْهَر لَهُ سَبَبٌ لِوُجُودِ حِجَابِه عَنْهُ .

(7) أىْ قَدْ عَلِمْتُ بِاختِلافِ الآثَارِ عَلَىَّ ، وهِيَ تَنَقّلاتُ أَطْوَارِى مِنَ الصِّحَّة وَالمَرَضِ وَالبَسْطِ وَالقَبْضِ وَغَيْرِهَا .

(8) بِذَلِكَ .

(9) أىْ أَعْرِفَكَ مَعْرِفَةً خَاصَّةً وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَى خِلافِ هَذَا . وَأَلزَمْتَنِى حَالَةً وَاحِدَةً أَرْتَضِيهَا =

(12) إلهى كُلَّما أخرَسَنِى لُؤمِى [1] أنْطَقَنِى كَرَمُكَ . وكُلّما آيَستنى أوْصَافِى [2] أطمَعَتْنِى مِنَنُكَ [3] .

(13) إلهى مَنْ كَانَت مَحَاسنُهُ [4] مَسَاوِى [5]، فكَيفَ لا تكُونُ مَسَاوِيه [6] مَسَاوِى [7]، ومَنْ كَانَتْ حقَائقُهُ [8] دعَاوِى فكيفَ لا تكُونُ دعَاوِيه دعَاوِى [9] .

(14) إلهى حُكْمُكَ النَّافذُ ، ومَشيئَتُكَ القَاهِرَةُ لمَ يتركَا لذِى مَقَالٍ مَقَالاً ، وَلا لذِى حَالٍ حَالاً [10]

= لكَانتْ مَعْرِفَتِى نَاقصةً قَالَ بَعْضُهُمْ : فِى الدنيا جَنَّةٌ مُعَجَّلةٌ مَنْ دَخَلهَا لَم يَشْتَق إلىَ جَنَّةِ الآخرة وَلا إلى شَىءٍ ولَم يَسْتَوْحِشْ مِنْ شَىءٍ . قِيلَ : وَمَا هِىَ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الله تَعَالَى .

(1) أسْكتنى عَنِ الطَّلب عصْيَانِى .

(2) أوْقعتْنِى فِى اليَأسِ عَنِ الاستقَامَة .

(3) عَطَايَاكَ الشَّامِلَةُ للفَاجرِ وَالشَّاكرِ .

(4) أعْمَالُهُ الصَّالحَةُ .

(5) لعَدَمِ خُلُوِّهَا مِنَ العُجْبِ وَالرياءِ فَهِىَ مَحَاسِنُ فِى الظَّاهِرِ وَعِنْدَ النَّاس ، مَسَاوٍ فِى الوَاقِعِ وَعِنْدَ الله .

(6) أعْمَالُهُ السَّيِّئةُ وَعُيُوبُهُ .

(7) عُيُوباً عَظيمةً .

(8) عندى وَفِى أعتقَادى .

(9) وَاضِحَةَ البُطْلان ، يَنْسُبُ إلىَ نَفْسه التَّقْصِيرَ وَيَرْجُو عفْوَ رَبِّه .

(10) فَإذَا كَان ذَا علمٍ عَظيمٍ فَقَد نَفَذَتْ مَشيئَةُ الله فِى بَلعَامَ بْن بَاعُوراءَ وَسُلبَهُ . وَإذَا كَانَ ذَا حَال حَميدة بأنْ كَانَ مُكَاشَفاً أوْ تُطيعهُ بَعْضُ الجَمَادَات لَم يَغْتَرَّ بذَلكَ فَقَدْ شُوهدَ عَلَى كَثيرٍ وَسُلبَ مِنْهُ .

(15) إلهى كَمْ منْ طَاعَة بَنَيتُهَا [1] وَحالة شَيَّدتُهَا [2] هَدَمَ اعْتِمَادى عَلَيهْاَ عَدْلُكَ [3] بَلْ أقَالَنِى منْهاَ فَضْلُكَ [4].

(16) إلهِى أنْتَ تَعْلَمُ وَإنْ لم تَدُمِ الطَّاعَةُ مِنِّى فِعْلاً جَزْمًا [5]. فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَعَزْماً [6].

(17) إلهِى كَيْفَ أعزِمُ [7]، وأنتَ القَاهِرُ [8]؟ وكَيْفَ لا أعْزِمُ وأنْتَ الآمِرُ [9]؟

(18) إلهِى تَرَدّدِى فِى الآثَار [10] يُوجِبُ بُعْدَ المَزَار [11] فَاجْمَعْنِى عَلَيْكَ [12] بِخِدْمَة [13] توصلنى إليكَ [14].

---

(1) عَلَى الشَّرْعِ.

(2) فِى النَّجَاة مِنَ النَّار وَدُخُول الجَنَّة.

(3) الذى مُقْتَضَاهُ أنَكَ تَفعَلُ ما تَشاءُ وَلاَ تُبَالِى.

(4) منَ التَّعَلُّق بهَا النَّظَرُ إلَى فَضْلكَ فَاعتَمَدْتُ عَلَيْهِ دُونَهَا، فَنِعْمَ البَدَلُ الفَضْلُ.

(5) مَقْطُوعاً بِحُصُوله.

(6) والمدَاوَمَةُ عَلَى هَذَا الوَجْه مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ.

(7) عَلَى الطَّاعَات، وتَرْك المَنْهِيَّات.

(8) فقد أعزِمُ ويَصُدُّنِى قهرُكَ فَلاَ وَزْنَ للعزْمِ.

(9) مُقْتَضَى الأمْر المُبَادَرَةُ إلى العَزْمِ فأنَا مُتَحَيِّرٌ فِى تَدْبِير أمْرِى، وَلاَ يَسَعُنِى إلا التَّسْلِيمُ لَكَ، وَلَذَا فَوَّضَ العَارِفُون وَقَالُوا العَارِفُ لاَ قَلْبَ لَهُ.

(10) المُكَوَّنَات عَلَى سبيل التَّعَلُّق بِهَا.

(11) الوُصُول إلَيْكَ وَمُشاهَدتكَ.

(12) أوْقفنى بَيْنَ يَدَيْكَ.

(13) طَاعَةٍ مِنْ أذكار وَرياضات ومُجَاهَدَات.

(14) وَتَقْطَعُ التَّعَلقَ بالآثَار عَنْ قَلْبِى فَلا أتَعَلَّقُ بكَشْف ولا غَيْره.

(19) إلهى كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بمَا هُوَ فِي وُجُودِه مفْتَقِرٌ إلَيْكَ[1] ؟

أيكُونُ لغَيْرِكَ منَ الظُّهُور مَاليس لَكَ . حتَّى يكُونَ هُوَ المظْهرَ لَكَ[2] ؟متَى غبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إلى دليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ ؟ وَمَتَى بَعُدْتَ حتَّى تكُونَ الآثَار[3] هِيَ التِي تُوَصِّلُ إلَيْكَ[4] ؟

(20) إلهى عَمِيَتْ عَيْنٌ[5] لا تَرَاكَ عَلَيهَا رَقِيبا[6] وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ[7] عَبْدٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ[8] نَصِيبًا .

(21) إلهى أمَرْتَ بالرُّجُوعِ إلىَ الآثَار[9] فَارْجعْنى إلَيْهَا بكسْوَة الأنْوار وَهِدَايَة الاسْتِبْصَارِ[10] حتَّى أَرْجِعَ[11] إلَيْكَ منْهَا كَمَا دَخَلْتُ إلَيْكَ مِنْهَا مَصُونَ السِّرِّ عَنَ

---

(1) وَهُوَ المُكَوَّنَاتُ فَإنَّهَا فِي ذَاتِهَا عَدَمٌ مَحضٌ .

(2) فَإنَّ الدَّلِيلَ يكُونُ أوْضَحَ مِنَ المدْلُول حَتَّى يُسْتَدَلَّ به عَلَيْه .

(3) المُكَوَّنَاتُ .

(4) إلىَ مَعْرِفَتِكَ ، ولَذَا قَالَ مَرِيدٌ لشَيخِه : يَا أَسْتَاذُ أيْنَ اللهُ ؟ فَقَالَ : وَيْحكَ وَهَلْ يُطلَبُ مَعَ العَيْنِ أيْنٌ .

(5) المرَادُ عَيْنُ البَصِيرَة .

(6) حَفِيظاً مُرَاقِباً لَهَا فَمَنْ تَيَقَّنَ مُرَاقَبَتَهُ خَشِى مُخَالفَتَه . ولَذَا وَرَدَ فِى الحَدِيث أفْضَلُ إيمَانِ المرء أنْ يَعْلَمَ أنْ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ

(7) تجَارَةٌ .

(8) أىْ حُبّكَ لَهُ أوْ حُبَّهُ لكَ .

(9) المُكَوَّنَاتُ منَ الأمْوَال وَالعيَال وَغَيْرِهِم أى مُخَالَطَتُها بَعْدَ غَيبتِى عَنْهَا بِمُشَاهَدَتِكَ أىْ بِكُسْوَةِ هِيَ الأنْوَارُ الإلَهِية التى تَمْنَعُ مِنْ تَعَلقى بهَا وَاحتجَابى بهَا عَنْكَ .

(10) أىْ هِدَايَة نَاشئة عَنِ الشُّهُود بعَين البَصِيرَة .

(11) أىْ أشَاهدُكَ فِيهَا .

النَّظَرِ إليْهَا [12] وَمَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاعْتِمَادِ علَيْهَا [13] إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَديرٌ .

(22) إلهِى هَذَا ذُلِّى ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ [14] وَهَذَا حَـالِى لاَ يَخْـفَى عَلَيْكَ . منْكَ أطْلُبُ الوُصُولَ إليْكَ [15] وبكَ [16] أسْتَدلُّ عليْكَ فَاهْدِنِى بنُورِكَ إليْكَ [17] وأقِمْنِى بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ [18]

(23) إلهِى عَلِّمنِى منْ علمكَ المخْزُونِ [19] وَصُنِّى بسرِّ اسْمِكَ المصُونِ [20]

(24) إلهِى حَقِّقنِى بِحقَائِقِ أهْلِ القُرْبِ [21] واسْلُكْ بِى مَسَالِكَ أهْلِ الجَذْبِ[22] .

---

(12) بالاسْتدلال بهَا عَلَيْكَ .

(13) التَّعَلُّقِ بهَا فِى اعتقَادِ نَفْعٍ أوْ دَفْعِ ضَرَرٍ .

(14) ذُلُّ العَبْدِ لربِّه غَايَةُ عزِّه .

(15) هَذَا مَطْلَبُ العَارفينَ فَهُمْ لا يَطلبُونَ منْ سِوَاهُ ولاَ يَطلبُونَ منْهُ غَيْرَ الوُصُولِ إليْه .

(16) لأنَّكَ الظَّاهرُ المظْهرُ لغَيره .

(17) أى اهْدنى بنُورٍ تَقْذفُهُ فِى قَلْبِى إلى مَعْرفَتكَ مَعْرفَةً خَاصَّةً .

(18) أى العُبُوديَّةِ الخَالصَةِ التى لاَ يَظْهَرُ عَلَيْهَا شَىءٌ منْ أوْصَافِ الرُّبُوبيَّةِ .

(19) إضَافةُ العلْمِ إلىَ الله إضَافَةُ تَشْريفٍ ، وَالعلْمُ المخزُونُ : العلْمُ الذى اختزنَهُ عنْدَهُ فلم يُعْطه إلاَّ للمَخصُوصينَ منْ أوْليَائه . قَالَ اللهُ تَعَالَى فى حَقِّ الخَضرِ : ﴿وعَلَّمْنَاهُ من لَدُنَّا علْمًا﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ أسْرَارُ الله يُبْديهَا إلَى أنْبيَائه وأوْليَائه وسَادَاتِ النُّبَلاءِ منْ غيْرِ سَمَاعٍ ولا مُدَارسَةٍ .

(20) صُنِّى : احْفَظْنِى عَنْ رُؤْيَةِ الأغْيَارِ أوْ إبَاحةِ الأسْرَارِ واسْمُكَ المصُونُ : المحْفُوظُ عَنْ الابتذَالِ وَالإهَانة فَإنَّه لا يَجُوزُ أنْ يَدْخُلَ بأسْمَاء الله بَيْتَ الخَلاء أوْ أنْ يُسَمَّى بهَا غَيْرُهُ وَسرُّ أسْمَائه : أنْوَارٌ وتَجليَّاتٌ تَحصُلُ لمنْ ذَكَرَهَا .

(21) أعْطنى مَقَامَاتهمْ وأهْلُ القُربِ مَنْ تَحققُوا بمَقَامِ الفَنَاء فَلمْ يَروْا الأسْبَابَ وَزَالَ عَنْهُمْ كُلُّ حجَابٍ فَاكْتَفَوا بتَدبير الله عَنْ تَدْبيرهمْ .

(22) المحْبُوبُونَ المرادُونَ أى اجْذبْنِى إليْكَ حَتَّى يَسْهُلَ عَلَىَّ سُلُوكُ الطَّريقِ منْ غَيْرِ مُجَاهَدَةٍ وَلا مُكَابَدَةٍ .

(25) إلهى أغننى بتدبيرك عن تدبيرى [23] وباختيارك لى عن اختيارى [24] وأوقفنى على مراكز اضطرارى [25]

(26) إلهى أخرجنى من ذل نفسى [26] وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى [27]

بك أستنصر [1] فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا تكلنى [2] ، وإياك أسأل فلا تخيبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى [3] ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى وببابك أقف فلا تطردنى [4] .

---

(23) لأمور نفسى .

(24) فإن فى تدبيرى واختيارى بمقتضى شهوتى منازعة لك فيهما لأنك المنفرد بهما .

(25) مراكز اضطرارى : مواضعه كالذل والعجز والفقر . فهى مواضع اعتبارية ينبغى للعبد أن يلازمها ملازمة مكانه الذى يستقر فيه . ومعنى وقوفه عليها ملاحظتها وعدم غيبته عنها ، أى اجعلنى ملاحظاً لفقرى وعجزى وذلى .

(26) أى من أن أذل نفسى لغيرك بالطمع والحرص فهو من إضافة المصدر للمفعول أو من أن توقعنى نفسى فيما لا يليق فهو من إضافة المصدر للفاعل .

(27) الشك ضيق الصدر عند إحساسه بمكروه فيصيبه الهم والحزن وطهارته منه باليقين وبه يتسع الصدر وينشرح فيستنير ويحصل له الفرح ، والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن المسبب وطهارته بضده وهو نور التوحيد الذى تطمئن به النفس وكلما قوى كان خلاصه من الشرك أكثر .

(1) على نفسى وشيطانى وهواى .

(2) فى تحصيل مطلبى وإن لم أصدق فى توكلى .

(3) وإن كنت أهلاً للخيبة والحرمان .

(4) عنه وفيه تشبيه المولى بملك عظيم يقف الطالبون ببابه .

(27) إلهى تَقَدَّسَ رضَاكَ (5) عَنْ أنْ تكُونَ لَهُ علَّةٌ منْكَ فكَيفَ تكُونُ لَهُ علَّةٌ منِّى؟ أنْتَ الغنِىُّ بذَاتكَ عَنْ أنْ يَصلَ إليْكَ النَّفْعُ منْكَ فكَيْفَ لا تكُونُ غنياً عَنِّى (6) ؟

(28) إلهى إنَّ القَضَاءَ وَالقَدرَ غَلَبَنى (7) وَإنَّ الهَوَى بوَثَائق الشَّهْوة أسَرَنِى (8) فكُنْ أنْتَ النَّصيرَ لى حَتَّى تَنْصُرُنى (9) وَتَنْصُرَ بى (10) وَأغْنِنى بفَضْلكَ حَتَّى أسْتَغْنىَ بكَ عَنْ طَلَبى (11) أنْتَ الذى أشْرَقْتَ الأنْوَارَ (12) فى قُلُوب أوْليَائكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدوكَ وَأنْتَ الذى أزَلْتَ الأغْيَارَ (13) عَنْ قُلُوب أحْبَابكَ حَتَّى لمْ يُحبُّوا سوَاكَ وَلَمْ يَلجَئُوا إلىَ غَيْركَ (14) أنْتَ المؤنسُ (15) لَهُمْ حَيْثُ أوْحَشَتهُمُ العوَالمُ (16) .

---

(5) وَهُوَ الإحسَانُ أوْ إرَادَتُهُ .

(6) كَأعمَالى وَأحْوَالى فَرضَا المولَى لا يَتَوقَّفُ عَلَى سَبَب وَلا علَّة بَل رضَاهُ وَسَخَطُهُ سَبَبٌ لأعمَال العَاملينَ حَسَنهَا وَسَيئهَا . رَضىَ عَنْ قَوْمٍ فَاستَعْمَلَهُمْ بخدمته ، وَسَخطَ عَلَى قَوْمٍ فَشغَلَهُمْ بمَا يُبْعدُ عَنْ حَضْرَته .

(7) القَضَاءُ : إرَادَةُ الله مَعَ التَّعَلُّق ، والقَدَرُ : إيجادُ الله الأشْيَاءَ عَلَى قَدْرٍ مَعْلُومٍ وَمقْدَارٍ مُعَينٍ فَكُلَّما أعزمُ عَلَى طَاعَة أوْ تَرْك مَعْصية لا يَتيَسَّرُ لى ذَلكَ .

(8) أىْ بالشَّهْوَة الشَّبيهَة بالوثَائق أى القُيُود وَأسَرنى : قَيَّدَنى .

(9) عَلَى نَفْسى وَجُنُودهَا .

(10) أىْ تَنْصُرَ أحْبَابى وَأصْحَابى بسَببى عَلَى أعْدَائهمْ قَالَ شَيْخُنَا الشَّاذلىُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَاجْعَلْنَا سَبَبَ الغنَى لأوْليائكَ .

(11) بفَضْلكَ بشُهُودكَ لأنَّ المشَاهدَ للحَقّ يَستَحى أنْ يَطْلُبَ منْهُ لرُؤيته أنَّه حَاضرٌ مَعَهُ لا يَخْفَى عَلَيْه شَىءٌ منْ شُئُونه . قَالَ الشَاذلىُّ ـ قُدِّسَ سرُّهُ ـ : وَالسَّعيدُ حَقًّا مَنْ أغْنَيتَهُ عَن الطَّلَب منْكَ .

(12) المعَارفُ وَالأسْرَارُ .

(13) المُكوَّنَاتُ وَالتَّعَلُّقُ بهَا .

(14) وَهُمْ أوْلياؤكَ وَهَذَا منْ عَطف السَّبَب عَلَى المسَبَّب لأنَّ زَوَالَ الأغْيَار سَببٌ فى شُرُوق الأنْوَار .

(15) المُدْخلُ السُّرُورَ عَلَى قُلُوبهمْ بتَجَلِّيكَ .

(16) التى كَانوا يَألفُونَهَا منْ أصْحَاب وَأوْلاد وَأموَال فَإنَّ مَنْ حَصَلَ لَه أدْنَى شَىء منْ شُهُود =

وَأَنْتَ الذى هَدَيْتَهُمْ حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُمُ المعَالمُ [1] مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟[2] وَمَا الذى فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ [3] لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِىَ دُونَكَ بَدَلاً [4] وَلَقَد خَسرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلاً [5]

(29) إلهى كَيفَ يُرْجَى سوَاكَ وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإحْسَانَ ؟ وكَيفَ يُطلبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بدَّلْتَ عَادَةَ الامْتنَان ؟ [6] يَا مَنْ أَذَاقَ أَحبَابَهُ حَلاوَةَ مُؤَانَسته [7] فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْه مُتَملقينَ [8] وَيَا مَنْ أَلبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلابسَ هَيبته فَقَامُوا بعزَّته مُسْتَعزِّينَ [9] أَنْتَ الذَّاكرُ مِنْ قَبْل الذَّاكرينَ وَأَنْتَ البَادىءُ بالإحْسَان مِنْ قَبْلِ تَوَجُّه العَابدينَ ، وَأَنْتَ الجَوَادُ ، بالعَطَاء مِنْ قَبْلِ طَلَب الطَّالبِينَ ، وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لمَا وَهَبْتَنَاهُ مِنَ المسْتَقْرِضِينَ .

= الحَقَّ لم يَأنَسْ بشَىء مِنْ ذَلكَ بَلْ ينفُر عَنْهُ .

(1) طُرُقَ الحَقَّ فَإنَّ ظُهُورَهَا بهدَايتكَ .

(2) كنَايةٌ عَنْ كَوْنه لمَ يَجدْ إلاَّ شَيئاً حَقيراً .

(3) أىْ لم يَفْقدْ شَيْئاً بَلْ حَصَلَ عَلَى الغَايَة التى مَا وَرَاءَها غَاية حَيْثُ كُنْتَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَميعَ قُوَاهُ .

(4) كَشَهوَات الدنيا وَالآخرة .

(5) طَلَبَ التَّعَلقَ بغَيرِكَ كَالمكَاشفَات وَالكَرَامَات .

(6) الإحْسَان .

(7) المؤَانَسَةُ سُرُورُ القَلب بشُهُود جمَال المحبُوب .

(8) التملق : التَلَطُّفُ فى التَّوَدُّد وَهُوَ كنَايةٌ عَنِ الطَّلَب بذلة وَانْكسَار .

(9) مَلابسُ هيبَته : أىْ مَلابسُ هىَ هَيْبَتُهُ أوْ هيبَتُه الشَّبيَهةُ بالملابس وَالمرَادُ بالهيبْة : الجَلالَة وَالعَظَمةُ التى كَسَاهَا اللهُ لأوْليَائه فَكُلُّ مَنْ رآهُمْ هَابَهُمْ .

(30) إلهي اطلُبْني برحمتكَ حتَّى أصلَ إليْكَ ، واجذبْني بمنَّتكَ حتَّى أُقبلَ عليْكَ[1] .

(31) إلهي إنَّ رَجَائي لا ينْقطِعُ عنْكَ وإنْ عصيتُكَ[2] كمَا أنَّ خوفي لا يُزايلُني وإنْ أطعتُكَ[3] .

(32) إلهي قَدْ دفعتني العوالمُ إليْكَ وقَد أوقفني علْمي بكرمكَ عليْكَ[4]
إلهي كيْفَ أخيبُ ؟ وأنْتَ أملي أمْ كيْفَ أُهانُ وعليْكُ متَّكلي ؟

(33) إلهي كيْفَ أستعزُّ وأنْتَ في الذلَّة أركزْتني ؟ أمْ كيْفَ لا أستعزُّ وإليْكَ قَدْ نسبتَني ؟ أمْ كيْفَ أفتقرُ وأنْتَ الذي بجودكَ أغنيْتَني ؟ أم كيفَ لا أفتقرُ وأنْتَ الذي في الفَقر أقَمْتَني[5] ؟ أنتَ الذي لا إلَهَ غيْرُكَ تعرَّفْتَ لكُلِّ شيء فمَا جهلكَ شيءٌ ، وأنْتَ الذي تعرَّفْتَ إليَّ في كُلِّ شيء فرأيْتُكَ ظاهراً في كُلِّ شيءٍ ، فأنْتَ الظَّاهرُ لكُلِّ شيءٍ يا مَن استوى برحْمانيَّته علَى عرْشه ، فصَارَ العرْشُ غيباً في رحمانيَّته كمَا

(1) أي اطلبني إلىَ القُرب منْكَ بإحْسانكَ فإنَّه لا سبيلَ إلىَ الوُصُول إليْكَ إلاَّ برحْمتكَ لاَ بأعمَالي المدْخُولَة .
(2) لمعرفتي أنَّكَ المبتدئُ بالإحْسان ومَنْ كَانَ كذَلكَ يُرجَى خيْرُهُ ولَوْ معَ المعْصية .
(3) لعلمي بأنَّكَ الفعَّالُ لمَا تُريدُ . فَالطَّاعةُ لا تقْتضي رفْعَ سخطكَ وهيَ مدْخُولَةٌ ، ومَنشأ اعتدَال الخَوف والرَّجاء عندَ العَارفينَ شهُودُ الصِّفَات المخوِّفَة والمرْجُوَّة ، فكَمَا أنَّ صفَاته تعَالى لا تَفَاوُتَ فيهَا كَذَلكَ شُهُودُهَا لا تَفَاوُتَ فيه . فإنْ وقَعَ فيه تفَاوتٌ كَانَ شُهُوداً نَاقصاً فلذَا يتَصوَّرُ عنْدَهم كمَالُ الخوف معَ العمَل بالطَّاعة ، وغَلبَةُ الرَّجاء معَ ارتكَاب المعْصية .
(4) استوحَشْتُ منْهَا لفقرهَا إليْكَ ، وعَجزهَا فكُلَّما توَجَّهْتُ لأحَد لينصُرَني قَالَ : لا نَاصرَ إلاَّ اللهُ فَاعتمَدْتُ علَيْكَ لأنَّ الكَريمَ لا تَتخطَّاهُ الآمَالُ .
(5) تلَوُّنُهُ في هَذه الصِّفَات المتَضادَّة لمَا يَغلبُ عليه منْ مُشاهدَة مَا يُوجبُهَا . والذِّلَّةُ : ذلةُ الخَليقَة والعُبُوديَة والنِّسْبَةُ : سرُّ الخُصُوصيَة والافتقَارُ : الذلَّةُ ، والاستغنَاءُ : العزَّةُ .

صَارَت العَوَالمُ غَيباً فى عَرْشه . مَحقْتَ الآثَارَ بالآثَار وَمَحَوْتَ الأغْيَارَ بمحيْطَات أفلاك الأنوَار (6) يَا مَنَ احتَجَبَ فى سُرَادقَات عزّه عَنَ أنْ تُدْركَهُ الأبْصَارُ (7) يَا مَنْ تَجَلّى بكَمَال بَهَائه (8) فَتحقّقَتْ عَظَمَتَهُ القُلُوبُ والأسْرَارُ (9) كَيْفَ تَخْفَى وَأنْتَ الظَّاهرُ؟ (10) أمْ كَيفَ تَغيبُ وَأنْتَ الرقيبُ (11) الحَاضرُ؟ (12) . وَاللهُ المُوَفق وَبه أسْتَعينُ .

وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(6) قَال الشَّيخُ الشَّرْقَاوىُّ رضي الله عنه : (يَا مَن اسْتَوَىَ) أى اسْتَوْلَى (برَحمَانيَّته) برَحْمَته (عَلَى عَرْشه) فَصَارَ العَرْشُ تَحْتَ حُكْمه وَقَهْره كَاستيلاء السُّلْطَان بجُنُوده عَلَى أهْل بَلَد فَشَبَّهَ المَوْلَى بالسُّلْطَان وَرَحْمَته بالجنُود وَعَرشَهُ بأهْل القَريَة (فَصَارَ العَرْشُ غَيباً) أىْ غَائباً لَيس لَهُ وَجُودٌ ـ فى رَحْمَانيتّه أىْ بالنّسْبَة إلىَ رَحْمَته . كَمَا صَارَت العَوَالمُ ـ السَّمَواتُ وَالأرَضُونَ وَمَا فيهمَا . غَيباً ـ غَائبَةً فى عَرْشه أىْ لَيس لَهَا وُجُودٌ بالنّسبَة لَه . ثُمَّ بَيَّنَ ذَلكَ بقَوله : (مَحقتَ الآثَارَ) السَّمَوات وَالأرَضينَ وَمَا فيهنَّ (بالآثَار) وَهُوَ العَرْشُ لأنَّه أثَرُ الرَّحْمَةَ وَالعَوَالمُ بالنسْبَة لَهُ كَلاَ شَىء (وَمَحَوْتَ الأغْيَارَ) وَهُوَ العَرْشُ (بمُحيطَات أفلاك الأنوَار . أىْ بالأنوَار الشَّبيهَة بالأفْلاك المُحيطَة بالعَرش وَهىَ تلْكَ الرحمَةُ وَالحَاصلُ أنَّ رَحمَتَهُ تَعَالَى أىْ إحْسَانَهُ هُوَ الذى اقْتَضَى وُجُودَ العَوَالم كُلّهَا منْ عَرْشهَا لفَرشهَا فَلَولا إحْسَانُهُ لَهَا بالوُجُود مَا وُجدَتْ فَالمرَادُ بالرَّحْمَة الرَّحمَةُ العَامَّةُ التى وَسعَتْ كُلَّ شَىء) .

(7) السُّرَادقَاتُ الخيَامُ فَهُوَ منْ إضَافَة المشَبَّه به للمُشَبَّه فكَمَا أنَّ الخَيمَةَ تَمْنَعُ منْ رُؤيَة مَا بَعْدَهَا كذَلكَ عزُّ الله أىْ قُوَّته العَظيمَةُ تمنَعُ عَنْ رُؤيَته بالأبْصَار ثُمَّ إنْ أريدَ رُؤيَةُ الإحَاطَة فَهىَ مُمتَنعَةٌ فى الدّنيَا وَالآخرَة وَإنْ أريدَ مُطلَقُهَا فَهىَ ممتَنعَةٌ فى الدنيَا وَاقعَةٌ فى الآخرَة للمُؤمنينَ .

(8) بمَحَاسن صفَاته أىْ بصفَة جَلاله وَجَمَاله .

(9) بَوَاطنُ القُلُوب .

(10) بذَاتكَ فى جَميع الأشْيَاء كَمَا يَقُولُهُ أهْلُ الشُّهُود أوْ بظُهُور أفعَالكَ وَتَصرُّفَاتكَ فى العَالم كَمَا يَقُولُ غَيرُهُمْ .

(11) المرَاقبُ لنَا فى حَرَكَاتنا وَسَكَنَاتنَا .

(12) الذى ليسَ بغَائب وَأتَى به لأنَّهُ لا يَلزَمُ منَ المُرَاقَبَة الحُضُورُ إذ قَد تَحصُلُ الإحَاطَةُ بأفعَال الغَير وَأحْوَاله بالمكَاتبَة وَالمرَاسَلَة

واللهُ المسئولُ أنْ يُسْبِغَ عَلَيْنا رَحْمَتَهُ . ويُكمِلَ نعْمَتَهُ ويَجعَلَنا منَ النَّاظرينَ إلى وَجهه الكَريم في جَنَّات النَّعيم وأنْ يَجزى عَنَّا سَيِّدَنَا محمدا ﷺ مَا هُوَ أهْلُهُ ، وأن يَجْزِى عنا أشيَاخَنَا خَير الجزاء ، إنَّه سَميعُ الدُّعَاء سُبْحَانَ ربِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المرْسَلينَ وَالحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ .

وصَلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

طريقُ الخلاص

رأيته مناماً ليلة الخميس الساعة الواحدة إلا ثلثًا ، 19 ربيع الثانى 1376 ، الموافق 22/ 11/ 1956 :

وَلَقَدْ سُؤلتُ عَلَى لِسَانِ أحبَّتى ... أيْنَ الطَّريقُ إلىَ الخَلاصِ الوَاضِحِ
فَأجَبْتُ فِى غَيْرِ الحَنيفَةِ لا يَرَى ... أحَدٌ خَلاصاً . لا تكُنْ بِالمازِحِ

دعاء النجاة

رأيته سحر الخميس 26 ربيع الثانى سنة 1376 هـ ـ 29 نوفمبر سنة 1956 :

يَارَبِّ أرْسِلْ عَلَى الأعْدَاءِ صَاعِقَةً ... مِنْ صَيِّبِ فَضْلِكَ لا تُبْقى ولا تَذَرُ
وَاسْلُبْهُمُو الحِلمَ وَالإمْهَالَ إنَّهمُو ... آذَوْا عَبِيداً إذَا زَلُّوا لَكَ اعْتَذَرُوا

* * *

يَاربِّ صَلِّ عَلَى النَّبِىِّ مُسَلماً ... وَاهْدِ الخطيبَ مُحَمَّداً لِرِضَاكَا
وَارْحَم أعَاديهِ وَأكْرِمْ صَحْبَهُ ... وَأعِزَّهُمْ رَبِّى هُنَا وَهُنَاكَا

25 رجب سنة 1376 ، الموافق 25 فبراير سنة 1957.

شاعر النبى ﷺ

محمد خليل الخطيب النيدى

استغاثة

ودعاء لمولانا الإمام الخطيب

أفـــرُّ إلَـيْكَ يَـارَبَّاهُ مِنْكَـا — وَمَـالِىَ مَـعْـدِلٌ يَارَبِّ عَنْكَا
فَلُطْفَكَ بِى وَيَسِّرْ لِى أُمُورِى — وَنَوِّلْنِى الرِّضَا فِى تِى وَتِلْكَا
وَهَيِّئْ لِى بِدَارَىَّ الأمَانِى — وَهَبْ لِىَ مَقْعَداً صِدْقاً لَدَيْكَا
بِجَاه شَفِيعِ خَلْقِكَ يَوْمَ بَعْث — وَأكْرَمِ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَيْكَا
وَصَلِّ مُسَلِّماً رَبِّى عَلَيْهِ — وَبَارِكْ وَاْسْتَجِبْ مِمَّنْ دَعَوْكَا

***

شاعر النبى ﷺ

محمد خليل الخطيب النيدى

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

السلام الذهبية للطباعة
4 ش الحرية من عبد الغفار عزيز – الملأة – دار السلام
ت 3184164